أجاثا كريستي

جريمة في القطار الأزرق

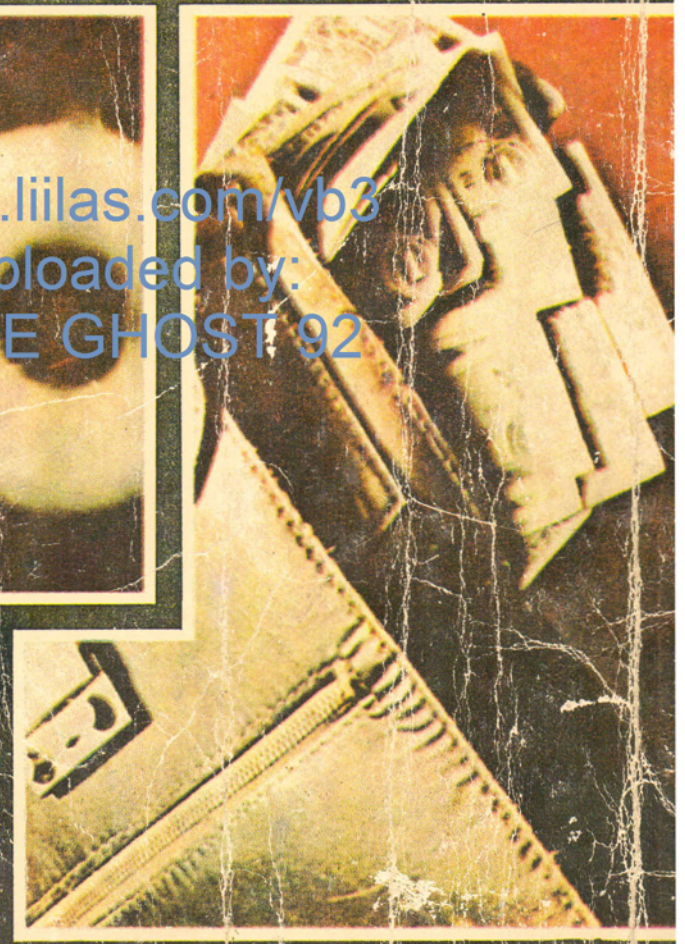

www.liilas.com/vb3
uploaded by:
THE GHOST 92

المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان

جريمة في القطار الازرق

اجاثا كريستي

جريمة في القطار الأزرق

المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان

الرجل ذو الشعر الابيض

كان الوقت يقترب من منتصف الليل . حين عبر رجل ميدان الكونكورد . ورغم المعطف المصنوع من الفراء الذي كان يلف جسده النحيل . فقد كانت تبدو عليه سمات الضعف وضعة الشان .

كان رجلا قصيرا .. وجهه كوجه الفار .. قد تظنه تافه القدر .. خامل الذكر .. ولكن هذا لم يكن صحيحا . فرغم مظهره الذي يلوح عليه الاهمال .. والرثاثة . الا انه كان يلعب دورا هاما في مصير العالم .. ملكا لامبراطورية الظلام .. يحوطه الشك من كل جانب .

وحتى هذا الوقت المتاخر . كانت احدى السفارات تنتظر عودته .. ولكن كان عليه ان يقوم بمهمة ما اولا ـ مهمة لم تكن السفارة على علم بها ـ وحين انعكس ضوء القمر على وجهه بدا ابيض حاد القسمات .. وظهر انفه معقوفا قليلا .. فقد كان والده يهوديا من بولندا .. وكانت المهمة التي خرج من اجلها من ذلك النوع الذي كان يحبه والده .

ووصل الى نهر السين .. وعبره .. ودخل احد احياء باريس المتواضعة . وهنا توقف امام احد المنازل العتيقة العالية .. وصعد الى شقة بالدور الرابع . ولم يكد يطرق الباب حتى فتحته امراة كان من الواضح انها تنتظر عودته . ولم تنفوه بكلمة تحيه واحده . بل احدت تساعده في خلع معطفه ثم قادته الى غرفة جلوس رثة الاثاث . وكانت تحجب الضوء اباجورة وردية اللون .. فانعكس خابيا على وجه الفتاة وان لم يستطع ان يخفيه ـ وقد علته طبقة كثيفة من المساحيق ـ ولا ان يخفي ملامحها المتقولبة . كان من الواضح اية مهنة تمتهن الفتاة .. وكذا جنسيتها .

ـ اكل شيء على ما يرام يا صغيرتي ؟

ـ نعم يا بوريس ايفانوفتش .

واومأ براسه متمتما :

ـ لا اظن ان احدا كان ينبغي .

ولكن نبرته كانت تنم عن القلق ؛ واتجه الى النافذة .. وازاح الستائر قليلا . ثم نظر الى الشارع .. وتراجع مبتعدا في عنف .

ـ هناك رجلان .. على الرصيف المقابل . يبدو ... وصمت ... واخذ يقضم اظافره . وهي عادة كانت تلازمه عندما يستبد به القلق .

وهزت الفتاة الروسية راسها ببطء وكانها تطمئنه :

ـ انهما هنا قبل ان تحضر .

ـ ولو .. يبدو لي وكانهما يراقبان هذا المنزل .

وردت بلا اكتراث :

ـ ربما .

ـ ولكن .. ماذا ؟

ـ وماذا في ذلك ؟ حتى لو عرفا .. فلن تكون انت الشخص الذي سينعقبانه من هنا .

وتسللت الى شفتيه ابتسامة صغيرة .. فيها قسوة .. وقال :

ـ هذا صحيح .

وفكر برهة .. ثم قال :

ـ هذا الامريكي اللعين .. ليسول امر نفسه .

ـ نعم .

ومره اخرى اتجه الى النافذة .. ثم ضحك ضحكة قصيرة وقال :

ـ يبدو انهما من المعروفين للبوليس .. حسنا .. ارجو لهما صيدا ثمينا .

وهزت اولجا دميروف راسها وقالت :

ـ لو كان الامريكي كما يقولون . فان الامر سيحتاج الى اكثر من شخص حتى يتغلبا عليه .

وتوقفت عن الكلام برهة .. ثم استطردت قائلة :

ـ ترى ...

ـ نعم ؟

ـ لا شيء .. فقط .. هناك رجل ذو شعر ابيض قد مر من هذا الشارع مرتين هذا المساء .

ـ وماذا في ذلك ؟

ـ اقول لك : عندما مر بجانب هذين الرجلين .. اسقط قفازه .. فالتقطه احدهما واعاده اليه . انها حيلة قديمة .

ـ اتعنين ان ثمة علاقة بينهما وبين الرجل ذي الشعر الابيض ؟

ـ شيء من هذا القبيل .

وبدا الانزعاج والقلق على وجه الروسي .. وقال :

ـ أواثقة انت ان اللفافة في امان .. وان بدا لم تعبث بها ؟..

لقد ثارت اقاويل كثيرة حول هذا الموضوع .. اكثر من اللازم .

ومرة اخرى قضم اظافره ..

ورددت هي بقولها :

ـ لتحكم بنفسك .

وانحنت الى المدفأة .. وازاحت الفحم بعناية .. ومدت يدها تحته والتقطت لفافة مستطيلة مغطاة باوراق الصحف .. وسلمتها اليه .

واومأ براسه موافقا .. وقال :

ـ فكرة رائعة !

ـ لقد فتشت الشقة مرتين .. وشغت الحشية الموضوعة على سريري .

فتمتم قائلا :

ـ كما قلت لك .. لقد كثر الكلام .. وهذه المساومة على الثمن .. لقد كانت غلطة .

وكان قد ازاح اوراق الجرائد عن اللفافة . وبالداخل .. بدت لفافة صغيرة مغطاة بورق بني اللون .. فازاحه بدوره .. وتاكد من محتوياتها . واعاد لفها بسرعة مرة اخرى .. وبينما هو يفعل ذلك .. دق الجرس عاليا .

ونظرت اولجا الى الساعة قائلة :

ـ ان الامريكي دقيق في مواعيده .

وتركت الغرفة .. وبعد لحظة عادت ومعها شخص غريب .. ضخم .. عريض المنكبين .. من الواضح انه امريكي .. وتنقل ببصره بينهما .. ثم تساءل بادب :

ـ مستر كراستين ؟

فرد بوريس :

ـ نعم .. معذرة للقائنا في هذا المكان .. ولكن السرية في هذه المسائل امر مطلوب . انني لا استطيع ان ازج بنفسي في هذا الامر .

وساله الامريكي بادب :

ـ حقا ؟

ـ لقد وعدتني .. اليس كذلك ؟.. وعدتني بلا تذيع اية تفصيلات عن هذه الصفقة .. ان هذا احد شروط البيع .

واومأ الامريكي براسه .. وقال بلا اكتراث :

ـ لقد اتفقنا على هذا .. والان .. هلا قدمت لي البضاعة ؟

ـ هل معك الثمن .. نقدا ؟

ـ نعم .

ولكن لم يبد عليه اي استعداد للدفع .. وبعد فترة تردد اشار

كراسنين الى اللفافة الصغيرة الموضوعة على المائدة .. فاخذها الامريكي وفضها .. ثم اخذ يفحصها فحصا دقيقا في ضوء مصباح صغير وعندما اطمأن الى نتيجة الفحص اخرج من جيبه محفظة جلدية ضخمة .. واخرج منها رزمة من الاوراق المالية سلمها الى الروسي الذي اخذ يعدها بعناية شديدة .

ـ هل كل شيء على ما يرام ؟

وتنهد الاخر ووضع اللفافة في جيبه بلا اكتراث . ثم انحنى لاولجا وقال :

ـ سعدت مساء يا آنسي .. سعدت مساء يا مسيو كراسنين .

وخرج بعد ان اغلق الباب خلفه . والتفت عيون الرجل والمراة .. وبلل الرجل شفتيه الجافتين ثم تمتم قائلا :

ـ ترى .. هل سيكتب له ان يعود سالما الى فندقه ؟

واستدار الاثنان .. معا .. ناحية النافذة فرايا الامريكي يدلف الى الشارع . ثم اتجه الى اليسار وحث خطاه دون ان يلتفت الى الخلف مرة واحدة . وتسلل شخصان من مدخل احد المنازل واقتفيا اثره في هدوء واختفى الجميع في الظلام . وتكلمت اولجا دميروف :

ـ سيعود سالما .. فلا داعي لان تخشى شيئا .. او تتمنى .. ايا كان ما ترجوه .

وسالها كراسنين بفضول :

ـ ولماذا تظنين انه سيعود سالما .

ـ ان رجلا مثله قد كون كل هذه الثروه لا يمكن ان يكون مغفلا .. اما وقد جرنا الحديث عن المال ..

ونظرت الى كراسنين نظرة ذات مغزى فقال :

ـ نعم ؟

ـ نصيبي يا بوريس ايفانوفيتش .

وبشيء من التردد .. ناولها كراسنين ورقتين ماليتين . فاومات براسها شاكرة .. دون ان تبدي اية عاطفة .. ووضعتهما في جوربها .

وقالت في ارتياح :

ـ هذا بديع .

ونظر اليها بفضول قائلا :

ـ الست نادمة على شيء يا اولجا فاسيلوفنا ؟

ـ نادمة ؟ لماذا ؟

ـ على ما كان في حوزتك . فهناك نساء كثيرات يفقدن عقولهن بسبب هذه الاشياء .

فاومات براسها وقالت وهي ساهمة :

ـ نعم .. هذا صحيح . معظم النساء يفعلن . ولكني لست مثلهن ..

تـرى ...

ـ مـاذا ؟

ـ سيكون الرجل الامريكي في امان .. وهي معه .. ولكن بعد ذلك ؟

ـ فيم تفكرين ؟

وقالت اولجا وهي مستغرقة في التفكير :

ـ انه سيقدمها بالطبع الى سيدة .. ترى .. ما الذي سيصيبها عندئذ ؟

وبصير نافذ .. اتجهت ناحية النافذة .. وفجاة ندت عنها صرخة .. وبادت رفيقها .

ونظرا معا .. كان شخصا نحيلا .. رشيقا .. يتقدم بخطى وئيدة .. كان يرتدي قبعة سهرة .. وعندما مر تحت احد المصابيح .. انعكس الضوء على شعره الابيض .

***

المركيز

مضى الرجل ذو الشعر الابيض في طريقه دون عجلة . غير عابيء بما حوله . واتجه ناحية اليمين .. ثم استدار الى اليسار .. وبين الفينة والفينة كان يدندن لنفسه .

وفجاة توقف .. واصاخ السمع .. لقد تناهى الى سمعه صوت ما .. ربما كان صوت انفجار اطار سيارة .. وربما كان طلقة رصاص .. وتلاعبت ابتسامة غريبة على شفتيه .. ثم مضى في طريقه مرة اخرى .

وعندما اتجه الى المنحنى راى مشهدا مثيرا .. كان احد رجال الشرطة يدون بعض الملاحظات في مفكرة وقد تجمع حوله بعض المارة . ولقدم الرجل من احدهم .. وساله بادب :

ـ هل حدث شيء ؟

ـ نعم يا سيدي . لقد هاجم اثنان من الخارجين على القانون رجلا امريكيا .

ـ وهل اصاباه ؟

وتضاحك الرجل قائلا :

ـ كلا .. بالتاكيد .. اذ كان الامريكي يحمل مسدسا معه .. وقبل ان يهجما عليه .. اطلق الرصاص قريبا منهما فولا الادبار . وكالعادة .. وصل البوليس متاخرا .

ـ آه ..

ولم يبد على السائل اي تاثر .

وبهدوء .. وبلا اكتراث .. استأنف سيره .. وسرعان ما عبر نهر السين .. الى احياء باريس الانيقة .. وبعد حوالي عشرين دقيقة توقف امام محل معين .. في حي ارستقراطي هادىء ، وكان متجرا عتيقا ، بعيدا كل البعد عن مظاهر الدعاية ، اذ كان صاحبه بابوبولس تاجر العاديات من الشهرة بمكان ، بحيث لم يعد في حاجة للاعلان عن نفسه.. وكانت اغلب صفقاته لا تتم داخل محله اذ كان يمتلك شقة فاخرة تطل على الشانزليزيه .. كان المفروض ان يكون فيها في مثل هذا الوقت .. لا في محل عمله .. ولكن الرجل ذا الشعر الابيض كان يبدو واثقا من وجوده هنا .. وبعد ان القى نظرة سريعة على الشارع .. ضغط على الجرس الذي كان الظلام يلفه .

ولم يخب ظنه .. وفتح الباب .. ووقف رجل في المدخل .. كان يضع اقراطا ذهبية في اذنيه .. اسمر الوجه .

وقال الرجل الغريب :

ـ مساء الخير .. هل سيدك بالداخل ؟

ـ نعم .. انه هنا .. ولكنه لا يستطيع مقابلة اي عابر سبيل في مثل هذا الوقت .

ـ اظن انه سيقابلني انا .. اخبره ان صديقه الماركيز هنا .

وفتح الرجل الباب قليلا .. فدخل الزائر .

كان الرجل الذي قدم نفسه باسم الماركيز يخفي وجهه بيده وهو يتحدث . وعندما عاد الخادم ليخبر الزائر بأن مسيو بابوبولس يسعده ان يلتقي به .. كان مظهره قد اعتراه تغير كبير .. ولا شك ان الخادم لم يكن قوي الملاحظة اطلاقا .. او انه كان مدربا تماما .. اذ لم يبد عليه اي اثر للدهشة عندما رأى قناعا صغيرا اسود يخفي ملامح الزائر الغريب .

وقاده الى باب في نهاية الردهة ثم فتحه وتمتم بأدب :

ـ مسيو الماركيز .

ونهض رجل مهيب يحيي ضيفه وكان شامخ الجبهة ذا لحية بيضاء. كان يبدو كأحد رجال الدين .. الاتقياء .

وقال مسيو بابوبولس :

ـ اهلا يا صديقي العزيز .

فرد الزائر :

ـ معذرة لحضوري في مثل هذا الوقت .

ـ كلا .. كلا .. انه وقت ممتع .. ربما كنت قد امضيت امسية سعيدة ؟

ـ لا .. لست انا .

ـ لست انت .. كلا .. كلا .. بالطبع .. الديك اخبار ؟

ونظر الى الاخر نظرة جانبية حادة .. لم تكن من الطبيعة في شيء .

ـ لا اخبار .. لقد فشلت المحاولة .. لم اكن انتظر غير ذلك .

ـ هذا صحيح .. ان اي شيء ينتهي بالعنف .

ولوح بيده معبرا عن بغضه للعنف في كل صوره .. وفعلا لم يكن هناك اي مظهر من مظاهر العنف يحيط بمسيو بابوبولس ولا بتجارته . وكان معروفا لدى اغلب ملوك اوروبا ، يناديونه ديمتروس في الفة .. وقد ذاع صيته كرجل حصيف .. هذا بالاضافة الى ان مظهره قد حقق له الكثير من الصفقات المربحة .

وهز مسيو بابوبولس راسه وقال :

ـ ان الهجوم المباشر قد ينجح .. ولكن ذلك نادر الحدوث .

وهز الرجل الاخر كتفيه وقال :

ـ انه يوفر الوقت .. ثم ان الفشل لا يكلف شيئا .. او يكاد لا يكلف شيئا .. اما الخطة الاخرى ـ فهي لن تخيب .

ونظر اليه مسيو بابوبولس بحماس وقال :

ـ آه !

فاومأ الاخر براسه .

وقال تاجر العاديات :

ـ ان تقني لكبيرة في شهرتك الدولية .

فابتسم الماركيز برقة ورد قائلا :

ـ اعتقد ان تقنك في محلها .

ـ ان فرص العمل امامك فريدة ..

ـ انني انا الذي اخلقها .

ثم نهض واخذ رداءه الذي كان قد القاه باهمال على ظهر مقعد. وقال:

ـ سابلغك بما يحدث يا مسيو بابوبولس .. بالطرق المعتادة .. ولكن يجب ان تكون استعداداتك كلها محكمة .

وتضايق مسيو بابوبولس .. وقال :

ـ ان الاستعدادات التي اقوم بها تكون دائما محكمة .

وابتسم الاخر .. ودون ان يتفوه بكلمة وداع .. ترك الغرفة .. بعد ان اغلق الباب خلفه .

وبقي مسيو بابوبولس مستغرقا في التفكير لحظة وهو يمر بيده على لحيته البيضاء .. ثم سار عبر الغرفة الى باب اخر يفتح الى الداخل .. وبينما هو يدير «الاكرة» .. تعثرت سيدة كان من الواضح انها تستغرق السمع مستندة الى الباب . ولم يبد مسيو بابوبولس اية دهشة او اهتمام . كان من الواضح ان هذا شيء عادي بالنسبة له .

ـ حسنا يا زبا ؟

ـ انني لم اسمعه وهو يغادر الغرفة .

كانت سيدة جميلة .. ذات عينين داكنتين لامعتين وتنبه مسيو

بابوبولس الى حد كبير .. وكان من الواضح انها ابنته .

واستطردت تقول بغيظ :

ـ من المؤسف ان المرء لا يستطيع ان يرى ويسمع في نفس الوقت من خلال ثقب الباب .

ورد مسيو بابوبولس ببساطة شديدة :

ـ كثيرا ما ضايقني هذا .

وقالت زيا ببطء :

ـ اذن فهذا هو مسيو الماركيز ؟.. ترى .. هل يرتدي قناعا بصفة مستمرة يا ابي ؟

ـ دائما .

وظلت ذلك فترة صمت .. ثم تساءلت زيا :

ـ اظن ان الامر يتعلق بالياقوت ؟

واومأ والدها برأسه .

وتساءل وقد التمعت عيناه :

ـ ما رأيك يا صغيرتي ؟

ـ في مسيو الماركيز ؟

ـ نعم ..

فردت زيا ببطء :

ـ اظن انه من النادر ان تجد شخصا انجليزيا يتحدث بالفرنسية بهذه البراعة .

ـ آه !.. اذن فهذا هو رأيك .

وكالعادة .. لم يعلق باكثر من هذا .. وانما رمق زيا بنظرة تنم عن مشاركته لها في الرأي .

قالت زيا :

ـ اظن ايضا ان راسه غريب الشكل .

ـ ضخم .. قليلا .. ولكن هذا بسبب الشعر المستعار الذي يضعه.

وتبادلا النظرات وهما يبتسمان .

***

في شارع ليرزون

كانت مسز ديرك كترنج تقطن في شارع كيرزون . وما ان فتح الخادم

الباب لروفوس فان اولدين حتى عرفه لاول وهلة وابتسم له محييا . ثم قاده الى الطابق الاول حيث غرفة الصالون .

ونهضت سيدة كانت تجلس بجوار النافذة . وقالت :

ـ يا الهي !! اليس هذا شيئا رائعا يا ابي . لقد كنت على اتصال دائم بالماجور نايتون طول اليوم لاحاول الاتصال بك . ولكنه لم يكن واثقا من موعد عودتك .

كانت روث كيترنج في الثامنة والعشرين من عمرها ـ ورغم انها لم تكن جميلة الا انها كانت جذابة فقد كان شعرها احمر بنيا يتلاءم مع لون عينيها الداكنتين واهدابها الشديدة السواد . كانت قارعة تحفة رشيقة ، يخيل لمن يراها لاول وهلة انها وجه رسمه الفنان رافاييل . ولكن اذا دققت النظر اليها ستلمح نفس خط الفك والذقن الذي يميز وجه فان اولدين . وتنم عن نفس الصلابة والتصميم واذا كان هذا يناسب الرجل، الا انه لم يكن مناسبا لسيدة . ومنذ طفولتها اعتادت روث فان اولدين ان تقرر بنفسها ما تراه ، وكل من خطر له ان يعترض طريقها سرعان ما كان يكتشف ان ابنة قوس فان اولدين لم تكن لتلين ابدا .

وقال فان اولدين :

ـ لقد اخبرني نايتون انك اتصلت به تليفونيا . وقد عدت من باريس منذ نصف ساعة فقط . اكل هذا بسبب ديرك ؟

واحمر وجه روث كترنج غضبا وصاحت :

ـ انه لا يحتمل وقد فاق كل حد . فهو لا يستمع لاية كلمة اقولها .

وبدت الحيرة والغضب في صوتها . فرد المليونير بقوله :

ـ انه سيصبح لي انا .

واستمرت روث تقول :

ـ انني لم اكد اراه طيلة الشهر الماضي ، وهو يذهب الى كل مكان مع تلك المراة .

ـ اية امراة ؟!

ـ مراي . الراقصة في البارتينون كما تعلم .

واومأ فان اولدين براسه . واستطردت :

ـ لقد ذهبت الى ليكونبري في الاسبوع الماضي ، وتحدثت مع لورد ليكونبري . كان رقيقا معي . وابدى غاية العطف ، وقال انه سيتحدث مع ديرك في الامر .

ـ آه !

ـ ماذا تعني بآه يا ابي .

ـ ان ما تعتقدينني اعنيه . ان ليكونبري العجوز المسكين قد انتهى. بالطبع عطف عليك . وبالطبع حاول ان يسري عنك ، اما وقد تزوج ابنه وورثه من ابنة واحد من اغنى اغنياء الولايات المتحدة . فمن الطبيعي انه

لا يريد ان يفسد الامر . انه على حافة القبر . والكل يعلم هذا . واي شيء يقوله لن يؤثر كثيرا في دبرك .

وبعد لحظة صمت تساءلت روث :

ـ الا تستطيع ان تفعل شيئا يا ابي ؟

فرد الليونير عليها :

ـ ربما .

وصمت برهة وهو يفكر ، ثم استطرد :

ـ هناك بضعة اشياء أستطيع ان افعلها ، ولكن حلا واحدا فقط هو الذي سيأتي بالنتيجة المرجوة . الان يا روثي هل انت شجاعة ؟

وحملقت فيه ، فاومأ اليها وقال :

ـ انني اعني ما اقول . هل لديك من الشجاعة ما تحملك تواجهين العالم معترفة بخطئك ، هناك طريقة واحدة فقط تخرجك من هذه الورطة . احسمي الامر ، وابدئي بداية جديدة .

ـ اتعني ؟..

ـ الطلاق .

ـ الطلاق !

وابتسم فان اولدين بجفاء .

ـ انك تقولين هذه الكلمة وكأنها لم تطرق سمعك من قبل . ومع ذلك فهذا هو ما يفعله اصدقاؤك كل يوم .

ـ اعلم ذلك . ولكن ..

وصمتت وهي تعض شفتيها . فاومأ ابوها براسه كمن يدرك ما تحسه وقال :

ـ انا اعلم يا روث . انك مثلي . لا تتقبلين الهزيمة . ولكني تعلمت ان هناك اوقاتا يكون فيها هذا هو الحل الوحيد ويجب ان تتعلمي انت ايضا هذا وربما يكون في استطاعتي ان اجد الوسيلة لاعادة دبرك اليك ، ولكن النتيجة في النهاية ستكون واحدة ، فلا فائدة ترجى منه . روث ، انه فاسد . انني الوم نفسي لانني سمحت بهذه الزيجة ولكنك كنت مصممة ، وكان هو بادي اللهفة ليبدأ صفحة جديدة . لقد اغضبتك ذات مرة يا حبيبتي .

ولم ينظر اليها وهو يقول الكلمات الاخيرة ، ولو انه فعل لرأى وجهها يتضرج .

وقالت بلهجة جافة :

ـ نعم .. حدث .

ـ لقد كان ذلبي رقيقا . فلم يطاوعني ان اغضبك مرة اخرى . ورغم ذلك ، فكم اتمنى لو انني فعلت . فقد عشت السنوات الاخيرة حياة بائسة يا روث .

ووافقته مسز كترنج قائلة :

ـ انها لم تكن ممتعة تماما .

ـ وهذا هو ما يجعلني اقول ان هذا الموضوع يجب ان ينتهي . وضرب بيده على المائدة :

ـ ربما كنت لا تزالين معجبة به ، ولكن دعك من هذا كله وواجهي الحقائق ، لقد تزوجك دبرك كترنج من اجل مالك ، هذا هو كل ما هنالك . تخلصي منه يا روث .

ونظرت روث كترنج الى الارض برهة ، ثم قالت ولم تزل خافضة راسها :

ـ لنفرض انه لم يوافق .

ونظر اليها فان اولدين في دهشة :

ـ لن تكون له كلمة في الموضوع .

واحمر وجهها وعضت على شفتها وقالت :

ـ كلا .. كلا بالطبع .. انما كنت اقصد ..

وصمتت . ونظر اليها والدها بحدة وسألها :

ـ ماذا تعنين ؟

ـ اعني ..

وتوقفت وهي تختار كلماتها بعناية :

ـ ربما لا يسلم بسهولة .

ـ تعنين انه سيجادل في الامر ، ليكن ، ولكن الدافع انك مخطئة ، فهو لن يفعل . فان اي محام سيستشيره سيخبره بأن قضيته خاسرة .

ـ الا تظن ؟

وترددت :

ـ اعني .. لمجرد اثارة الضغينة ضدي ، ربما حاول ان يخرج مركزي .

ونظر اليها والدها في دهشة :

ـ تعنين انه ربما يعارض في القضية ؟

وهز راسه نفيا وقال :

ـ ان هذا احتمال بعيد .. فكما ترين .. يجب ان يكون لديه ما يسند اليه .

ولم تحر مسز كترنج جوابا . ورمقها فان اولدين بنظرة حادة وقال :

ـ روث .. هات ما عندك .. هناك شيء ما تخفينه عني .. ما هو ؟

ـ لا شيء .. لا شيء بالمرة ..

ولكن صوتها بدا غير مقنع ..

ـ انك تخشين التشهير أليس كذلك ؟.. دعي الامر لي .. سأجعله يمر بسهولة ولن تثار حوله اية ضجة اطلاقا .

ـ حسنا يا ابي .. ما دمت تعتقد ان هذه هي افضل وسيلة .

ـ اما زلت تحبينه ؟..

ـ كـلا ..

وخرجت الكلمة من بين شفتيها لا تدع مجالا للشك . فارتاح فـان اولدين . وربت على كتفيها قائلا :

ـ سيمر الامر بسلام يا صغيرتي . فلا تشغلي بالك ، الان .. لننس كل شيء عن هذا الموضوع .. لقد احضرت لك هدية من باريس .

ـ لي انا ؟.. اهي شيء جميل حقا ؟

وابتسم وهو يقول :

ـ ارجو ان يكون كذلك .

واخرج اللفافة من جيب معطفه .. وقدمها اليها . ففضت غلافهـا بلهفة وفتحت العلبة . وخرجت من بين شفتيها آهة طويلة .. فقد كانت روث كترنج تحب المجوهرات .. طول عمرها .

ـ ابي .. لكم هي جميلة !

ـ انها فريدة في نوعها .. اليس كذلك ؟ هل اعجبتك ؟

ـ اعجبتني ؟.. ابي .. انها في غاية من الروعة .. كيف حصلت عليها ؟

وابتسم فان اولدين .

ـ آه .. هذا سري .. لقد اضطررت الى شرائها خلسة .. بالطبع .. فهي مجوهرات معروفة . انظري الى هذه الياقوتة في الوسط .. هل سمعت عنها ؟.. انها «قلب من نار» ذات التاريخ العريق .

ورددت مسز كترنج :

ـ قلب من نار .

كانت قد اخرجت المجوهرات من العلبة ووضعتهـا على صدرها . واخذ المليونير يرقبها وهو يفكر في النساء اللاتي تحلين بها . وفيمـا تسببت فيه من اسى وبأس وغيرة . فان «قلب من نار» ـ مثلها مثل كل الجواهر المشهورة ـ قد خلفت وراءها سلسلة من المآسي والاحـداث العنيفة ، ولكنها بدت وكأنها قد فقدت كل عوامل الشر الكامنة فيها وهي في يد روث كترنج . فهذه المرأة الامريكية بهدوئها واتزانها لم تكن توحي بمعنى المأساة او تحطيم القلوب . واعادت روث المجوهرات الى علبتها ، ثم احاطت عنق والدها بذراعيها :

ـ شكرا .. شكرا .. شكرا يا ابي انها رائعة انك تمنحنـي اروع الهدايا دائما .

وربت فان اولدين على كتفها وقال :

ـ حسنا .. انك كل ما لي كما تعلمين يا روث .

ـ ستبقى معنا للغداء يا ابي .. اليس كذلك ؟

ـ لا اظن . هل كنت تزمعين الخروج ؟

ـ نعم ، ولكن من السهل ان الغي هذا الموعد ، فليست له اهمية .

ـ كلا . اذهبي انت لشانك . فلدي الكثير مما يشغلني . وسأراك غدا يا عزيزتي . وسأتصل بك تليفونيا . ماذا لو التقينا عند جالبريث ؟

كان اخوان جالبريث هم محامو فان اولدين في لندن . وترددت هي تقول :

ـ حسنا يا ابي . اظن ان هذا لن يعطلني عن الذهاب الى الريفييرا .

ـ متى تذهبين ؟

ـ في الرابع عشر .

ـ لا بأس . فان هذه المسائل تستغرق وقتا طويلا . وبهذه المناسبة لو كنت مكانك لما اخذت هذه المجوهرات معي الى الخارج يا روث . اتركيها في البنك .

فاومأت مسز كترنج برأسها . فقال المليونير ضاحكا :

ـ لا نريد ان يقتلوك بسبب «قلب من نار» .

فردت ابنته باسمة :

ـ ورغم ذلك ، فقد كنت انت تحملها في جيبك هكذا .

ـ نعم ..

واسترعى انتباهها شيء من التردد طرا عليه فسألته :

ـ ماذا بك يا ابي ؟

فابتسم وقال :

ـ لا شيء ، انما كنت افكر في مغامرة صغيرة حدثت لي في باريس.

ـ مغامرة ؟

ـ نعم . في الليلة التي اشتريت فيها هذه المجوهرات .

واشار بيده الى علبة المجوهرات .

ـ هلا اخبرتني .

ـ ليس هناك ما يستحق الذكر . لقد تتبعني بعض قطاع الطرق في باريس ، ولكني اطلقت عليهم النار وفروا ، هذا هو كل ما في الامر ..

نظرت اليه بشيء من الفخر وقالت :

ـ انك لا يستهان بك .

ـ اظن ذلك .

وقبلها وافترقا . وعند وصوله الى فندق سافوي ، اصدر امـرا مقتضبا الى نايتون :

ـ استدع رجلا يدعى جوني . ستجد عنوانه في مفكرتي الخاصـة ليكن هنا غدا صباحا في التاسعة والنصف .

ـ نعم يا سيدي .

ـ واريد ايضا أن ارى مستر كترنج . احضره هنا . حاول الاتصال بنادية . احضره باية وسيلة . ورتب لي لقاء معه هنا غدا . وليكن الموعد

متأخرا قليلا . حوالي الثانية عشرة . فهو نؤوم الضحى .

وأوما السكرتير برأسه علامة فهمه لهذه التعليمات كلها ، ودخل فان اولدين ليأخذ حماما ، وبينما هو مستلق في الماء الساخن ، كان عقله يستعيد حديثه مع ابنته . وبصفة عامة كان مستريحا لما حدث . فقد أستقر رأيه منذ وقت طويل على ان الطلاق هو الحل الوحيد لمشكلة روث. وقد وافقت روث على الحل الذي اقترحه بسرعة اكثر مما كان موقعا . ورغم كل شيء ، ورغم قبولها ، الا انه كان يحس احساسا غامضا بالقلق. شيء ما في سلوكها لم يكن طبيعيا . وتمتم لنفسه :

ـ ربما كان هذا محض خيال . ورغم ذلك فاكاد اجزم بأن هناك شيئا ما لم تخبرني به .

* * *

شخص مفيد

لم يكد دوفوس فان اولدين يفرغ من افطاره المكون من القهوة والتوست الجاف ـ وهو كل ما كان يسمح لنفسه به ـ حتى دخل نايتون الغرفة :

ـ مستر جوبي بالطابق الاسفل يا سيدي في انتظار مقابلتك .

ونظر المليونير الى الساعة . كانت التاسعة والنصف تماما . وقال باقتضاب :

ـ لا بأس . يستطيع ان يحضر الى هنا .

وبعد دقيقة او اثنتين دخل مستر جوبي . كان رجلا قصيرا ، متوسط العمر ، رث الثياب . له عينان تنظران الى كل شيء حوله في الغرفة فيما عدا محدثه .

وقال المليونير :

ـ صباح الخير يا جوبي . تفضل بالجلوس .

ـ شكرا يا مستر فان اولدين .

وجلس مستر جوبي وقد عقد يديه على ركبتيه ، واخذ يحدق في جهاز التدفئة ..

ـ لدي عمل لك .

ـ نعم يا مستر فان اولدين .

ـ ان ابنتي متزوجة من ديرك كترنج . ربما تعلم هذا .

ونقل مستر جوبي نظرته من جهاز التدفئة الى درج المكتب على الناحية اليسرى وابتسم . كان مستر جوبي يعرف اشياء كثيرة ، ولكنه

لم يكن ليصرح بهذه الحقيقة .

ـ انها على وشك ان ترفع قضية الطلاق تنفيذا لنصيحتي . وهذه بالطبع مهمة المحامي . ولكن لاسباب خاصة أريد ان اعرف معلوماته كاملة.

ونظر مستر جوبي الى حاجز الشرفة ، وتمتم :

ـ مستر كترنج ؟

ـ نعم .. عن مستر كترنج .

ـ حسنا يا سيدي .

ونهض مستر جوبي واقفا :

ـ متى تقدم لي المعلومات ؟

ـ هل انت في عجلة من الامر يا سيدي ؟

ورد المليونير :

ـ انني دائما في عجلة من أمري .

وابتسم مستر جوبي وهو ينظر الى حاجز المدفأة وسأل :

ـ في الساعة الثانية من بعد ظهر اليوم ؟

ـ مفهوم . سعدت صباحا يا مستر جوبي .

ـ سعدت صباحا يا مستر فان اولدين .

وعندما خرج مستر جوبي ، ودخل السكرتير قال المليونير :

ـ انه رجل مفيد للغاية . ولا يجاريه احد في هذا المضمار .

ـ وما هو هذا المضمار ؟

ـ المعلومات . امنحه ٢٤ ساعة فقط وسيضع امامك كل دقائق حياة اسقف كنتربري .

وابتسم نايتون وقال :

ـ انه مفيد حقا .

ـ لقد افدت من خبرته مرة او مرتين من قبل . والان يا نايتون .. هيا الى العمل .

وفي الساعات القليلة التالية انهى فان اولدين الكثير من اعماله بسرعة. وفي الساعة الثانية عشرة والنصف دق جرس التليفون . وقبل لمستر فان اولدين ان مستر كترنج قد حضر . ونظر نايتون وأدرك ما تعنيه اشاراته القصيرة ، فأجاب على التليفون قائلا :

ـ دع مستر كترنج يصعد من فضلك .

وجمع السكرتير اوراقه وخرج ، والتقى مع الزائر في المدخل ، وانحنى ديرك كترنج جانبا ليدع الآخر يمر ، ثم دخل واغلق الباب من خلفه :

ـ صباح الخير يا سيدي . سمعت انك شديد اللهفة على رؤيتي .

واثار الصوت الكسول بنبرة السخرية الخفيفة التي احاطت به ذكريات فان اولدين . لقد كان لهذا الصوت دائما سحر خاص . والقى

على زوج ابنته نظرة طويلة . كان دبرك كترنج في الرابعة والاربعين . نحيلا ، ذا وجه اسمر صغير ، كوجه صبي . وقال فان اولدين باقتضاب:

ـ تفضل بالجلوس .

والقى كترنج بنفسه على مقعد ونظر الى حميه وقال :

ـ لم ارك منذ فترة طويلة . حوالي سنتين . هل رأيت روث ؟

ـ نعم رأيتها مساء امس .

وقال الاخر بخفة :

ـ انها في صحة طيبة ، اليس كذلك ؟

فرد فان اولدين بجفاء :

ـ لا اظن انك رأيتها لتحكم .

فرفع دبرك كترنج حاجبيه وقال باستخفاف :

ـ آه . انا نلتقي احيانا في نفس النادي الليلي كما تعلم .

وقال فان اولدين باقتضاب :

ـ انني لن الف وادور . لقد نصحت روث بان تقدم طلبا للطلاق .

وبدا دبرك كترنج غير منتبه اطلاقا لهذا الكلام .

ـ يا له من اجراء عنيف . اتسمح لي بالتدخين يا سيدي ؟

واشعل سيجارة ونفث سحابة طويلة من الدخان وقال بلا اكتراث :

ـ وماذا قالت روث ؟

ـ لقد وافقت على رأيي .

ـ حقا ؟

وسأله فان اولدين بحدة :

ـ اهذا كل ما لديك ؟

والقى كترنج برماد سيجارته في وعاء الفحم وقال :

ـ اعتقد انها ترتكب خطأ جسيما بهذا .

فرد فان اولدين متجهما :

ـ من وجهة نظرك طبعا .

وقال الاخر :

ـ دعنا نكن موضوعيين . لم اكن افكر في نفسي في هذه اللحظة . كنت افكر فيها وانت تعلم ان والدي العجوز لن يعيش طويلا ، فقد اجمع الاطباء على ذلك . ومن الافضل لروث ان تنتظر سنتين اخريين فاصبح انا لورد ليكونبري ، وتصبح هي عقيلة لورد ليكونبري ، وهو ما تزوجتني من اجله .

وزمجر فان اولدين :

ـ لن اقبل هذه الوقاحة منك .

وابتسم دبرك كترنج دون ان يهتز وقال :

ـ انني انفق معك . انها فكرة قديمة تلم بعد الالقاب مغرية في هذه

الايام . ورغم ذلك فان ليكونبري مكان عريق ورائع والى جانب ذلك فنحن من اعرق الاسر في انجلترا ، ولا شك انه مما يضايق روث ان تطلق مني لتجدني متزوجا من اخرى ، وتتوج امراة اخرى على ليكونبري بدلا منها.

وقال فان اولدين :

ـ انني جاد .

ـ وانا ايضا . فانا اعاني صائقة مالية . وسيضعني الطلاق في موقف حرج . ثم اذا كانت تحملتني عشر سنوات ، فلماذا لا تتحملني وقتا اخر. اني اؤكد لك ان الرجل العجوز لن يعيش اكثر من ستة ونصف . وكما قلت لك من قبل من المؤسف الا تحصل روث على ما تزوجتني من اجله.

ـ تعني ان ابنتي تزوجتك من اجل اللقب والمركز ؟

وضحك دبرك كترنج ضحكة لا تحمل معنى السرور :

ـ اكنت تعتقد انه زواج قائم على الحب ؟

فرد فان اولدين ببطء :

ـ اعلم انك كنت تتحدث بلهجة مغايرة تماما في باريس منذ عشر سنوات .

ـ حقا .. ربما ، كانت روث جميلة كما تعلم ، كملاك او قديسة او كشيء هبط من السماء . وكنت ارغب في ان ابدا صفحة جديدة من الاستمرار والعيش طبقا لاعراق التقاليد الانجليزية مع زوجة جميلة تحبني.

وضحك ضحكة اخرى . وقال :

ـ ولكنك لا تصدق .. كما اعتقد .

فرد فان اولدين :

ـ اني لا اشك لحظة في انك تزوجت روث من اجل ثروتها .

ورد الاخر ساخرا :

ـ وانها تزوجتني من اجل الحب !

ـ بالتاكيد .

فنظر اليه دبرك كترنج قليلا ثم اومأ براسه مفكرا :

ـ ارى انك تصدق هذا الزعم .. كما صدقته انا في وقت ما .. ولكني اؤكد لك يا حماي العزيز اني سرعان ما اكتشفت خطأه .

لا ادري ماذا يعني بهذا .. ولا يهمني .. لقد اسأت معاملة روث .

وواصل كترنج قائلا باستخفاف :

ـ نعم .. ولكنها عنيدة كما تعلم .. انها ابنتك .. فتحت هذه الرقة والنعومة تخفي صلابة كالجرانيت .. لقد اشتهرت بانك رجل صعب المراس ولكن روث اصعب منك كثيرا . فانت ـ على الاقل ـ تحب شخصا اكثر من نفسك . اما روث فهي لم تفعل ذلك ابدا .. ولن تفعله .

ـ هذا يكفي .. لقد طلبت حضورك الى هنا لكي اخبرك بكل صراحة بما عزمت عليه . يجب ان تحظى ابنتي بشيء من السعادة ولتذكر

ايضا .. اني اساندها .

نهض ديرك كترنج ووقف الى جوار المدفأة . والقى بسيجارته بعيدا.

وعندما تكلم كان صوته غاية في الهدوء :

ـ ترى .. ماذا تعني بكلامك هذا ؟

ـ اعني انه من الافضل لك الا تعارض في طلب الطلاق .

ـ آه .. اهذا تهديد ؟

ـ لتفهمه كما يحلو لك .

وجذب كترنج مقعدا ناحية المنضدة .. وجلس قبالة المليونير وقال برقة :

ـ ولنفرض جدلا اني عارضت في طلب الطلاق .

فهز فان اولدين كتفيه وقال :

ـ انك لا تقف على ارض صلبة ايها المغفل . ولتسأل محاميك . وسيخبرك بذلك . لقد كان سلوكك مشينا . وكان حديث لندن كلها .

ـ لقد اثارت روث ضجة حول ميراي ، وكان هذا غباء منها ، فانا لا اتدخل في علاقاتها باصدقائها .

وساله فان اولدين بحدة :

ـ ماذا تعني ؟

فضحك ديرك كترنج وقال :

ـ ارى انك لا تعلم كل شيء يا سيدي . انك متحيز ضدي ، وقد يكون هذا شيئا طبيعيا .

والتقط قبعته وعصاه ، واتجه ناحية الباب ، وكانت اخر طعنة وجهها هي قوله :

ـ انني عادة لا احب تقديم النصائح ، ولكن في هذه الحالة انصحك بكل شدة بوجوب الصراحة التامة بينك وبين ابنتك .

ودلف سريعا خارج الغرفة واغلق الباب خلفه في اللحظة التي قفز فيها المليونير واقفا ، ثم عاد فان اولدين وجلس مرة اخرى الى مقعده قائلا :

ـ بحق الجحيم .. ماذا يعني بكلامه هذا ؟!

وعاوده القلق الطاغي مرة اخرى ، فهناك شيء ما لم يستطع ان ينفذ الى اعماقه .. وكان التليفون قريبا منه ، فطلب منزل ابنته :

ـ هالو .. هالو .. هل هذه ماي فير ٨١٩٠٧ ؟ هل مسز كترنج موجودة ؟ آه .. بالخارج ؟ نعم لتتناول الغداء .. ومتى تعود ؟ لا تعلم ؟ حسنا .. لا ليست هناك رسالة .

والقى بسماعة التليفون قاضبا .

وفي الساعة الثانية كان يدرع غرفته في انتظار جويي ، الذي وصل بعد الثانية بعشر دقائق .

وابتدره المليونير قائلا بحدة :

ـ حسنا .. هات ما عندك .

ولكن مستر جويي لم يكن من ذلك النوع الذي يمكن انتزاع الكلام منه بسرعة . فجلس الى المائدة واخرج مفكرة رثة ، وشرع يقرأ منها في صوت رتيب .

وانصت المليونير باهتمام متزايد . وانبهى جويي من القراءة . ونظر باهتمام الى سلة المهملات . وقال فان اولدين :

ـ ان الامر يبدو محددا الان . وسنعرو القضية بسلام . واعتقد ان شهادة الفندق كافية .. اليس كذلك ؟

فرد مستر جويي وهو ينظر الى مقعد مذهب :

ـ تماما .

ـ ومن الناحية المالية فهو يعاني ضائقة شديدة . وهو يحاول الحصول على قرض الان كما تقول . وقد حصل فعلا على كل ما امكنه من قروض معتمدا على ما سيئول اليه من ابيه . فاذا شاعت اخبار الطلاق . فلن يتمكن من الحصول على اي قرض ، ليس هذا فقط . ولكن من الممكن ايضا الضغط عليه من هذه الناحية . انه في قبضتنا تماما .

وضرب المنضدة بقبضته ، ووجهه تشع فيه نشوّة الانتصار .

وقال مستر جويي في صوت رفيع :

ـ ان المعلومات تبدو مطمئنة .

وقال المليونير :

ـ يجب ان اذهب الان الى شارع كيرزون ، وانني شاكر لك يا جويي فقد حصلت على ما اريد .

وبدت ابتسامة شاحبة على وجه الرجل القصير . وقال :

ـ شكرا يا مستر فان اولدين ، انني احاول بذل اقصى ما في وسعي.

ولم يذهب فان اولدين مباشرة الى شارع كيرزون ، بل ذهب اولا الى المدينة حيث اجرى مقابلتين زادتا من اطمئنانه الى الموقف ، ومن هناك اخذ مترو الانفاق الى شارع دادن . وبينما كان يسير في شارع كيرزون خرج شخص من المنزل رقم ١٦٠ . وانحرف في الشارع متجها ناحيته . وتقابلا على نفس الرصيف ، ثم استمر كل في طريقه ، وقد ظن المليونير برهة ان هذا الشخص هو ديرك كترنج نفسه ، اذ له نفس القامة ، ونفس بنيان الجسم ، ولكن عندما التقيا وجها لوجه ، اكتشف ان الرجل الاخر غريب عنه ، على الاقل لا .. ليس غريبا . لقد كان في وجهه شيء ما . حاول المليونير ان يتذكر كنهه ، فقد كان مرتبطا بذكرى غير سارة حاول جاهدا ان يتذكر ما هي ، ولكنه لم يستطع ـ فعاود السير في طريقه ، وهو يهز رأسه بانفعال . فقد كان بكره الهزيمة .

وكان واضحا ان روث كترنج تتوقع مجيئه ، فجرت اليه وقبلته عندما

دخل :

ـ الان يا ابي . كيف تسير الامور ؟

ـ على ما يرام ، ولكن لي كلمة او اثنتين معك يا روث .

وبلا وعي رأى النفير الذي طرأ عليها . وبدلا من فرحة لقياه وتحيته بان على وجهها الترقب . وجلست في مقعد كبير ، وسألته :

ـ حسنا يا ابي . ماذا هناك ؟

فرد فان اولدين :

ـ لقد التقيت بزوجك هذا الصباح .

ـ ارأيت دبرك ؟

ـ نعم . وقال لي الكثير من كلامه الرنيم . وقبل ان يغادر الغرفة قال شيئا لم استطع ان افهمه . نصحني بان تكون هناك ثقة تامة بيني وبينك ، تماما عني بذلك يا روني ؟

وتململت مسز كترنج قليلا في مقعدها .

ـ انا ؟ انا لا اعلم يا ابي . وانى لي ذلك ؟

فقال مستر اولدين :

ـ انت تعلمين بالطبع . ثم انه قال شيئا اخر عن حريته في اختيار اصدقائه . وعدم تدخله في اختيارك لاصدقائك ، فماذا يعني بذلك ؟

وردت روث مرة اخرى :

ـ لا ادري .

وجلس فان اولدين . وقد زم شفتيه . وقال :

ـ اسمعي يا روث . انني لن اتدخل في هذا الموضوع وانا مغمض العينين . فلست واثقا من ان زوجك هذا لن يثير المتاعب ، ولكني لست امكنه من ذلك ، فلدي من الوسائل ما يمكنني من ان اسكته واغلق فمه الى الابد ، ولكن يجب ان اعلم ما اذا كانت هناك ضرورة لاستخدام هـــذه الوسائل ، فماذا كان يعني بان لك اصدقاءك ؟

وهزت مسز كترنج كتفيها وقالت بتردد :

ـ ان لدي الكثير من الاصدقاء ، ولا ادري ماذا كان يعني ؟

ـ بل تعلمين .

كان يتكلم في هذه اللحظة كما لو كان يتحدث الى خصم في العمل .

ـ ساكون اكثر وضوحا . ومن هو الرجل ؟

ـ اي رجل ؟

ـ الرجل . هذا الذي يعنيه دبرك بكلامه . شخص معين تربطك به صداقة . لا داعي للقلق يا عزيزتي ، فانا اعلم الا شيء هناك ولكن يجب ان ننظر الى كل شيء من وجهة النظر التي ستبدو بها للمحكمة ، فكما تعلمين يستطيعون ان يقلبوا الامور وفق هواهم . اريد ان اعلم من هو الرجل ، ومدى صلتك به .

ولم تجب روث . كانت تعرك يديها في عصبية ظاهرة .

وقال فان اولدين بصوت اكثر رقة :

ـ هيا يا عزيزتي ، لا تخشي شيئا من ابيك العجوز . انني لم اكن هنا معك تلك المرة في باريس . اليس كذلك ؟

وسكت كمن اصابته صاعقة . وتمتم لنفسه قائلا :

ـ هو ذا الرجل . لقد تذكرت اني رأيت هذا الوجه .

ـ نعم تتحدث يا ابي ؟ انني لا افهمك .

وسار الملبورني اليها . وامسك معصمها بشدة وقال :

ـ اسمعي يا روث . هل عدت الى لقاء هذا الرجل ؟

ـ اي رجل ؟

ـ ذلك الذي ناوت حوله ضجة منذ عدة سنوات . انت تعلمين جيدا من اعني ؟

وترددت لم قالت :

ـ اعني .. اعني الكونت دي لاروش ؟

وهتف فان اولدين :

ـ كونت دي لاروش . لقد اخبرتك عندئذ ان هذا الرجل ليس الا محتالا . وكنت قد نورطت معك عندئذ ولكنني استطعت ان اخلصك من قبضته .

فردت روث بمرارة :

ـ نعم لقد فعلت . وتزوجت انا من دبرك لترنيح .

وقال الملبورني بحدة :

ـ لقد اردت انت ذلك .

فهزت كتفيها .

وقال فان اولدين ببطء :

ـ والان .. عدت الى الالتقاء به مرة اخرى بعد كل ما اخبرتك به . لقد حضر الى منزلك اليوم . وقد التقيت به في الخارج ، وان لم استطع التعرف عليه لاول وهلة .

واستعادت روث كترنج سيطرتها على نفسها ، وقالت :

ـ اني اريد ان اخبرك شيء واحد فقط يا ابي . انك مخطىء في بعض ارمان . اعني الكونت دي لاروش . اعلم انه قد ارتكب بعض الحوادث المشينة في شبابه ، وقد حدثني عنها ، ولكنه كان دائم الاهتمام بي . لقد عطفت عليه عندما فرقت بيننا في باريس . والان ..

وقطع حديثها ما ابداه والدها من استياء .

ـ اذن فقد انحدرت الى هذا الدرك . اليس كذلك ؟ انت ابنتي .. يا الهي !

ورفع ذراعيه وقال :

ـ هل يصل البله بالنساء الى هذا الحد !؟

* * *

ميراي

خرج ديرك كترنج من جناح فان اولدين بسرعة . حتى انه اصطدم ببيدة كانت تعبر الممر . فاعتذر . وقبلت اعتذاره بابتسامة ومضت في طريقها . وقد تركت في نفسه انطباعا ممتعا بشخصيتها لطيفة . وعينين رماديتين جميلتين .

ورغم كل ما ابداه من عدم الاكتراث . الا ان حديثه مع حميه قد هزه بدرجة اكبر مما كان يبدو عليه . وتناول غداءه وحيدا . ثم ذهب الى الشقة الفاخرة التي كانت تقطنها السيدة التي تدعى ميراي . واستقبلته سيدة فرنسية انيقة وهي تبتسم وقالت :

ـ لتتفضل بالدخول يا سيدي . ان سيدتي تنتظرك .

وقادته الى الغرفة الطويلة بأثاثها الشرقي والتي كان يعرفها جيدا . كانت ميراي ترقد على اريكة ومستندة الى عدد هائل من الوسائد في لون الكهرمان تنسجم مع بشرتها العاجية . وكانت الراقصة رائعة التكوين . ورغم ان وجهها كان شاحبا . الا انها كانت تتمتع بجاذبية خاصة . وابتسمت شفتاها المصبوغتان باللون البرتقالي لديرك كترنج .

وقبلها . ثم القى بنفسه الى مقعد .

ـ ماذا كنت تفعلين ؟ اتراك استيقظت لتوك ؟

وافتر الفم البرتقالي عن ابتسامة واسعة ، وقالت الراقصة :

ـ كلا ، لقد كنت اعمل .

واشارت بيدها الطويلة الشاحبة الى البيانو ، وقد تناثرت عليه النوت الموسيقية .

وتسللت ميراي بهدوء من مضجعها وذهبت اليه ، ولفت ذراعها الطويل كالثعبان حول عنقه وقالت :

ـ انك مغفل يا ديرك . مغفل للغاية ، انك ولد جميل . وانا معرفة بك ، ولكني لم اخلق للفقر ، كلا بالتأكيد لم اخلق للفقر . الان انصت الي . ان كل شيء في غاية البساطة ، يجب ان تسوي امورك مع زوجتك.

فرد ديرك بجفاء :

ـ اخشى الا يكون هذا ممكنا .

ـ ماذا تقول ؟ انني لا افهمك .

ـ ان فان اولدين يا عزيزتي لا يقبل ، فهو من ذلك النوع الذي يصمم على شيء ولا يحيد عنه .

فاومأت الراقصة براسها وقالت:

ـ لقد سمعت عنه . انه واسع الثراء . اليس كذلك ؟ وربما يكون اغنى رجل في اميركا ، ومنذ بضعة ايام ـ في باريس ـ اشترى أروع باقوتة في العالم ، يطلقون عليها اسم «قلب من نار» !

ولم يحر كترنج جوابا ، واستطردت الراقصة تقول وهي تفكر :

ـ انها جوهرة رائعة ، جوهرة يجب ان تقتنيها امرأة مثلي ، فانا احب المجوهرات يا ديرك . فهي تحدثني بشيء ما ، آه لو اني انحلى بباقوتة مثل «قلب من نار» .

واطلقت زفرة قصيرة ، ثم عادت امرأة عملية مرة اخرى .

ـ انك لا تفهم هذه الاشياء يا ديرك ، فانت مجرد رجل وكما اعتقد، فسوف يقدم فان اولدين هذه المجوهرات الى ابنته ، اليست هي ابنته الوحيدة ؟

ـ نعم .. وعندما يموت سترث كل ثروته ، وتصبح امرأة ثرية .

ورد كترنج بجفاء :

ـ انها ثرية الان .. فقد منحها مليونين عند زواجها .

ـ مليونين !.. ولكن هذا مبلغ هائل ، ولو انها ماتت فجأة سترث انت كل ذلك ؟

فقال كترنج ببطء :

ـ في الوقت الحاضر نعم . فعلى قدر معلوماتي لم تكتب وصية .

فصاحت الراقصة :

ـ يا الهي .. يا له من حل ، لو قدر لها ان تموت .

ولبثت ذلك فترة صمت . ثم ضحك ديرك كترنج وقال :

ـ انني معجب بتفكيرك البسيط العملي يا ميراي ، ولكن اخشى الا يتحقق ما تريدين ، فزوجتي تتمتع بصحة جيدة .

وقالت ميراي :

ـ حسنا .. ولكن هناك حوادث تقع ؟

فنظر اليها بحدة . ولكنه لم يجب .

واستطردت :

ـ ولكنك على حق يا صديقي ، فيجب الا تفكر كثيرا في الاحتمالات . اسمع الان يا ديرك الصغير ، يجب الا تذكر ابدا هذا الطلاق ، ويجب ان تكف عن هذه الفكرة .

ـ وماذا اذا لم تفعل ؟

وضاقت عينا الراقصة ثم قالت :

ـ اعتقد انها ستفعل يا صديقي ، فهي من ذلك النوع الذي لا يحب الفضيحة ، وهناك بعض الروايات ان تحب ان يقراها الصحفيون.

فسألها كترنج بحدة :

ـ ماذا تعنين ؟

فالقت ميراي برأسها الى الخلف وهي تضحك قائلة :

ـ اعني الرجل الذي يطلق على نفسه الكونت دي لاروش . فانا اعلم كل شيء عنه ، لا تنس انني باريسية ، وقد كان صديقها قبل ان تتزوجك، اليس كذلك ؟

فامسك كترنج بكتفيها بشدة وقال :

ـ هذا محض افتراء ، ارجو الا تنسى انك تتحدثين عن زوجتي .

ـ انا لا أن لدي اصدقاء في باريس يا عزيزتي ديرك وهم يعرفون الكونت معرفة وثيقة . ان كل شيء مرتب ترتيبا دقيقا ، ان زوجتك ستذهب الى الريفييرا ، او هكذا تقول ، ولكنها في الواقع تلتقي بالكونت في باريس ، ومن يدري .. نعم .. لنتبق بكلامي ، فكل شيء معد اعدادا دقيقا .

فصرخ كترنج قائلا :

ـ بحق الله .. اسكتي واغلقي فمك اللعين .

والقت ميراي بنفسها مرة اخرى على الاريكة وهي تضحك وتناول كترنج قبعته ومعطفه وغادر الشقة ، وقد صفق الباب بعنف . وظلت الراقصة جالسة على الاريكة تضحك برقة الى نفسها ، فقد كانت سعيدة بالدور الذي قامت به .

***

عرض مرفوض

من النادر ان يطلق ديرك كترنج العنان لغضبه ، فقد كانت اللامبالاة هي طابعه المميز ، وطالما ساعده ذلك على الخروج من مآزق كثيرة كان يجد نفسه فيها ، وحتى الان ، عندما ترك شقة ميراي . وكان قد بدأ يهدأ .. لقد كان فعلا في حاجة الى الهدوء ، وكان المآزق الذي وجد نفسه فيه الان اصعب كثيرا من اي وقت مضى ، فقد طرأت عوامل لم تكن في الحسبان، ولم يكن يدري كيف يتصرف حيالها .

ومضى في طريقه وهو مستغرق في التفكير وقد عقد حاجبيه ، وتخلت عنه روح المرح والبساطة ، وطافت بفكرة احتمالات عدة ، وربما قيل عن ديرك كترنج انه اقل غفلة مما يبدو عليه ، ورأى امامه عدة طرق يمكن ان يسلكها برئو من بينها واحد بعينه ، فاذا جفل منه ، فانما كان ذلك للحظة ، فالمرض الميئوس منه ، ليس له الا علاج ميئوس منه .

لقد خبر حماه تماما ، وعرف ان اي حرب بين ديرك كترنج وروفوس فان اولدين لن تكون لها الا نهاية واحدة ، واخذ ديرك يلعن المال والقوة

المستعدة منه ، وسار في شارع سانت جيمس عبر بيكاديلي ، ومضى في اتجاه ميدان بيكاديلي ، وعندما مر امام مكتب توماس كوك واولاده ابطأ قليلا ، وعلى اية حال فقد عاود سيره وهو يقلب الامر من جميع وجوهه، واخيرا اومأ برأسه ايماءة قصيرة ، واستدار فجأة بدرجة انه اصطدم بالذين من المارة كانا يسيران خلفه تماما ، وعاد من حيث اتى ، ولكنه هذه المرة لم يعر من امام مكتب كوك واتما دخله ، وكان المكتب خاليا نسبيا ، فسأل الموظف من فوره :

ـ اريد ان اذهب الى نيس في الاسبوع القادم .

ـ متى يا سيدي ؟

ـ في الرابع عشر .. ما هو افضل قطار ؟

ـ بالطبع افضلها جميعا ما يطلقون عليه اسم القطار الازرق ، وفيه تتفادى متاعب الجمارك في كالي .

فاومأ ديرك برأسه ، اذ كان يعلم هذا كله . وهمس الموظف :

ـ الرابع عشر .. انه موعد قريب نوعا ، فالقطار الازرق في العادة محجوز دائما .

وقال ديرك :

ـ ربما كانت هناك مقصورة خالية ، فاذا لم يكن ..

ولم يتم جملته ، ولاحت ابتسامة غريبة على وجهه .

واضفى الموظف بضع دقائق .. ثم عاد ليقول :

ـ افعلنا يا سيدي .. هناك ثلاث مقصورات ما زالت خالية ، ساحجز لك واحدة منها ، باسم من ؟

فرد ديرك بقوله :

ـ بافيت .

واعطى عنوان سكنه في شارع جرمين ، فاومأ الموظف برأسه وانتهى من كتابة الاسم ، وتمنى لديرك يوما سعيدا ، واستدار الى العميل التالي.

ـ اريد ان اذهب الى نيس في اليوم الرابع عشر ، اليس هناك قطار اسمه القطار الازرق ؟

ونظر ديرك خلفه بحدة :

مصادفة .. مصادفة غريبة ! وتذكر كلماته الى ميراي ، صورة سيدة ذات عينين رماديتين : « الا اظن اني سارأها مرة اخرى» ولكن ها هو يراها مرة ثانية ، بل اكثر من ذلك كانت ستذهب الى الريفييرا بنفس القطار الذي سينقله هو .

وسرت في جسده رعدة ، فقد كان يؤمن بالخرافات الى حد ما . لقد قال وهو يضحك انه ربما جلبت هذه المرأة له سوء الطالع . ولنفرض.. ولنفرض انها فعلا كانت كذلك .

وعاد ينظر اليها مرة اخرى عندما وصل الى الباب ورآها تتحدث الى

الموظف ، ولاول مرة لم تخنه ذاكرته ، فهي سيدة .. سيدة بكل معنى الكلمة ، لم تكن صغيرة السن ولا متميزة الجمال ، ولكن هناك شيئا ما ربما كان هاتان العينان اللتان قد تربان اكثر من اللازم ، وعندما دلف من الباب ، كان يشعر بخوف غامض من هذه المرأة ، كان لديه احساس بالخطر .

دخل الى غرفته في شارع جرمين ، ونادى نايمه وقال له :

ـ خذ هذا الشيك يا بافيت واذهب الى مكتب كوك في بيكاديللي وستجد هناك بعض التذاكر محجوزة باسمك ، فادفع ثمنها وعد بها .

ـ حسنا يا سيدي ..

وانسحب بافيت .

ومشى ديرك الى منضدة جانبية والتقط ملء يده من الخطابات كانت كلها مالوفة لديه ، فواتير صغيرة وكبيرة ، وكلها مستحقة الدفع ، وكانت لهجة المطالبة ما زالت مهذبة ، ولكنه كان يعلم ان هذه اللهجة ستتغير اذا .. اذا ذاع نبأ معين .

والقى بنفسه على مقعد كبير مكسو بالجلد .. يا له من مازق ، ذلك الذي وجد نفسه فيه .. نعم مازق حرج ، لا سبيل الى الهرب منه .

وحضر بافيت تلوح على وجهه ابتسامة ذكية ، وقال :

ـ هناك رجل يطلب مقابلتك يا سيدي ، ماجور نايتون .

واعتدل ديرك في جلسته ، وقطب حاجبيه ، وبدا حذرا بغتة ، وقال لهجة الطف ربما لنفسه :

ـ نايتون !.. ترى ماذا جلب من اخبار الان ؟

ـ هل اسمح له بالدخول ؟

فاومأ سيده براسه ، وعندما دخل نايتون الغرفة وجد مضيفه يتوشا ساخرا في انتظاره ، وقال ديرك :

ـ كم هو لطيف منك ان تحضر الى هنا .

وبدا نايتون عصبيا ، ولاحظ الاخر بعينيه الثاقبتين، كان من الواضح ان المهمة التي حضر من اجلها السكرتير بغيضة الى نفسه ، فرد بطريقة آلية على حديث ديرك الذي انساب في يسر، واعتذر عن تناول اي شراب، وبدا سلوكه جافا عن ذي قبل، وبدا على ديرك انه لاحظ ذلك، فقال بمرح:

ـ والان ماذا يريد حمامي المبجل مني ؟ لعلك حضرت في مهمة على ما اعتقد ؟

ولم يبتسم نايتون ، وانما قال بحرص :

ـ نعم .. كنت .. كنت اود لو ان مستر فان اولدين اختار لهذه شخصا غيري .

فرفع ديرك حاجبيه في قنوط ساخر :

ـ ايكون الامر سيئا الى هذا الحد ؟! اؤكد لك يا نايتون اني لا اثاثر

بسهولة .

فرد نايتون :

ـ كلا .. ولكن ..

وتوقف عن الحديث ، فنظر اليه ديرك نظرة ثاقبة ، وقال بلطف :

ـ هيا .. هات ما عندك ، ففي رأيي ان اية مهمة لحمامي العزيز لا بد ان تكون مهمة سارة .

وتنحنح نايتون . وتكلم بلهجة حاول الا يبدو فيها مرتبكا فقال :

ـ لقد بعث بي مستر فان اولدين لاعرض عليك عرضا محددا .

ـ عرضا ؟!

وبدت الدهشة على ديرك برهة . اذ كانت كلمات نايتون الصريحة ليست كما توقع ، فقدم اليه سيجارة ، واشعل لنفسه اخرى ، ثم جلس في المقعد بنعم بصوت ساخر :

ـ عرضا .. هذا يبدو مسليا .

ـ هل استمر ؟

ـ ارجو ، واغفر لي دهشتي ، اذ يبدو ان حمامي العزيز قد تناول قليلا منذ لقائنا هذا الصباح ، ثم ان التناول ليس من سمات الرجال الاثرياء اباطرة المال ، وهذا معناه .. اعتقد ان هذا معناه، انه وجد موقفه اضعف مما كان يظن .

وانصت نايتون بادب الى الصوت المنساب الساخر ، ولكن لم يبد على وجهه اي شيء ، وانتظر حتى انتهى ديرك من حديثه ، ثم قال بهدوء :

ـ سأقدم لك العرض في اقل عدد ممكن من الكلمات .

ـ استمر .

ولم ينظر نايتون الى الاخر ، بل قال بلهجة مقتضبة واقعية :

ـ ان الامر ببساطة كالاتي ، فكما تعلم ان مستر كنرنج على وشك ان يقدم طلبا للطلاق ، فلو مرت القضية دون معارضة منك ، فسوف تحصل على مائة الف في نفس اليوم الذي يصبح فيه الحكم نهائيا .

وتوقف ديرك عن اشعال سيجارته فجاة وقال بحدة :

ـ مائة الف ! دولار ؟

ـ مائة الف جنيه .

وساد الصمت العميق دقيقتين كاملتين ، وعقد كنرنج حاجبيه وهو يفكر :

ـ مائة الف جنيه . ان هذا يعني حصوله على ميراي واستمرارا لثروته الفاحشة العائمة ، كان يعني ايضا ان فان اولدين يعرف شيئا ، فهو لم يكن الشخص الذي يدفع دون مقابل ، ونهض ديرك ووقف الى جوار المدفأة وسأل بصوت بارد ساخر :

ـ واذا ما رفضت هذا العرض السخي ؟

واشار اليه نايتون في توسل وقال بلهفة :

ـ اؤكد لك يا مستر كترنج انني لم احضر الى هنا بهذه الرسالة الا رغما عني .

فرد كترنج :

ـ لا عليك . لا ترهق نفسك ، فليست الغلطة غلطتك . والان لقد وجهت اليك سؤالا .. هلا رددت عليه .

ونهض نايتون ايضا . وتكلم رغما عنه فقال :

ـ في حالة رفضك هذا العرض ، فقد طلب مني مستر فان اولدين ان ابلغك بصراحة انه سيحطمك .

فرفع كترنج حاجبيه ، ولكنه استعاد طريقته اللاهية المرحة وقال :

ـ نعم .. نعم .. اعتقد انه يستطيع ان يفعل ذلك ، وبكل تاكيد لن استطيع ان اتحمل صراعا ضد الاميركي صاحب الملايين . مائة الف ، اذا شئت ان ترشو شخصا فلا اقل من ان تقدم عرضا مناسبا . ولنفترض اني افعل ما يريد مقابل مائتي الف .

فرد نايتون :

ـ سابلغ هذه الرسالة الى مستر فان اولدين . هل هذا ردك ؟..

ـ كلا .. من المضحك انه ليس ردي . والان تستطيع ان تذهب الى حماي تقول له ليذهب هو ورشوته الى الجحيم . اواضح هذا ؟

ـ تماما .

ونهض نايتون وتردد قليلا ثم قال وقد احمر وجهه :

ـ اتسمح لي ان اقول يا مستر كترنج انني سمعت بان هذا هو ردك! ولم يجب ديرك . وعندما غادر الاخر الغرفة بقي مستغرقا في التفكير بعض الوقت ، وقد لاحت على شفتيه ابتسامة غريبة . ثم قال بهدوء :

ـ اذن فهذا هو الموضوع .

***

في القطار الازرق

«ابي !!» .. ذعرت مسز كترنج .. وطوال هذا الصباح لم تكن اعصابها على ما يرام . كانت تسير على الرصيف المزدحم في محطة فيكتوريا وهي مستغرقة في التفكير ، وقد ارتدت معطفا طويلا من فراء المنك ، وقبعة صغيرة من اللون الاحمر . وفوجئت بظهور ابيها وتحيته الصادرة من القلب لها :

ـ ماذا اصابك يا روث ؟ لكم فزعت !

ـ لم اكن اتوقع رؤيتك يا ابي على ما اعتقد ، فقد ودعتني الليلة الماضية ، وقلت ان لديك مؤتمرا هذا الصباح .

ـ نعم .. ولكنك اهم كثيرا من كل المؤتمرات ، وقد حضرت لاراك قبل سفرك الذي يستغرق بعض الوقت .

ـ كم هو لطيف منك يا ابي ان تفعل هذا . كنت اتمنى لو انك جئت معي .

ـ ما رايك اذا فعلتها ؟

كانت مجرد كلمة عابرة ، وفوجيء بوجنتي روث تتضرجان ، بل لعله رأى ومضة اسى تلمع في عينيها . وضحكت بعصبية وقالت :

ـ لقد ظننت انك تنوي الذهاب فعلا ؟

ـ وهل كنت تسرين لهذا ؟

فقالت بتاكيد مبالغ فيه :

ـ طبعا .

ـ جميل منك هذا .

واستطردت روث تقول :

ـ لن اتعب طويلا يا ابي ، وكما تعلم ، لتذهب انت في الشهر القادم .

وقال فان اولدين بلا انفعال :

ـ آه .. اعتقد اني سأذهب احيانا الى احد الاطباء الموجودين في شارع هارلي ليؤكد لي اني بحاجة الى الشمس والهواء .

وصاحت روث :

ـ لا تكن كسولا ، فالجو هناك يكون افضل كثيرا في الشهر القادم ، ولديك من الاعمال ما لا يمكنك ان تتركه الان .

وتنهد فان اولدين وقال :

ـ هذا صحيح ، ومن الافضل ان تصعدي الى قطارك الان يا روث ، اين مقعدك ؟..

ونظرت روث كترنج بشرود الى القطار ، وعلى باب احدى عربات البولمان ، كانت تقف سيدة نحيلة طويلة ، ترتدي ثوبا اسود .. كانت هي وصيفة روث كترنج ، وانتحت جانبا عندما صعدت سيدتها وقالت :

ـ لقد وضعت حقيبة ملابسك تحت المقعد يا سيدتي ، اذ ربما تحتاجين اليها ، هل آخذ البطاطين او تحتاجين اليها ؟

ـ كلا .. لن احتاج اليها ، ومن الافضل ان تذهبي لتجدي مكانك الان يا بيرسون .

ـ نعم يا سيدتي .

ومضت الوصيفة ، ودخل فان اولدين عربة البولمان مع روث ، ووجدت مقعدها ، ووضع فان اولدين بعض الصحف والمجلات على

المنضدة امامها ، وكان المقعد المقابل لها مشغولا ، فالقى الاميركي نظرة عابرة على صاحبته ، وانطبعت في ذهنه صورة لعينين رماديتين جذابتين، وتاير انيق ، وتبادل مع ابنته الكلمات المعتادة في مثل هذا الموقف .

وسرعان ما انطلقت صفارات القطار ، فنظر الى ساعته ثم قال :

ـ من الافضل ان امضي الان ، وداعا يا عزيزتي ، لا تشغلي بالك سأتولى انا كل شيء .

ـ اوه يا ابي .

واستدار ليذهب .. شيء ما في صوت روث .. شيء غريب جعله يفزع .. لعله كان صرخة يأس .. لقد بدت كما لو كانت على وشك ان تلقي بنفسها نحوه .. ولكنها عادت وتمالكت نفسها مرة اخرى وقالت بمرح :

ـ وداعا حتى نلتقي مرة اخرى ..

وبعد دقيقتين اخريين تحرك القطار .

جلست روث في مكانها ساكتة تماما .. تعض شفتها السفلى وتحاول جاهدة ان تمنع دموعها ، وراودها احساس مفاجيء بالوحدة المروعة .. وودت لو استطاعت ان تقفز من القطار وتعود ادراجها قبل ان يفوت الوقت ، ولاول مرة في حياتها احست ـ وهي الهادئة .. والواثقة من نفسها دائما ـ كما لو كانت ورقة شجرة جرفتها الرياح .. لو ان والدها عرف .. ترى ماذا كان يقول ؟

انه جنون ـ نعم .. هو كذلك جنون .. ولاول مرة في حياتها تمتلكها العواطف بدرجة جعلتها على وشك ان تفعل شيئا تعلم تمام العلم انه جنون وطيش .. كانت ابنة فان اولدين .. وكانت تعلم تماما ما تقوم به .. وكانت من الفطنة بحيث ادانت تصرفها هذا ، ولكنها كانت ابنته ايضا .. في عزيمتها التي لا تلين وفي رغبتها في الحصول على ما تريد.. فلا يثنيها عن عزمها شيء .. ومنذ طفولتها كانت قوية الشكيمة .. وقد زادتها ظروف حياتها صلابة على صلابتها فاندفعت في طريقها ، لقد فات الاوان ، ولن تستطيع التراجع .

ورفعت عينيها .. فالتقت بعيني السيدة التي كانت تجلس قبالتها.. وطرأ على فكرها انها قد قرأت ما كان يدور بخلدها ، فقد رأت في هاتين العينين الرماديتين فهما .. وعطفا .

كان انطباعا طارئا .. سرعان ما زال ليحل محله طابع الجمود والتقطت مسز كترنج مجلة .. ونظرت كاترين جراي من خلال النافذة واخذت ترقب المناظر التي تتابعت امام ناظريها .. الشوارع والمنازل في الضواحي .

ووجدت روث صعوبة كبيرة في تركيز تفكيرها فيما امامها .. ورغما عنها ازدحم عقلها بالمخاوف .. يا لها من حمقاء !.. انها مثل اي شخص يارد الاعصاب واق من نفسه .. عندما يفقد سيطرته على نفسه ، يفقدها

تماما ، لقد تأخر الوقت ، احقا تأخر الوقت ؟ لو انها تجد شخصا تتحدث معه ، لو انها تجد انسانا ينصحها .. لم تراودها ابدا هذه الامنية من قبل ، ولم تكن لتطمئن الى اي تقدير غير تقديرها هي ، ولكن الان .. ماذا حدث لها ، الرعب ، نعم .. هذا هو احسن وصف لما تعانيه ، الرعب ، هي روث كترنج .. كانت واقعة تماما تحت سيطرة هذا الاحساس بالرعب .

ونظرت نظرة متفحصة الى السيدة الجالسة امامها ، لو انها كانت تعرف شخصا مثلها ، شخصا لطيفا هادئا عطوفا ، فان مثل هذا الشخص هو من تستطيع ان تتحدث معه ، ولكنك بالطبع لا يمكن ان تفضي بما في نفسك الى شخص غريب ، وابتسمت روث لنفسها قليلا لهذه الفكرة وعادت ، فالتقطت المجلة مرة اخرى ، حقا يجب ان تسيطر على نفسها ، لم انها قد فكرت في هذا الامر طويلا ، واتخذت قرارها بمحض اختيارها، لم اية سعادة تنعمت بها في حياتها حتى الان ، وقالت لنفسها بقلق : ليس من حقي ان اسعد قليلا ؟ ولن يعلم احد شيئا.

وسرعان ما وصلوا الى دوفر ، ولم تسبب لها الرحلة البحرية اية متاعب ، كانت تكره البرد ، فاسعدها ان تجد المأوى في كابينة خاصة ابرقت بحجزها ، لقد كانت روث تؤمن بالخرافات ، وان لم تعترف هي بذلك ، كانت من ذلك النوع من الناس الذي تستهويه الصدفة . وعندما وصلت الى كاليه ، واستقرت في مقصورتها المزدوجة مع وصيفتها في القطار الازرق ، ذهبت الى عربة الاكل ، ولدهشتها البالغة ، وجدت نفسها تجلس وجها لوجه امام نفس السيدة التي كانت ، مواجهتها في اليونان ، وابتسمت السيدتان ابتسامة خفيفة ، وقالت مسز كترنج :

ـ يا لها من مصادفة !

فردت كاترين :

ـ ان الامور تسير بطريقة غريبة احيانا .

وحضر الجرسون بسرعة مذهلة اشتهر بها كل من يعملون في شركة عربات النوم الدولية ، ووضع امامهما الحساء ، وعندما كانتا تتناولان الأوامليت كانتا تتحدثان معا كصديقتين ، وتنهدت روث وقالت :

ـ انت لشيء رائع ان تستمتع بالشمس الساطعة .

ـ حقا سيكون احساسا ممتعا .

ـ هل تعرفين الريفييرا جيدا ؟

ـ كلا .. فهذه هي زيارتي الاولى لها .

ـ حقا ؟..

ـ اذهبين الى هناك كل عام ؟

ـ تقريبا ، فشهرا بنابر وفبراير في لندن لا يطاقان .

ـ لقد قضيت عمري كله في الريف ، وحتى هناك فهذان الشهران

كئيبان ، ففي معظم الاوقات يغطي الوحل كل شيء .

ـ وما الذي جعلك تفكرين في السفر فجأة ؟

فردت كاترين :

ـ المال ، لمدة عشر سنوات كاملة كنت اعمل مرافقة ، ليس عندي من المال الا ما يكفي لشراء زوج من الاحذية القوية يصلح للريف . اما الان فقد ورثت ما يخيل لي انه ثروة ، وان لم يكن كذلك بالنسبة لك .

ـ يدهشني قولك هذا ، ان لم يكن كذلك بالنسبة لي ..

وضحكت كاترين قائلة :

ـ لا ادري ولكن الانسان يكون انطباعاته احيانا دون تفكير ، وفكرتي عنك انك واحدة من اغنى اغنياء العالم ، انه مجرد انطباع ، اعتقد اني كنت مخطئة فيه .

وقالت روث :

ـ كلا .. لم تخطئي الظن .

وفجأة اصبحت جادة تماما ، وقالت :

ـ اود لو انك اخبرتني عن انطباعاتك الاخرى عني .

ـ انا ...

وانطلقت روث بلا مراعاة لارتباك الاخرى وقالت :

ـ ارجوك .. لا تكوني متحفظة ، اريد ان اعلم ، اذ عندما تركنا محطة فيكتوريا ، نظرت اليك ، وخطر لي انك تدركين ما يجول بخاطري .

وابتسمت كاترين وقالت :

ـ اؤكد لك انني لست قارئة افكار .

ـ كلا .. ولكن ارجو ان تخبريني عما دار بخلدك .

وكانت روث تبدو شديدة اللهفة مخلصة في طلبها حتى ان الاخرى استجابت لها ، وقالت :

ـ سأخبرك اذا اردت ، ولكن لا تظني هذا وقاحة مني ، لقد ظننت انك لسبب ما تعانين كربا شديدا ، وكنت اشعر بالاسف من اجلك .

ـ لقد اصبت .. لقد اصبت فعلا ، فانني اعاني متاعب كثيرة واود لو .. لو اني استطعت ان اخبرك عن بعض ما بي ، لو سمحت .

وقالت كاترين في نفسها : يا الهي .. يا له من عالم يبدو كل شيء فيه متشابها ، وان تغير المكان ، لقد كان الجميع يروون لي ما يهم نفسي سانت ماري ميد ، وهاأنذا الان ، في نفس الموقف ، ولكني لا اريد ان انصت الى شكاية احد فعلا .

وردت بأدب :

ـ ارجو ان تحدثيني عما بك .

كانتا على وشك الانتهاء من غدائهما ، فازدردت روث القهوة ونهضت من مقعدها ، وقد نسيت تماما ان كاترين لم ترشف قهوتها بعد ، فقالت:

ـ تعال الى المقصورة معي .

كانتا مقصورتين مفردتين يصل بينهما باب ، وكانت في المقصورة الاخرى الوصيفة النحيلة التي رأتها كاترين في محطة فيكتوريا ، كانت جالسة منسدودة القامة على مقعد ، وقد امسكت بعلبة كبيرة قرمزية اللون وفيها حروف ر.ف.ك. وجذبت مسز كترنج الباب الاوسط وغاصت في مقعدها ، وجلست كاترين امامها .

ـ اني في مازق ولا ادري ماذا افعل ، فهناك رجل احبه .. احبه فعلا ، وقد بدأ حبنا منذ كنا صغيرين ، الا ان الظروف فرقتنا بوحشية وقسوة ، والان التقينا مرة اخرى .

ـ حسنا أ..

ـ انا .. انا ذاهبة للقائه الان . اعتقد انك تظنين ان الامر كله خطأ ولكنك لا تعرفين الظروف . ان زوجي لا يحتمل ، وهو يعاملني معاملة شنيعة .

وقالت كاترين مرة اخرى :

ـ حسنا أ..

ـ ان ما يقلقني للغاية هو اني خدعت ابي الذي حضر لوداعي في محطة فيكتوريا اليوم ، هو يريدني ان اطلق من زوجي ، ولكنه بالطبع لا يعلم اني ذاهبة للقاء الرجل الاخر ، اذ سيعتبر ذلك طيشا لا حد له .

ـ الا تعتقدين ان الامر كذلك ؟

ـ نعم اعتقد انه كذلك .

ونظرت روث كترنج الى يديها اللتين كانتا ترتجفان بشدة وقالت :

ـ ولكني لا استطيع ان اتراجع الان .

ـ ولم لا ؟

ـ انني ... ان كل شيء قد اعد . وسيحطم هذا قلبه ..

وقالت كاترين :

ـ لا تصدقي هذا .. فالقلوب تتحمل الكثير .

ـ ليس هذا انه ليست لدي الشجاعة ، او قوة العزيمة .

فقالت كاترين :

ـ ان ما تقدمين عليه لفي غاية الطيش ، واظن انك تدركين هذا بنفسك أ

وقذفت روث كترنج وجهها في راحتيها وقالت :

ـ لا ادري .. لا ادري .. ومنذ غادرنا محطة فيكتوريا ، وانا احس احساسا رهيبا بان شيئا ما .. شيئا ما سيحدث لي قريبا ، ولا مفر منه.

وامسكت يد كاترين بشدة وقالت :

ـ قد تظنين انه جنون ان اتحدث اليك هكذا ، ولكني اقول لك اني احس بان شيئا رهيبا سيحدث .

ـ لا تفكري بهذه الطريقة ، حاولي ان تتمالكي اعصابك ، ويمكنك ان تبرقي الى والدك من باريس لو اردت ، وسيحضر اليك في الحال .

ونهلل وجه الاخرى وقالت :

ـ نعم .. سافعل .. يا ابي العجوز العزيز . انه لشيء غريب ، ولكني لم اشعر اطلاقا ، كم انا مغرمة به الا هذا الصباح .

واعتدلت في جلستها وجففت عينيها بمنديلها وقالت :

ـ لقد كنت حمقاء للغاية .. شكرا جزيلا على ان اتحت لي فرصة التحدث اليك ، لست ادري ما الذي دفعني الى هذه الحالة الهستيرية الغريبة ؟

ثم نهضت وقالت :

ـ انني على ما يرام الان .. اعتقد انني كنت بحاجة الى شخص افضي اليه بما في مكنون نفسي ، لا اجد الان سببا يدعوني الى هذا التصرف الطائش .

ونهضت كاترين وقالت وهي تحاول ان تتحدث بصوت عادي :

ـ انني سعيدة انك تشعرين بتحسن .

وكانت تدرك تماما ان هناك فترة من الارتياح تتلو مرحلة الاعتراف بكوامن النفس ، فاضافت بلباقة :

ـ اعتقد انه يجب ان اعود الى مقصورتي الان ؟

ودلفت الى الممر في نفس الوقت الذي خرجت فيه الوصيفة من الباب الاخر ، ونظرت الاخيرة الى كاترين من فوق كتفها ، وجدت الدهشة البالغة على وجهها ، واستدارت كاترين لترى سبب دهشة الوصيفة ، ولكن ايا كان الشخص الذي تسبب في ذلك ، فانه قد دخل او دخلت الى مقصورتها ، واصبح الممر خاليا ، وسارت كاترين لتعود الى مكانها في العربة التالية ، وعندما مرت امام المقصورة الاخيرة فتح الباب ، واطل وجه امراة ، ثم اغلق مرة اخرى بشدة ، لم يكن وجهها ينسى بسهولة ، وقد ادركت كاترين ذلك عندما رأته مرة اخرى ، كان وجها جميلا بيضاويا ، تغطيه طبقة كثيفة من المساحيق ، وراود كاترين احساس بانها قد رات هذا الوجه من قبل في مكان ما .

ووصلت الى مقصورتها دون مخاطرات ، وجلست فترة تفكر فيما افضى اليها من اسرار . وتعجبت من تكون المراة ذات المعطف الفراء، وكيف ستنتهي قصتها ؟

ونهضت تفكر لنفسها وتقول : اذا كنت قد منعت شخصا من ان يتصرف بطيش . فاعتقد ان هذا عمل طيب . ولكن من يدري ، انها من ذلك النوع من النساء الذي عشن طوال حياتهن اثانيات ، ضعيفات المراس، وقد يفيدها ان تتصرف بهذه الطريقة من قبيل التغيير . حسنا ، لا اظن اني سأراها بعد ذلك مرة اخرى . وهي بالتأكيد لن ترغب في رؤيتي ،

وهذا هو اسوأ ما في الامر حين يفضي اليك الناس باسرارهم ، انهم لا يريدون ان يروك بعد ذلك ابدا .

وتمنت كاترين لو انهم لم يعطوها نفس المكان على مائدة العشاء ، واخذت تفكر في ان الموقف سيكون محرجا لكليهما ، ورجعت الى الوراء قليلا ، وقد استعدت راسها الى الوسادة واحست بالتعب ، والاكتئاب ، لقد وصلوا باريس ، وكانت الرحلة البطيئة بما فيها من توقف بالمحطات ، وانتظار ، منهكة ومتعبة للغاية . وعندما وصلوا الى محطة ليون ، اسعدها ان تمشي قليلا على الرصيف ، وانعشتها نسمة من الهواء البارد ، بعد حرارة القطار ، ولاحظت وهي تبتسم ان صديقتها ذات المعطف الفراء قد حلت مشكلة العشاء بطريقتها الخاصة ، اذ تسلمت الوصيفة العشاء من خلال النافذة .

عندما عاود القطار سيره ، واطلت الاجراس الصاخبة موعد العشاء، دخلت اليه كاترين وقد هدات ، كان يجلس قبالتها الى المائدة شخص مختلف تماما ، كان رجلا قصيرا ، من الواضح انه غريب ، له شارب ينم عن صلابة ، وراسه بيضاوي الشكل ، مائل قليلا ، وكانت كاترين قد احدث معها كتابا ، ولاحظت ان عيني الرجل القصير مثبتتان عليه ، وهما تومضان ، وقال :

ـ الما ارى يا سيدتي ان معك قصة بوليسية ، فهل انت مغرمة بمثل هذه الاشياء ؟

وردت كاترين :

ـ انني اجد فيها تسلية .

واومأ الرجل القصير براسه دليلا على فهمه التام ، وقال :

ـ لقد قيل لي انها تلقى رواجا ، ترى لماذا يا آنستي ؟ انني اسالك باعتباركم دارسة للطبيعة البشرية .. لماذا ؟

وبدت كاترين اكثر استمتاعا بهذا الحديث ، وقالت :

ـ ربما لانها تعطي الانسان فرصة لكي يحيا حياة مثيرة .

فاومأ براسه ، وقال :

ـ نعم .. هناك بعض الحقيقة فيما تقولين .

واستطردت كاترين تقول :

ـ ولكن المرء يعلم تماما ان مثل هذه الاشياء لا تحدث في الواقع .. ولكنه قاطعها بقوله :

ـ انها تحدث احيانا يا آنستي ، في بعض الاحيان ، لقد حدثت لي انا شخصيا ..

ورمقته بنظرة سريعة ، فاستطرد يقول :

ـ من يدري ، ربما تجدين نفسك يوما في خضم الاحداث ، انها الصدفة .

فردت كاترين :

ـ لا اعتقد بامكان حدوثه ، فلم يسبق لي ان تعرضت لمثل هذا .

وانحنى الى الامام وسألها :

ـ وهل تحبين ان يحدث لك هذا ؟

وافزعها السؤال فشهقت ، ولكن الرجل القصير قال وهو يقوم بتلميع احدى الشوك :

ـ لعله مجرد خيال ، ولكني اعتقد ان في اعماق نفسك شوقا الى احداث مثيرة . حسنا يا آنسة ، لقد لاحظت طول حياتي شيئا واحدا .. «كل ما يتمناه المرء يدركه» من يدري ، ربما تحصلين على اكثر مما تودين؟

وسألته كاترين وهي تبتسم اذ هي تغادر المائدة :

ـ اهذه نبوءة ؟

فهز الرجل القصير راسه ، وقال متباهيا :

ـ انني لا انتبأ بشيء اطلاقا ، ولكن الواقع انى دائما على حق ولكني لا اتفاخر بذلك ، سعدت مساء يا آنسة وامنى لك نوما هادئا .

وعادت كاترين عبر القطار وقد امتعها حديث جارها القصير . ومرت امام باب مقصورة صديقتها المفتوح ، ورات المحصل بعد السرير ، اما السيدة ذات الغراء فقد كانت واقفة تنظر من خلال النافذة وكانت المقصورة الاخرى ، كما لاحت لكاترين عبر الباب المؤدي اليها ، خالية ، وقد كومت الحقائب والبطاطين على المقعد ، ولم تكن الوسيقة بها .

ووجدت كاترين سريرها معدا ، ولما كان التعب يغلب عليها فقد دخلت لتنام ، واطفات النور حوالي الساعة التاسعة والنصف .

واستيقظت فزعة ، لم تكن تدري كم من الوقت مضى . فنظرت الى ساعتها لتجد انها قد توقفت ، واجتاحها شعور هائل بالقلق اخذ يتزايد لحظة بعد الاخرى ، وفي [illegible] وحملق الى الممر ، وبدا القطار [illegible] الى جانبها بضع دقائق تملأ رئتيها من هواء الليل البارد وتحاول جاهدة ان تهدىء من مخاوفها ، ثم قررت ان تمضي الى نهاية الممر وتتصل المحصل عن الوقت لتضبط ساعتها ، ولكنها وجدت مقعده الصغير خاليا، وترددت قليلا ، ثم عاودت سيرها الى العربة التالية ، والقت ببصرها عبر الممشى الطويل المعتم ، ولدهشتها رات رجلا يقف وبده على مقبض باب المقصورة التي تحتلها السيدة ذات الغراء ، او المقصورة التي ظنت انها مقصورة السيدة ذات الغراء ، على اي حال ربما تكون قد اخطأت . وقف هناك لحظة ، وظهره اليها ، وبدا مترددا ، ثم استدار ببطء وانتاب كاترين احساس غريب بالخطر ، وادركت انه الرجل الذي التقت به مرتين من قبل ، مرة في ممر فندق سافوي ، ومرة اخرى في مكتب كوك. ثم فتح باب المقصورة ، ودلف منه ، واغلقه خلفه .

ومر خاطر بعقل كاترين ، ترى أيمكن ان يكون هذا الرجل هو الذي تحدثت عنه السيدة الاخرى .. الرجل الذي قامت برحلتها هذه لتلتقي به؟

وعادت كاترين تقول لنفسها ان خيالها قد جمح ، فلا شك انها اخطأت المقصورة .

وعادت الى العربة الاخرى حيث مقصورتها هي ، وبعد خمس دقائق ابطأ القطار سيره ، وسمعت صوت الفرامل الوستنجهاوس وبعد دقائق اخرى توقف القطار تماما في ليون .

***

جريمة قتل

عندما استيقظت كاترين في الصباح التالي كانت الشمس مشرقة وذهبت لتتناول افطارها مبكرا ولكنها لم تلتق بأي ممن تعرفت بهم في اليوم السابق ، وعندما عادت الى مقصورتها وجدت المحصل قد اعاد ترتيبها ، وكان رجلا له شارب كبير ، ووجه اسمر يشيع فيه الحزن .

وبادرها بقوله :

ـ ان سيدتي محطوظة ، فالشمس مشرقة ، قد يحدث ان يصل المسافر الى هنا ليجد الجو قاتما فينتابه شعور قوي بخيبة الامل .

ـ كنت فعلا سأصاب بخيبة امل شديدة لو حدث هذا لي .

واستعد الرجل للخروج وقال :

ـ لقد ناجرنا قليلا يا سيدتي .. عندما نصل الى نيس سأخبرك .

وأوماءت كاترين .. وجلست الى جانب النافذة وقد نفذت خلالها اشعة الشمس فبان المنظر امامها بكل جماله .. اشجار النخيل .. ومياه [illegible] الزرقاء .. والرمال الصفراء .. وبدا كل شيء ساحرا [illegible] الا انها تجلترا الكئيب على مدى اربعة عشر عاما .

وعندما وصلوا الى كان .. غادرت كاترين القطار وتمشت على الرصيف .. تملكها الفضول بشان السيدة ذات الغراء .. فنظرت الى نافذ مقصورتها ، ووجدت الشيش مغلقا ـ النوافذ الوحيدة التي كانت مغلقة في القطار كله ، وتعجبت كاترين قليلا . وعندما عادت الى القطار ومرت في الممشى وجدت ان المقصورتين كانتا لا تزالان مغلقتي الابواب والنوافذ ، يبدو ان السيدة ذات الغراء لا تحب الاستيقاظ مبكرا .

وحضر المحصل واخبرها انهم سيصلون الى نيس بعد بضع دقائق ، ومنحته كاترين بعض النقود .. فشكرها .. ولكنه لم يعض لحاله . شيء ما كان يحيط به ، فظنت في بادىء الامر ان المبلغ الذي منحته اياه لم يكن مجزيا .. ولكنها الان تاكدت ان شيئا خطيرا قد حدث .. اذ كان وجهه

www.liilas.com/vb3

شاحبا كوجوه المرضى .. وكان يرتعد من قمة رأسه الى اخمص قدميه ، فبدا كما لو كان الرعب قد خلع قلبه ، وكان ينظر اليها بطريقة غريبة .

ثم قال فجأة :

ـ عفوا يا سيدتي .. اينتظرك احد في نيس ؟

ـ ربما .. ولكن .. لماذا ؟

ولكن الرجل اكتفى بهز رأسه وتمتم شيئا لم تفهمه كاترين .. ومضى بعيدا .. ولم يظهر الا حين توقف القطار تماما في المحطة فجعل يناولها حقائبها من النافذة .

ووقفت كاترين برهة على الرصيف في حيرة من امرها ، ولكن شابا اشقر تبدو على وجهه سمات الطيبة تقدم منها وقال يتردد :

ـ مس جراي .. اليس كذلك ؟

وقالت كاترين انها هي .. فاضاء وجه الشاب كالملائكة وتمتم :

ـ ان تشابي ـ زوج ليدي تامبلين كما تعلمين ، اظن انها ذكرتني .. ولكن ربما تكون قد نسيت .. هل معك تذكرة الحقائب ؟ لقد فقدت تذكرة حقائبي عندما سافرت هذا العام .. ولن تتخيلي الضجة التي حدثت بسبب ذلك ، انه الروتين الفرنسي !..

وابرزت كاترين تذكرتها .. وكانت على وشك ان تمضي الى جانبه حين همس صوت رقيق للغاية في اذنها .. قائلا :

ـ لحظة واحدة .. من فضلك .. يا سيدتي .

والتفتت كاترين .. فرات شخصا يرتدي زيا رسميا موشى بالذهب .. واوضح الامر بقوله :

ـ هناك بعض الاجراءات .. ارجو ان ترافقني السيدة .. فان اجراءات البوليس غير معقولة .. ولكن ما الحيلة ؟

وانصت مستر تشابي ايفانز وهو لا يفهم شيئا مما يدور حوله اذ كانت معرفته باللغة الفرنسية محدودة للغاية .

وتمتم مستر ايفانز :

ـ تماما .. كالفرنسيين .

كان واحدا من اولئك البريطانيين الوطنيين الذين ما يكادون يستوطنون بلادا غير بلادهم حتى يبدوا استياءهم الشديد من سكانها الاصليين .

وقال :

ـ لا بد انها خدعة ما .. وان كانوا لم يتعرضوا لاي شخص في المحطة من قبل .. رغم ذلك . انها لعبة جديدة .. اعتقد انك يجب ان نذهبي معهم .

وخرجت كاترين ومعها مرافقها .. ولدهشتها .. قادها الى حيث كانت احدى عربات القطار الذي غادر المحطة وقد فصلت عنه .. ودعاها

الى صعود تلك العربة وسبقها عبر الممر ليفتح باب احدى المقصورات حيث وجدت شخصا مهيبا معه اخر يبدو انه كاتب ، ونهض الشخص المهيب .. وانحنى لكاترين ثم قال :

ـ عفوا يا سيدتي .. ولكن هناك بعض الاجراءات لا بد من استيفائها .. اظن ان السيدة تتحدث الفرنسية ؟

فردت كاترين بالفرنسية :

ـ الى حد ما .. يا سيدي .. على ما اظن .

ـ هذا بديع .. تفضلي بالجلوس .. انني مسيو كو .. مفتش الباحث ..

ونفخ صدره محاولا التأثير عليها ، فتظاهرت كاترين بانها تأثرت فعلا.

وتساءلت :

ـ اريد ان ارى جواز سفري ؟.. ها هو ..

فنظر اليها المفتش بحدة ثم زمجر قائلا وهو يتناول جواز سفرها :

ـ شكرا يا سيدتي .. ولكن ما اريده فعلا هو بعض المعلومات .

ـ معلومات ؟

فاومأ براسه ببطء وقال :

ـ من سيدة كانت رفيقتك في السفر ، وقد تناولت غداءك معها بالامس .

ـ اخشى الا استطيع ان اخبرك بشيء عنها . لقد تحادثنا معها اثناء تناول الطعام .. ولكنها غريبة تماما عني فانا لم ارها اطلاقا من قبل .

وردد المفتش بحدة قائلا :

ـ ورغم ذلك فقد عدت الى مقصورتها بعد الغداء وجلستما معا تتحادثان اطراف الحديث فترة ؟

وردت كاترين :

ـ نعم .. هذا صحيح .

ويبدو ان المفتش قد توقع ان تقول شيئا اخر ، فنظر اليها مشجعا وقال :

ـ نعم يا سيدتي .

فردت كاترين :

ـ حسنا .. يا سيدي .

ـ ربما استطعت ان تعطينا فكرة عن الحديث الذي دار بينكما .

ـ استطيع فعلا ، ولكن لا اجد سببا يدعوني الى ذلك الان .

واحمر المفتش بالعبق ، فقد بدا لها هذا الموقف وقحا . وصاح المفتش :

ـ لا تجدين سببا ! نعم يا سيدتي اؤكد لك ان هناك سببا .

ـ اذن فاعلمه لي .

وحملق المفتش فيه وهو مستغرق في التفكير برهة دون ان يتكلم .

واخيرا قال :

ـ ان السبب بسيط للغاية يا سيدتي .. السيدة التي نتحدث عنها وجدت ميتة في مقصورتها هذا الصباح .

وشهقت كاترين .

ـ ميتة !.. وما السبب ؟ هبوط في القلب ؟

فرد المفتش بصوت خافت :

ـ كلا .. لقد قتلت ..

وصرخت كاترين :

ـ قتلت !!

ـ وهكذا ترين يا سيدتي لماذا نحن متلهفون الى اية معلومات نستطيع الحصول عليها .

ـ ولكن بالتأكيد وصيفتها ..

ـ لقد اختفت الوصيفة .

ـ اوه ...

وسكتت كاترين تستجمع شتات افكارها .

ـ ولما كان المحصل قد شاهدك تتجاذبين اطراف الحديث معها في مقصورتها ، فمن الطبيعي انه اخطر البوليس بذلك ، ولهذا السبب يا سيدتي حجزناك على امل الحصول على بعض المعلومات .

فقالت كاترين :

ـ انني آسفة ، فانني لا اعرف حتى اسمها .

ـ ان اسمها كترنج ، وقد عرفناه من جواز سفرها ومن البطاقات الموضوعة على حقائبها واذا ...

وهنا دق الباب ، فقطب مسيو كو وفتحه حوالي ست بوصات ، وصاح بحزم :

ـ ماذا هناك ؟ لا اريد ان يزعجني احد .

ومن خلال الفتحة ظهر رأس بيضاوي هو رأس الرجل الذي تناول العشاء مع كاترين . وكانت على وجهه ابتسامة مضيئة ، وقال :

ـ ان اسمي هيركيول بوارو .

تلعثم المفتش قائلا :

ـ انك لست .. لست هيركيول بوارو المعروف .

فرد المسيو بوارو :

ـ انني هو . واذكر اننا التقينا مرة يا مسيو كو في ادارة الامن في باريس رغم انك قد نسيتني بلا شك .

فقال المفتش بحرارة :

ـ كلا اطلاقا .. تفضل بالدخول ، هل علمت بهذه ..

ـ نعم .. لقد حضرت لاري ما اذا كنت استطيع ان اقدم اية مساعدة؟

فرد المفتش من فوره :

ـ بسعدنا ذلك ، دعني اقدمك يا مسيو بوارو الى ..

ونظر الى جواز السفر الذي كان لا يزال يحمله في يده ، وقال :

ـ الى السيدة .. الانسة جراي .

وابتسم بوارو الى كاترين وتمتم قائلا :

ـ أليس غريبا ان تتحقق كلماتي بهذه السرعة ؟!

وقال المفتش :

ـ للاسف .. لا تستطيع الانسة ان تخبرنا بالكثير .

فقالت كاترين :

ـ كنت احاول ان اشرح له ان هذه السيدة المسكينة كانت غريبة عني تماما .

وأومأ بوارو برأسه وقال برقة :

ـ ولكنها تحدثت اليك ، وقد كونت لنفسك انطباعا عنها ، اليس كذلك ؟

وردت كاترين بتفكير :

ـ نعم .. اعتقد ذلك .

ـ هذا الانطباع هو ...

ـ [illegible]

ـ [illegible] جو ان تدعينا نعرف انطباعاتك .

اخذت كاترين تدبر الامر كله في رأسها ، واحست كما لو كانت تخون الثقة . ولكن الكلمة الغبيضة «جريمة قتل» ظلت تتردد في اذنيها ، حتى لم تعد تقوى على كتمان السر . اذ ربما توقف على ذلك الكثير ، ولهذا اخذت تردد بقدر ما تستطيع الحديث الذي دار بينها وبين القتيلة كلمة كلمة ..

ورد المحقق وهو ينظر الى الاخر :

ـ هذا ممتع ، أليس كذلك يا مسيو بوارو؟ سواء اكان لهذا الموضوع اية علاقة بالجريمة ....

ولم ينه جملته .

وتساءلت كاترين بصوت يحمل نبرة شك :

ـ اظن ان الامر لا يمكن ان يكون انتحارا ؟

ورد المفتش :

ـ كلا . لا يمكن ان يكون انتحارا ، فقد خنقت بقطعة حبل سوداء اللون .

وارتعدت كاترين ، وصاحت :

ـ اوه ..

ومد مسيو كو يده معتذرا :

THE GHOST 92

ـ انه ليس شيئا لطيفا ، واعتقد ان لصوص قطاراتنا اشد وحشية معا في ظنك .

ـ هذا فظيع !

ـ نعم .. نعم .. ولكنك شجاعة يا آنسة .. بمجرد ان رايتك قلت لنفسي : «ان الانسة تمتاز بشجاعة فائقة» .. ولهذا السبب ساطلب منك ان تقومي بعمل اخر .. شيء محزن ولكني اؤكد لك انه ضروري للغاية .

ونظرت اليه كاترين نظرة ملؤها القلق والخوف .

وبسط يديه .. معتذرا .. وقال :

ـ ساطلب منك يا آنسة ان ترافقيني الى المقصورة المجاورة .

وتساءلت كاترين بصوت خفيض :

ـ اهذا ضروري ؟

فرد المفتش :

ـ يجب ان يتعرف عليها احد .. ولما كانت الوصيفة قد اختفت

ـ وسعل بطريقة لها مغزاها ـ يبدو انك الانسانة الوحيدة التي امضت معها اطول وقت منذ ان استقلت القطار ؟

وردت كاترين بهدوء :

ـ لا باس .. اذا كان هذا ضروريا ..

ونهضت .. واومأ اليها مسيو براور ايماءة خفيفة .. وقال :

ـ ان الانسة عاقلة . هل تسمح لي بمرافقتكم يا مسيو كو ؟

ـ بكل سرور يا عزيزي مسيو براور .

ومضوا الى الممر وفتح مسيو كو باب مقصورة المرأة القتيلة ، كان الشيش في الناحية الاخرى قد رفع قليلا الى اعلى ليسمح بدخول بعض الضوء ، وكانت السيدة القتيلة ترقد على السرير الاسر بطريقة طبيعية للغاية ، حتى ليظن المرء انها نائمة ، وقد جذبت ملاءات السرير عليها ، واتجه راسها الى الحائط فلم يبد منه الا خصلات شعرها الاحمر ، وبرقة متناهية وضع مسيو كو يده على كتفها ، ودار راسها حتى يبدو وجهها واضحا ، واجفلت كاترين وغرزت اظافرها في راحتيها ، كانت المرأة قد تلقت ضربة ثقيلة على وجهها شدهت ملامحه حتى ليصعب التعرف عليه ، وصاح براور مستائلا :

ـ متى حدث هذا ؟! قبل موتها او بعده ؟!

فقال مسيو كو :

ـ بعده كما قرر الطبيب .

وعقد براور حاجبيه وقال :

ـ غريب !

ثم التفت الى كاترين وقال لها :

ـ تشجعي يا آنسة .. انظري الى وجهها جيدا . هل انت واثقة ان هذه هي السيدة التي تحدثت اليها في القطار امس ؟

كانت اعصاب كاترين قوية فملكت زمام نفسها ونظرت طويلا وبلهفة الى الجسد الساكن ، ثم انحنت الى الامام وامسكت بيد القتيلة ، واخيرا قالت :

ـ انني واثقة تماما . لقد تشوه الوجه لدرجة يصعب تمييزه ولكن الجسد والشعر هما تماما ، وايضا لاحظت هذه ..

ثم اشارت الى حسنة صغيرة على معصم القتيلة ، واكملت عبارتها بقولها :

ـ لاحظتها بينما كنت اتحدث اليها .

وقال براور :

ـ حسنا .. انك شاهدة ممتازة يا آنسة . ولم يعد هناك شك في الشخصية ، ورغم ذلك فالامر غريب .

وكشر قليلا ، وهو ينظر الى القتيلة ، في حيرة .

وهز مسيو كو كتفيه ، وقال :

ـ لا شك ان الحقد هو الدافع على هذه الجريمة .

وفكر براور ، ثم قال :

ـ لو انها ضربت بشدة ضربة ادت الى قتلها لكان الامر مفهوما . ولكن الرجل الذي خنقها تسلل خلفها وقاقلها . ثم خنقها وكل ما احدث بعد ذلك اختناق وحشرجة ، وهذا كل ما يمكن سماعه من صوت . ثم بعد ذلك .. هذه الضربة الهائلة على وجهها .. لماذا ؟! هل كان يامل الا يمكن التعرف عليها اذا شوه وجهها ؟ او هل بكرهها بدرجة انه لم يستطع مقاومة الرغبة في لطمها حتى بعد ان ماتت ؟

وارتعدت كاترين ، فالتفت اليها في الحال وقال بعطف :

ـ يجب الا تدعي كلامي هذا يحزنك يا آنسة .. قد يكون هذا جديدا عليك ومروعا . ولكن بالنسبة لي للاسف هي قصة قديمة . امهلاني لحظة لو سمحتما .

ووقفا خلف الباب يرقبانه وهو يدور في المقصورة بسرعة ولاحظ ملابس القتيلة وقد طويت بعناية عند نهاية السرير ، والمعطف الفراء الثمين وقد علق في مشجب ، والقبعة الصغيرة وقد علقت هي الاخرى ، ثم عبر خلال الباب الى الملحقة حيث رات كاترين الوصيفة من قبل وهي جالسة هناك .. لم تكن السرير قد اعد للنوم ، وتكونت ثلاث او اربع بطاطين على المقعد ، كما كانت هناك ايضا علبة اقمشة .. حمسنان . ثم انحدر فجاة الى كاترين ، وقال :

ـ لقد كنت هنا بالامس . فهل ترين شيئا قد تغير او نقص ؟

ودارت كاترين ببصرها تفحص المقصورتين بدقة . ثم قالت :

ـ نعم .. هناك شيء مفقود ، علبة صغيرة حمـــراء عليها حروف و.ف.ك. قد تكون حقيبة ملابس صغيرة او علبة مجوهرات كبيرة، وعندما رأيتها كانت الوصيفة ممسكة بها .

وصاح بوارو :

ـ آه ..

وقالت كاترين :

ـ ولكن بالتأكيد انا .. بالطبع انا لا افهم شيئا في مثل هذه الامور ، ولكن بالتأكيد .. الامر واضح تماما اذا كانت الوصيفة وعلبة المجوهرات قد اختفتا .

ـ تعنين ان الوصيفة هي السارقة ؟ كلا يا آنسة هناك دليل قوي ضد هذا .

ـ ما هو ؟

ـ لقد تخلفت الوصيفة في باريس .

ثم استدار الى بوارو، وقال :

ـ اود ان تستمع بنفسك الى قصة المحصل نفسه ..

ثم تمتم بثقة :

ـ قد تخرج منها بشيء .

فقال بوارو :

ـ لا شك ان الآنسة تود ان تسمعها ايضا ؟ الديك اعتراض يا سيدي المفتش ؟

وقال المفتش الذي كان يبدو واضحا انه يعارض بشدة :

ـ كلا .. كلا .. بالتأكيد يا مسيو بوارو ، ما دمت تقول هذا ، هل انتهيت من هنا ؟ اعتقد ذلك ، دقيقة واحدة فقط .

كان يقلب البطاطين ، ثم اخذ واحدة الى النافذة ، ونظر اليها والتقط شيئا باصابعه .

وسأله مسيو كو بحدة :

ـ ما هذا ؟

ـ اربع شعرات لونها احمر .

ثم انحنى على القتيلة ، واضاف :

ـ نعم .. انها من راس السيدة .

ـ وماذا في ذلك ؟.. انعلق اية اهمية عليها ؟

وترك بوارو البطاطين تقع على المقعد ، وقال :

ـ ان ما هو هام وما هو غير هام لا يمكن ان يقرره المرء في هذه المرحلة ولكن يجب ان نفحص كل شيء بمنتهى الدقة مهما كان صغيرا .

وعادوا ادراجهم الى المقصورة الاولى ..

وبعد برهة دخل المحصل لاستجوابه . وسأله المفتش :

ـ هل تدعى بيير ميشيل ؟

ـ نعم يا سيدي المفتش .

ـ اود ان تعيد امام هذا السيد ـ مشيرا الى بوارو ـ القصة التي اخبرتني بها عما حدث في باريس .

ـ حسنا يا سيدي المفتش . كان ذلك بعد ان غادرنا محطة ليون . دخلت لاعد الاسرة . ظننا ان السيدة ستكون وحدها تتناول العشاء ، ولكني وجدت عشاءها في المقصورة . واخبرتني انها اضطرت الى ترك وصيفتها في باريس . وان ما على الا ان ارتب سريرا واحدا . ثم حملت عشاءها الى المقصورة الملحقة وجلست هناك بينما انا اعد السرير . ثم اخبرتني بانها لا ترغب في الاستيقاظ مبكرا في الصباح . وانها تفضل ان تواصل نومها . فقلت لها انني افهم تماما . وتمنيت لي ليلة سعيدة .

ـ ولكن انت نفسك لم تدخل الى المقصورة الملحقة ؟

ـ كلا يا سيدي .

ـ اذن فلم يقدر لك ان تلحظ ما اذا كانت هناك علبة قرمزية ضمن الحقائب ام لا ؟

ـ لا يا سيدي لم تتح لي الفرصة .

ـ اكان من الممكن لاي شخص ان يختفي في المقصورة الملحقة ، وفكر المحصل ، ثم قال :

ـ لقد كان الباب نصف مفتوح . ولو وقف رجل خلفه لما استطعت ان اراه ، ولكن من المؤكد انه يكون ظاهرا امام السيدة عندما دخلت هناك .

وقال بوارو :

ـ تماما . الديك شيء اخر تقوله لنا ؟

ـ اعتقد ان هذا كل شيء يا سيدي. فلا استطيع ان اذكر شيئا اخر.

فقال بوارو :

ـ وماذا حدث هذا الصباح ؟

ـ كما اخبرتني السيدة . لم ازعجها . وعندما كنا على وشك الوصول الى «كان» تجرات وطرقت الباب . ولم اتلق ردا ففتحته . وبدت السيدة كما لو كانت نائمة في سريرها ، فامسكت بكتفها لاوقظها . وعندئذ ...

وتطوع بوارو بقوله :

ـ وعندئذ رأيت ما حدث . حسن جدا . اعتقد اني عرفت كل شيء اريد معرفته .

وقال الرجل بتوسل :

ـ سيدي المفتش . انني لم اهمل في عملي اطلاقا . ولكن ان تحدث مثل هذا في القطار الازرق . فهذا فظيع .

ردد المفتش :

ـ سيرى عملك فسيفعل كل شيء في هدوء ، ما دام ذلك في صالحه

ة ، ولا اظن انك متهم بأي اهمال .
وهل سيبلغ سيدي المفتش الشركة برأيه هذا ؟
ال مسيو كوبصبر نافذ :
ـ بالتأكيد .. بالتأكيد .. هذا يكفي الان .
سحب المحصل .
ال المفتش :
انه طبعا للتقرير الطبي فالمحتمل ان السيدة توفيت قبل ان يصل الى ليون .. من القصة التي روتها الانسة يبدو انها كانت ستلتقي برجل الذي تحدثت عنه في مكان ما . ويبدو تخلصها من الوصيفة ي ، فهل صعد الرجل الى القطار في باريس ؟ وهل اخفته في رة الملحفة ؟ لو كان الامر كذلك فربما كانا قد تشاجرا فقتلها في حسب . هذا احتمال . اما الاحتمال الثاني . وهو الاقرب الى عقلي . يكون قاتلها من لصوص القطارات . سافر على نفس القطار ، ثم الى المر دون ان يراه المحصل فقتلها ، وهرب ومعه العلبة الحمراء، شك كانت تحتوي على مجوهرات ذات قيمة . وفي كل الاحتمالات قد غادر القطار في ليون . وقد ابرقنا الى المحطة كل التفاصيل عن د يكون قد غادر القطار .
قال بوارو :
وربما يكون قد واصل الرحلة حتى نيس .
ربما ، ولكن هذه خطوة في غاية الجراة .
صمت بوارو برهة . ثم قال :
في الحالة الثانية ، اظن ان الرجل من لصوص القطارات العاديين؟
ز المفتش راسه وقال :
هذا متوقف ... يجب ان نعيش على الوصيفة ، فمن المحتمل ان العلبة الحمراء معها . فاذا كان الامر كذلك . فان الرجل الذي تحدثت لي الانسة تكون له علاقة بالجريمة . وتصبح جريمة عاطفية . وانا امیل الى تصديق مسالة لص القطار . فقد اصبح هؤلاء اللصوص ة من الجراة في العشرة الاخيرة .
فجاة نظر بوارو الى كاترين وقال لها :
وانت يا آنسة الم تسمعي او ترى شيئا غير عادي اثناء الليل ؟
ردت كاترين بقولها :
ـ لا شيء ..
التفت بوارو الى المفتش :
اعتقد انه لا حاجة بنا الى تعطيل الانسة اكثر من ذلك .
ناوما الاخر براسه وقال :
ـ هل تركك لنا عنوانها ؟

فاعطته كاترين اسم فيللا ليدي تامبلين ، وانحنى بوارو لها ، وسالها:
ـ اتسمحين بان اراك مرة اخرى يا آنسة ؟ ام ان لديك الكثير من الاصدقاء يشغلون وقتك ؟
فردت كاترين :
ـ بالعكس .. سيكون لدي فراغ كبير . وسيسرني كثيرا ان اراك مرة اخرى .
فقال بوارو :
ـ هذا رائع .
ثم اومأ براسه ايماءة ودية ، وقال :
ـ ستكون هذه رواية بوليسية بالنسبة لنا . وسندرسها سويا .

***

في فيللا مارغريت

صاحت ليدي تامبلين بحدة :
ـ اذن فقد عشت فعلا وسط الاحداث ! يا له من شيء مثير بالنسبة لي !
وفتحت عينها الواسعتين الزرقاوين عن اخرهما وزفرت زفرة قصيرة .
وقال مستر ايفانز بشغف :
ـ حادث قتل حقيقي !
واستطردت ليدي تامبلين :
ـ وبالطبع لم يكن لدي تشابي ادنى فكرة عن هذا .. فهو ببساطة لم يكن يتصور لماذا كان الوليس يريدك .. يا لها من فرصة .. يا عزيزتي .. اظن .. نعم بكل تاكيد يمكنك ان تخرجي من هذا الحادث سالمة .
وبدت نظرة ذات مغزى عكرت صفاء العينين الزرقاوين .
واحست كاترين ببعض الضيق .. كانوا قد اوشكوا على الانتهاء من الغداء ، ومضت تنقل بصرها بين الثلاثة الجالسين الى المائدة .. ليدي تامبلين وقد امتلا راسها بالمشروعات .. ومستر ايفانز وقد بدا على وجهه الاعجاب الساذج ، وليونكس .. وقد تلاعمت ابتسامة خبيثة على شفتيها .
زعيم تشابي :
ـ يا له من حظ مدهش !.. لكم اتمنى لو اني كنت معك ورايت كل شيء .

وبدت نبرة صوته .. فيها لهفة .. وطفولة .

ولم تقل كاترين شيئا .. ان البوليس لم يصدر اليها اية تعليمات بالاحتفاظ بالامر سرا .. وكان يبدو مستحيلا ان تحجب الحقائق المجردة او تخفيها عن مضيفتها ، ولكنها تمنت لو انها استطاعت ان تفعل هذا .

وصحت ليدي تامبلين فجاة من احلامها ، وقالت :

ـ نعم .. اعتقد ذلك تستطيعين عمل شيء .. قصة قصيرة مثلا تكتب باسلوب رشيق .. شاهدة عيان .. لمسة انثوية .. كيف تجاذبت الحديث مع القتيلة .. ولم اكن اظن .. «شيء من هذا القبيل» .

وصاحت لينوكس :

ـ كلام فارغ !

وقالت ليدي تامبلين بصوت ناعم كله لهفة :

ـ لن تتصوري المبالغ التي تدفعها لك الصحف نظير ذلك ! وبالطبع يكون كاتبها شخص مرموق ، اعتقد انك لن تحبي كتابتها بنفسك بما عزيزتي كاترين .. ولكن .. فقط اخبريني بالنقاط الرئيسية في الموضوع وسأتولى انا الامر كله نيابة عنك .. فان مسيو دي هافيلاند صديق لي... يمكننا التفاهم معا .. وهو رجل رائع ـ نما رايك في الفكرة يا كاترين ؟

وردت كاترين بلهجة قاطعة :

ـ افضل الا افعل شيئا مثل هذا .

وبدت ليدي تامبلين غير عابئة بهذا الرفض .. فتنهدت .. ودخلت في تفصيلات الموضوع :

ـ كانت امراة شكلها جذاب .. اليس كذلك ؟.. ترى من كانت ؟.. الم تسمعي اسمها ؟

وقالت كاترين :

ـ لقد سمعته .. ولكني لا استطيع ان اتذكره .. فقد كنت مهمومة.

وقال المستر ايفانز :

ـ اعتقد ذلك .. لا بد ان الصدمة كانت شديدة .

ومن المشكوك فيه ان كاترين كانت ستفضي بالاسم .. حتى لو كانت تذكره .. وقد جعلها الاستجواب الذي كانت تقوم به ليدي تامبلين قلقة نوعا .

وقد لاحظت لينوكس هذا .. وعرضت ان تصحب كاترين الى الدور العلوي لترى غرفتها ، ثم تركتها هناك بعد ان قالت :

ـ لا تهتمي بما قالته امي .. فلو اتيحت لها فرصة كسب بعض المال من امها هي شخصيا .. حتى وهي على فراش الموت .. لما ترددت .

وعادت لينوكس مرة اخرى لتجد امها .. وزوج امها يناقشان موضوع الضيفة الجديدة ، وقالت ليدي تامبلين :

ـ شكلها لطيف .. تماما ، ملابسها لا غبار عليها .. وهذا التاير هو نفسه الذي كانت ترتديه جلاديس كوبر في فيلم « اشجار النخيل في مصر » .

وقال مستر ايفانز :

ـ هل لاحظت عينيها ؟

وردت ليدي تامبلين بلهجة لاذعة :

ـ دعك من عينيها .. فنحن نناقش اشياء مهمة فعلا .

وقال مستر ايفانز :

ـ آه .. فعلا ..

وعاد الى قوقعته .

واستطردت ليدي تامبلين تقول وهي تنتقي كلماتها :

ـ انها تبدو صعبة المراس ..

وقالت لينوكس .. وهي تبتسم :

ـ انها تملك كل مكونات السيدة الراقية .. كما يقولون في الكتب .

وردت ليدي تامبلين :

ـ انها ضيقة الافق .. ولكن اظن ان الظروف هي التي تدفعها الى ذلك .

ـ اعتقد انك ستبذلين قصارى جهدك لتوسيع مداركها ، ولكنها لن تمنحك الفرصة لذلك ، فكما ترين الان .. لقد اصمت اذنيها عن كل شيء ورفضت الحديث .

وقالت ليدي تامبلين :

ـ على اية حال .. انها لا تبدو في نظري بخيلة .. فبعض الناس الحديثي العهد بالمال .. يحرصون عليه .

وردت لينوكس :

ـ آه .. تستطيعين ان تطلبي منها ما تريدين .. فهذا هو المهم . اليس كذلك ؟ هذا هو سبب مجيئها .

وبكبرياء .. قالت ليدي تامبلين :

ـ انها ابنة عمي .

وخر مستر ايفانز من قوقعته .. بقوله :

ـ ابنة عمك ؟.. اظن انه يمكننا ان ناديها «كاترين» .

فردت ليدي تامبلين :

ـ لا يهم اطلاقا بماذا تناديها .

وقال مستر ايفانز :

ـ هذا جميل .. اذن سافعل .

ثم اضاف بلهجة كلها امل :

ـ اتظنين انها تلعب التنس ؟

وردت ليدي تامبلين :

ـ بالطبع لا ، لقد كانت مرافقة .. كما اخبرتك ، والمرافقات لا يلعبن التنس .. او الجولف ، قد يلعبن الكروكيه .. ولكني اعلم انهن يغزلن الصوف .. ويقمن بتنظيف الكلاب اغلب الوقت .

وصاح مستر ايفانز :

ـ يا الهي !.. ايفعلن ذلك حقا ؟

وصعدت لينوكس الى الدور العلوي .. حيث غرفة كاترين .. وقالت بلا اكتراث :

ـ هل تستطيع ان اقدم لك اية مساعدة ؟

وعندما اجابت كاترين بالرفض .. جلست لينوكس على حافة السرير ومضت تنظر بتفكير الى ضيفتها ، ثم سألتها :

ـ لماذا حضرت ؟.. اعني .. الينا .. نحن لسنا على شاكلتك .

ـ آه .. انني اود ان اختلط بالمجتمع .

فردت لينوكس من فورها .. وهي تلمح شبح ابتسامة على شفتي الاخرى :

ـ لا تكوني غبية .. انت تدركين ما اعنيه تماما .. انك لست كما كنت اظنك اطلاقا .. اقول .. ان ملابسك معقولة .

وتنهدت .. ثم قالت :

ـ ان الملابس لا تغيدني بشيء .. لقد ولدت غريبة نوعا .. فانا احب الملابس كثيرا .

ـ وانا ايضا احبها .. ولكن ذلك لم يفدني في شيء حتى الان .. ما رايك في هذا ؟

وجلست هي ولينوكس تناقشان موديلات متعددة بمشاعر فنانتين .

وفجأة قالت لينوكس :

ـ انني احبك .. وقد حضرت اليك لاحذرك من الوقوع تحت تاثير امي .. ولكني اعتقد الان لا داعي لذلك .. فانت مخلصة وصريحة .. ولكنك لست مغفلة .. آه .. يا للجحيم !..

ـ ماذا هناك الان ؟

كانت ليدي تامبلين تنادي من الصالة :

ـ لينوكس .. لقد اتصل دريك بالتليفون الان .. وهو يرغب في الحضور الى العشاء الليلة .. ما رايك ؟.. اعني الدنيا شيء مناسب ؟

وطمأنتها لينوكس .. ثم عادت الى غرفة كاترين .. ووجهها يبدو اكثر اشراقا .. واقل عبوسا .. وقالت :

ـ انني سعيدة لحضور دريك .. سيعجبك .

ـ من هو دريك ؟

ـ انه ابن لورد ليكونيري .. وقد تزوج سيدة امريكية ثرية .. ان

النساء مغتونات به .

ـ لماذا ؟

ـ السبب المعتاد .. فهو وسيم للغاية ، ومستهتر .. وكلهن مجتونات به .

ـ وانت ؟ امجنونه به انت ايضا ؟

فاجابت لينوكس :

ـ احيانا .. واحيانا اخرى افضل ان اتزوج فسيما لطيفا واعيش في الريف .

ثم توقفت برهة ، واضافت :

ـ لو كان فسيا ارلنديا لكان افضل ، عندئذ ستتاح لي الفرصة للخروج للصيد .

وبعد فترة عادت الى موضوع الحديث الاصلي . فقالت :

ـ هناك شيء ما غريب في دريك ، فكل اسرته بهم مس من الجنون ـ مجانين مقامرة ، في الايام الخوالي ، كان من عاداتهم ان يقامروا بزوجاتهم وضياعهم ، وكانوا يقومون باعمال كثيرة جنونية لمجرد المتعة ، وان دريك كان يصلح ليكون قاطع طريق ـ فهو دائما سعيد ومرح .

واتجهت ناحية الباب ، وقالت :

ـ عندما تشعرين بالرغبة في النزول ، فلنفعلي .

وتركت كاترين العنان لافكارها . اذ اصبحت وحيدة ، وفي الوقت الحالي كانت تشعر بالارتباك ، وبان كل ما حولها يمكر صفو هدوئها . فالصدمة التي بانتها في القطار ، وكيفية تقبل اصدقائها الجدد للخبر قد جرحت احساسها المرهف ، وفكرت طويلا في القتيلة ، لكم اسفت من اجل روث ، ولكنها لا تستطيع ان تقول بامانة انها قد احبتها ، لقد ادركت الانانية البغيضة التي كانت هي مفتاح شخصية القتيلة ، والتي سيطرت عليها تماما .

لقد جرحتها قليلا الطريقة التي تخلصت بها القتيلة منها عندما استغفلت اغراضها ، وكانت كاترين واثقة من ان القتيلة قد انخدعت فرارا . ولكنها كانت تعجب الان ، ما كنه هذا الفرار ، وايا كان فقد تدخل الموت ، واصبحت كل الفرارات بلا معنى ولا فائدة . انه لغريب ان تمضي الامور في هذا الطريق ، وان تضع جريمة وحشية نهاية لرحلة القدر هذه ، ولكن كاترين تذكرت فجاة واقعة بسيطة ربما كان من الواجب ان تخبر بها اليوليس ـ واقعة كانت قد نسيتها .. ترى هل لها اهمية؟.. من المؤكد انها رات رجلا يدخل تلك المقصورة بالذات ، ولكنها ادركت انها قد تكون مخطئة ، وربما يكون قد دخل المقصورة المجاورة ، ولكن من المؤكد ان هذا الرجل لا يمكن ان يكون لص قطارات ، وهي تذكره بوضوح تام ، اذ قد رانه مرتين من قبل ، مرة في فندق سافوي ، والاخرى في مكتب

كوك للسياحة ، كلا .. لا شك انها قد اخطأت ، اذ انه لم يدخل مقصورة القتيلة ، وربما كان من الافضل انها لم تخبر البوليس باي شيء ، اذ ربما تسبب ذلك في اذى لا تدري مداه بالنسبة له .

ونزلت كاترين الى الطابق الاول ، ولحقت بالاخرين في الشرفة الخارجية ، ومن خلال فروع الميموزا ، نظرت الى زرقة المياه في البحر الابيض المتوسط ، وبينما تطرقت الى اذنها لرئة ليدي تامبلين ، كانت تشعر بالسعادة لحضورها الى هذا المكان ، فقد كان افضل من ساعت ماري ميد .

وفي ذلك المساء ارتدت الفستان الموف الوردي ، والذي كان يطلق عليه اسم «نفحة الخريف» وبعد ان ابتسمت لنفسها في المرآة ، هبطت بخالجها ـ لاول مرة في حياتها ـ احساس بسيط بالخجل .

وكان اغلب ضيوف ليدي تامبلين قد وصلوا ، وكانت حفلاتها تتميز بالصخب ، ولذا كان الطنين مزعجا ، واسرع تشابلي الى كاترين ، وقدم لها شرابا ، وبقي الى جوارها .

وصاحت ليدي تامبلين عندما فتح الباب ليدخل منه اخر ضيوفها ها انت ذا يا دبرك .. الان تستطيع ان تتناول الطعام فاني اكاد اموت جوعا .

ونظرت كاترين عبر الغرفة ، واذهلتها المفاجأة ، اذن فهذا هو دبرك ، وادركت انها لم تدهش لرؤيته ، فقد كانت تعلم انها ستلتقي يوما بالرجل الذي جمعتها به الصدفة ثلاث مرات متتاليات ، ويبدو انه قد تعرف عليها ، اذ توقف فجأة عن مواصلة حديثه مع ليدي تامبلين ، ثم واصله مرة اخرى ببعض العناء ، ودخلوا جميعا لتناول العشاء ، ووجدته كاترين يجلس الى جوارها واستدار نحوها بابتسامة كلها حيوية ، وقال:

ـ كنت اعلم اني سالتقي بك ، ولكني لم احلم اطلاقا اننا سنلتقي هنا . كان لا بد ان نلتقي ، لقد تقابلنا في السافوي ، وتقابلنا مرة ثالثة في مكتب كوك ، وكان لا بد ان نلتقي للمرة الثالثة ، لا تقولي انك لا تذكريني اذ لم تلحظيني ، فانا مصمم على انك لاحظت وجودي .

وقالت كاترين :

ـ فعلا .. ولكن ليست هذه هي المرة الثالثة ، انها الرابعة، اذ رايتك في القطار الازرق .

ـ في القطار الازرق ؟!

وطرأ على سلوكه شيء ما لم تستطع تحديده .. لم تستطع ان تقول ما هو ، كان كمن تلقى صدمة ، ثم عاد يقول بلا اكتراث :

ـ ترى ما سبب الضجة التي حدثت في الصباح ؟ هل مات احد ؟

وقالت كاترين بهدوء :

ـ نعم ..

فقال دبرك بطيش :

ـ يجب الا يموت الانسان وهو يستقل القطار ، اعتقد ان هذا يسبب الكثير من التعقيدات ، سواء من الناحية القانونية او الدولية ، ثم انه يكون سببا لتاخر القطار اكثر من المعتاد .

ـ مستر كترنج ؟

انحنت سيدة امريكية ممتلئة كانت تجلس في مواجهته الى الامام ، وناديته ، ثم استطردت تقول :

ـ مستر كترنج .. اعتقد انك قد نسيتني .. وانا التي اعتقد انك شخص رائع تماما .

وانحنى دبرك وهو يجيبها بينما جلست كاترين مذهولة .

كترنج !! هذا هو الاسم ، لقد تذكرته الان ـ ولكن يا له من موقف غريب حافل بالسخرية ، فهذا هو الرجل الذي راته يدخل مقصورة زوجته في الليلة الماضية ، ثم غادرها ، وما زالت الحياة تدب فيها وهي في ام صحة ، والان .. يجلس الى العشاء لا يدري شيئا عن المصير الذي لقيته ، لا شك في هذا ، لم يكن يعرف شيئا .

وكان احد الخدم يميل على دبرك وهو يسلمه ورقة ويهمس في اذنه شيئا ، وبعد ان اعتذر لليدي تامبلين فض الرسالة ، وبدا على وجهه تعبير عن الدهشة البالغة وهو يقرأ ، ثم نظر الى مضيفته وقال :

ـ هذا شيء في غاية الغرابة ، يؤسفني يا روزالي اني مضطر الى الانصراف ، اذ ان رئيس البوليس يريد ان يقابلني في الحال ، ولا ادري لم يريدني !

وقالت لينوكس :

ـ لقد نمت عنك خطاياك .

وقال دبرك :

ـ يبدو ان هذا صحيح ، لا بد وان السبب مسالة سخيفة ، على اية حال يجب ان اسرع الى رئاسة البوليس ، كيف يجرؤ على استدعائي وانا مدعو على العشاء ، يجب ان يكون امرا بالغ الاهمية هو الذي دعاه الى هذا التصرف .

وضحك ، ثم دفع بكرسيه الى الوراء ، ونهض ليغادر الغرفة .

***

فان اولدين يتلقى برقية

في الخامس عشر من شهر فبراير .. كان الضباب الاصفر الكثيف يغطي لندن ، وكان روفوس فان اولدين يجلس في جناحه بفندق سافوي

يعمل بكل طاقته منتهزا فرصة سوء الاحوال الجوية وكان نايتون ينادي السرور .. اذ انه في الفترة الاخيرة كان يلقى صعوبة كبيرة في دفع فان اولدين الى العمل .. اذ كلما تقدم اليه ببعض الاوراق .. رده عنه بكلمات مقتضبة .. ولكن الان .. كان يبدو فان اولدين وكأنه قد القى بنفسه في اتون العمل .. وانتهز السكرتير الفرصة .. وكان ليقا .. فلم يشعر فان اولدين انه يدفعه دفعا اليه .

ولكن رغم استغراقه في عمله .. فان شيئا ما كان يقلقه .. كانت ملاحظة عابرة قد القاها نايتون بلا وعي .. قد اثارت ما بنفسه .. وظلت الهواجس تلح عليه حتى فرضت نفسها فرضا عليه .

وانصت الى ما كان يقوله نايتون باهتمام .. وان لم تنفذ كلمة واحدة منه الى عقله .. الا انه اوما برأسه بطريقة آلية .. وعاد السكرتير الى اوراقه يقرؤها .. فقال فان اولدين :

ـ نايتون .. هل لك ان تعيد هذا علي مرة اخرى ؟

وامسك نايتون بتقرير احدى الشركات بيده وقال :

ـ تعني هذا يا سيدي ؟

فرد فان اولدين :

ـ كلا .. كلا .. وانما اعني ما قلته لي عن لقائك بوصيفة روث في باريس الليلة الماضية ، اذ اني لا استطيع ان افهم ما حدث ..

ـ لا بد وانك قد اخطأت .

ـ لا يمكن ان اكون قد اخطأت يا سيدي .. لقد تحدثت اليها فعلا .

ـ حسنا .. فلتقل لي ما حدث مرة اخرى .

وقال نايتون :

ـ كنت قد انهيت الاتفاق مع برنيمرز .. وعدت الى فندق «ريتز» لاجمع حاجياتي تمهيدا لتناول العشاء قبل ان الحق بقطار الساعة التاسعة من محطة الشمال ، وفي مكتب الاستقبال رأيت امرأة كنت واثقا من انها وصيفة مسز كترنج .. فذهبت اليها وسألتها ما اذا كانت مسز كترنج تنزل هناك .

فرد فان اولدين :

ـ نعم .. نعم .. بالطبع .. فاخبرتك بأن روث قد مضت الى الريفيرا وانها بعثت بها الى الريتز في انتظار اوامر اخرى .

ـ هذا هو بالضبط ما قالته .

ـ انه امر في غاية الغرابة .. في غاية الغرابة فعلا .. الا اذا كانت وقاحة المرأة هي التي دفعت روث الى تركها في باريس .

في هذه الحالة من المؤكد ان مسز كترنج تكون قد منحتها بعض النقود وطلبت منها العودة الى انكلترا .. لا ان تبعث بها لتنزل في الريتز .

ـ نعم .. هذا صحيح .

كان على وشك ان يقول شيئا اخر .. ولكنه سكت .. كان يحب نايتون .. ويثق به .. ولكنه لم يكن يستطيع مناقشة شؤون ابنته الخاصة مع سكرتيره .. لقد شعر بالالم لان روث لم تصارحه .. ولكن هذه المعلومات التي نمت اليه بالصدفة لم تزد الامر ايضاحا .

لماذا تخلصت روث من وصيفتها في باريس ؟ ما الدافع الذي حدا بها لان تفعل هذا ؟

وفكر برهة في الصدفة الغريبة .. هل كان يخطر ببال روث ان اول شخص ستلتقي به وصيفتها في باريس هو سكرتير والدها ؟ ولكن .. هكذا تسير الامور .. وينكشف كل شيء .

وازعجته العبارة الاخيرة .. لقد وردت الى ذهنه بطريقة طبيعية ترى .. هل كان هناك شيء «يمكن ان يكتشف ؟» .. كان يكره ان يسأل نفسه هذا السؤال .. فالاجابة التي لا شك فيها هي ان ارماند ديلاروش وراء هذا التصرف .

كان شعورا مريرا ذلك الذي احسه فان اولدين .. ان تقع ابنته فريسة لهذا الرجل .. ورغم ذلك فلم يسعه الا ان يعترف بأن ابنته كانت في رفقة طيبة .. وان غيرها من النساء الذكيات ذوات المكانة الرفيعة وقعن اسيرات سحره ، كان في استطاعة الرجال ان يفهموه على حقيقته .. اما النساء .. فلم يستطعن .

واخذ يبحث الان عن عبارة تزيل اي شك يكون سكرتيره قد شعر به .. فقال :

ـ ان روث تغير رأيها متى يحلو لها .

ثم اضاف في نبرة حاول الا تحمل اي اهتمام :

ـ الم تعطك الوصيفة اي سبب لهذا التغيير في خطة سيدتها ؟

وكان نايتون حريصا على ان يبدو صوته طبيعيا وهو يقول :

ـ لقد قالت يا سيدي ان مسز كترنج قد التقت مصادفة بشخص تربطها به صلة صداقة .

ـ اختا ؟

واستطاع السكرتير ان يتبين نبرة القلق التي تبدو مغلفة بالهدوء اذ قال فان اولدين :

ـ آه .. أهو رجل ام سيدة ؟

ـ اعتقد انها قالت انه رجل يا سيدي .

واوما فان اولدين براسه .. لقد تحققت مخاوفه ..

نهض من مقعده وشرع يذرع الغرفة .. وهي عادة كانت تلازمه عندما يستبد به القلق .. ولما عجز عن كتمان مشاعره اكثر من ذلك انفجر قائلا :

ـ هناك شيء واحد لا يستطيع اي رجل ان يفعله .. وهو ان يقنع

امراة بان تسمع صوت العقل .. يبدو انه ليس لديهن اي قدر من الادراك .. لتتكلم عن غريزة المراة .. ان المعروف في جميع انحاء العالم ان المراة هي الهدف الذي لا يخيب بالنسبة لاي افاق .. فلا تستطيع الواحدة منهن ان تدرك ان من تلتقي به وغد .. بل يمكن ان يخدعها اي رجل وسيم بكلامه المعسول .. ولو كان الامر بيدي ...

وقاطعه دخول خادم يحمل برقية .. ففضها فان اولدين .. وغاض الدم من وجهه .. واستند الى ظهر مقعد حتى يتمالك نفسه من السقوط .. ثم اشار الى الخادم ليغادر الغرفة .

– ماذا حدث يا سيدي ؟

وقال فان اولدين بصوت مبحوح :

– روث !!

– مسز كترنج ؟

– ماتت !!

– في حادث قطار ؟

فهز فان اولدين راسه بالنفي وقال :

– كلا .. يبدو من هذه البرقية انها نشلت ايضا . انهم لا يقولونها صراحة يا نايتون .. ولكن ابنتي المسكينة قد قتلت !

– يا الهي !.. يا سيدي .

ونفر فان اولدين البرقية بسبابته وقال :

– هذه البرقية من البوليس في نيس .. يجب ان استقل اول قطار الى هناك .

وكالعادة .. كان نايتون الرجل الكفء . نظر الى الساعة ثم قال :

– قطار الساعة الخامسة من محطة فيكتوريا يا سيدي .

ودق جرس التليفون بحدة .. ورفع السكرتير السماعة :

– نعم .. من المتحدث ؟

ثم قال لفان اولدين :

– انه مستر جوبي .. يا سيدي .

– جوبي ؟ لا استطيع ان اقابله الان . كلا .. انتظر .. ما زال لدينا وقت . ليصعد الى هنا .

كان فان اولدين رجلا قويا .. وفي الحال .. استعاد هدوءه .. ولم يكن احد ليلحظ شيئا في تحيته لمستر جوبي .

– انني متعجل يا جوبي . الديك شيء هام تخبرني به ؟

وسعل مستر جوبي وقال :

– لقد غادر مستر كترنج لندن يا سيدي صباح امس في طريقه الى الريفييرا .

ويبدو ان شيئا ما في صوته قد افزع مستر جوبي .. فتخلى لاول

مرة عن عادة عدم النظر الى محدثه .. ورمق المليونير بنظرة سريعة .

وساله فان اولدين :

– وباي قطار سافر ؟

– القطار الازرق يا سيدي .

وسعل مستر جوبي مرة اخرى وقال موجها حديثه الى الساعة الموضوعة على المدفاة :

– وقد كانت معه في نفس القطار الانسة ميراي .. الراقصة في الباريزيون .

***

قصة آداميسون

«لا استطيع ان اعبر لك يا سيدي عن الذعر والاسى والعطف العميق الذي نشعر به من اجلك» .

هكذا بدا مسيو كاريج قاضي التحقيق حديثه مع فان اولدين ، وايدى مسيو كو مشاركته له ، ورد فان اولدين على هذه المشاعر باشارة من يده ، وكان هذا المشهد كله في حجرة تحقيق في نيس ، وبالاضافة الى كاريج ومفتش المباحث وفان اولدين كان هناك شخص اخر في الغرفة ، وتحدث هذا الشخص قائلا :

– ان مسيو فان اولدين يريد عملا .. عملا سريعا .

فصاح المفتش :

– آه .. انني لم اقدمك بعد ، مسيو فان اولدين ، هذا هو مسيو هيركيول بوارو ، لا شك انك قد سمعت عنه ، وبالرغم من انه قد اعتزل العمل منذ بضع سنوات ، الا ان اسمه ما زال ملء الاسماع كواحد من اعظم المخبرين الان .

وقال فان اولدين بطريقة آلية :

– يسعدني ان القاك يا مسيو بوارو ، هل اعتزلت مهنتك ؟

– هذا صحيح يا سيدي ، وانا الان استمتع بالدنيا .

واشار الرجل القصير ببده .

واوضح المفتش الامر بقوله :

– لقد تصادف ان مسيو بوارو كان على نفس القطار الازرق ، وكان لطيفا منه ان يعرض علينا مساعدته بخبرته العريضة .

ونظر المليونير الى بوارو نظرة فاحصة ، ثم قال فجاة :

– انني رجل ثري للغاية يا مسيو بوارو ، وقد اعتاد الناس ان يقولوا ان الانسان الغني يعمل بعقيدة واحدة وهي انه يستطيع ان يشتري كل

شيء ، ولكن هذا غير صحيح ، انني رجل بارز في عملي ، ويستطيع الرجل البارز في عمله ان يطلب معروفا من رجل اخر بارز مثله .

فاومأ بوارو برأسه تعبيرا عن اعجابه ، وقال :

ـ لقد احسنت قولا يا مسيو فان اولدين ، وانني اضع نفسي في خدمتك تماما .

فرد فان اولدين :

ـ شكرا ، واذا احتجت الي في اي وقت فستجدني عارفا بالجميل ، والان ايها السادة هيا الى العمل .

وقال مسيو كاريج :

ـ اقترح ان نستجوب الوصيفة آدا ميسون ، وهي موجودة هنا .

فرد فان اولدين :

ـ نعم .. فقد اتينا بها من باريس عند مرورنا بها ، وقد انزعجت لموت سيدتها ، ولكنها تروي قصة محبوكة تماما .

وقال مسيو كاريج :

ـ فلتدخل اذن .

ودق الجرس الموضوع على مكتبه ، وبعد لحظات دخلت آدا ميسون كانت ملابسها السوداء في غاية الاناقة ، وكان طرف انفها محمرا . وكانت قد استبدلت قفازها الرمادي بآخر من الشمواه الاسود ، والقت نظرة قلقة حول الغرفة ، ولكن يبدو ان حضور والد سيدتها قد بعث بالطمأنينة الى نفسها ، وكان المحقق يفخر بطريقته الودود في الكلام ، فحاول جاهدا ان يهدىء من روعها ، وساعده في ذلك بوارو الذي كان يقوم بدور المترجم ، والذي كان لطريقته الفضل في تهدئة السيدة الانكليزية .

ـ اسمك آدا ميسون ، اليس كذلك ؟

ـ آدا بياتريس ، كما في شهادة الميلاد يا سيدي .

ـ بالضبط ، وقد فهمنا ان ما حدث كان محزنا بالنسبة لك .

ـ بالطبع يا سيدي .. لقد عملت مع سيدات كثيرات كن راضيات عن عملي ، ولكني لم اكن لاحلم اطلاقا بان يحدث ما حدث في اي مكان اعمل فيه .

وقال مسيو كاريج :

ـ كلا .. كلا ..

ـ من الطبيعي اني قرات مثل هذه الاشياء في صحف يوم الاحد ، وكنت ادرك ان هذه القطارات الاجنبية ...

واسكت فجاة ، وقد تذكرت ان الرجال الذين يتحدثون معها هم ايضا فرنسيون .

وقال مسيو كاريج :

ـ والان .. لنبحث هذا الموضوع معا ، كما فهمت .. لم تكن هنالك

اية فكرة لبقائك في باريس حين بدأت الرحلة من لندن ..

ـ اوه .. كلا يا سيدي .. لقد كان علينا ان نمضي راسا الى نيس.

ـ وهل سبق ان سافرت مع سيدتك الى الخارج ؟

ـ كلا يا سيدي .. انني لم اعمل معها الا منذ شهرين فقط .

ـ وهل كانت في حالتها الطبيعية عندما بدأت الرحلة ؟

ـ لقد كانت تبدو مشغولة قلقة ، من الصعب ارضاؤها .

فاومأ مسيو كاريج براسه ، ثم قال :

ـ والان يا ميسون .. ماذا سمعت حين توقفت في باريس ؟

ـ كان ذلك في المكان الذي يطلقون عليه محطة ليون يا سيدي . كانت سيدتي تفكر في مغادرة القطار والسير قليلا على الرصيف وكانت على وشك الخروج الى الممر حين اطلقت صيحة دهشة ، ثم عادت الى مقصورتها ومعها رجل ، وأغلقت الباب بين مقصورتها وبيتي ، فلم اسمع ولم ار شيئا حتى فتحته فجاة . واخبرتني انها قد غيرت خططها ، ثم اعطتني بعض النقود ، وطلبت مني ان اغادر القطار وان اذهب الى الريتز ، وكانوا يعرفونها جيدا هناك ، كما قالت ، وسيخصصون لي غرفة ، وكان على ان انتظر هناك حتى تصلني تعليمات منها ، كانت ستبرق لي بما تريدني ان افعله ، وجمعت اشيائي بسرعة وقفزت من القطار في الوقت المناسب ، كنت مستعجلة .

ـ واين كان الرجل عندما قالت لك مسز كترنج هذا ؟

ـ كان يقف في المقصورة المجاورة يا سيدي .. ينظر من النافذة .

ـ هل تستطيعين وصفه لنا ؟

ـ انني لم ابتهه تماما يا سيدي .. فقد كان موليا ظهره لنا اغلب الوقت ، كل ما استطيع ان اقوله انه كان رجلا طويلا اسمر ، وكان يرتدي معطفا كحليا وقبعة رمادية اللون .

ـ وهل كان واحدا من ركاب القطار ؟

ـ لا اعتقد يا سيدي .. لقد فهمت انه جاء الى المحطة ليلتقي بمسز كترنج عند مرور القطار بالمدينة .. وبالطبع من الممكن ان يكون واحدا من ركاب القطار .. وان لم تخطر الفكرة لي ابدا .

وبدا على ميسون ان هذا الخاطر قد افزعها قليلا .

وانتقل مسيو كاريج الى موضوع اخر :

ـ آه .. لقد طلبت سيدتك من المحصل فيما بعد الا يوقظها مبكرا في الصباح فهل كان هذا التصرف عاديا منها ؟

ـ نعم يا سيدي .. فان سيدتي لم تكن من عاداتها ان تفطر .. ولم تكن تنعم بالنوم ليلا .. ولذلك كانت تحب ان تتاخر قليلا في نومها صباحا .

ومرة اخرى انتقل مسيو كاريج الى موضوع اخر :

– كان من بين حقائب سيدتك .. علبة قرمزية اللـــون .. اليس كذلك ؟ هل هي علبة المجوهرات الخاصة بسيدتك ؟

– نعم .. يا سيدي .

– وهل اخذتها معك الى الريتز ؟

– انا آخذ علبة مجوهرات سيدتي الى الريتز ؟ اوه .. كلا .. على الاطلاق .. يا سيدي .

وبدا الهلع في نبراتها :

– اذن فقد تركتها في العربة ؟

– نعم .. يا سيدي .

– وهل كان مع سيدتك مجوهرات كثيرة ؟

– كمية لا بأس بها يا سيدي .. تسببت في احساسي بالقلق في بعض الاحيان .. مع الحكايات المزعجة عن سرقة الناس في بلاد غريبة كان مؤمنا عليها .. ولكن رغم ذلك .. كانت مخاطرة كبيرة .. لقـــد كانت احجار الياقوت وحدها تقدر ببضع مئات من الوف الجنيهات .. كمـــا اخبرتني السيدة .

وصاح فان اولدين فجاة :

– الياقوت ؟.. اي ياقوت ؟..

والتفتت اليه ميسون وقالت :

– اعتقد انك انت يا سيدي الذي اهديته لها منذ وقت قريب .

وصاح فان اولدين :

– يا الهي !.. اتقولين حقا انها اخذت احجار الياقوت معها ؟.. لقد طلبت منها ان تتركها في البنك .

ومرة اخرى سعلت بخفة .. وقد افصحت بذلك عن الكثير .. فقد اوضحت – اكثر من اي كلمات – ان سيدتها تفعل ما تريد .

وتمتم فان اولدين :

– لا بد ان روث قد جنت .. ما الذي دفعها الى ان تفعل هذا ؟

وسعل مسيو كاريج – بدوره – بطريقة لها مغزاها ، لفتت نظـــر مسيو فان اولدين ، ووجه مسيو كاريج حديثه الى ميسون قائلا :

– هذا يكفي .. حاليا .. وعند ذهابك الى الغرفة المجاورة سيقراون عليك الاسئلة والاجوبة .. وستوقعين عليها .

وصحب الكاتب ميسون الى الخارج .. وسال فان اولدين المحقق في الثو :

– حسنا ؟

وفتح مسيو كاريج احد ادراج مكتبه .. واخرج خطابا اعطاه الى فان اولدين وقال :

– لقد وجدنا هذا في حقيبة يد السيدة .

وكان الخطاب كما يلي :

«صديقتي العزيزة .. سافعل كما تريدين ، واكـــون حريصا .. جدا .. وكل هذه الصفات التي يكرهها المحيون ، ربما كان لقاؤنا في باريس بعيدا عن الحكمة .. ولكن جزر الذهب بعيدة عن العالم .. ولن تتسرب الاخبار ، ان هذا الراي الثاقب مثلك تماما .. ومثل مشاركتك لي في الاهتمام بالكتاب الذي اضعه عن المجوهرات المشهورة ، حقـــا ستكون فرصة نادرة لي اذ أرى والمس احجار الياقوت التاريخية هذه ، انني ساخصص فصلا كاملا للياقوتة المشهورة «قلب من نار» .. حبيبتي .. لقد اقترب اليوم الذي ساعوضك فيه عن كل هذه السنين من الحرمان .. والفراغ » .

محبك الى الابد
« ارمـــان »

***

الكونت دي لاروش

فرا فان اولدين الخطاب في صمت وقد استحال وجهه الى لـــون قرمزي .. واستشاط غضبا .. ورأى الرجال الذين كانوا ينظرون اليه العروق تنفر من جبهته .. ويديه تتشنجان بلا وعي ، واعاد الخطاب دون ان ينفوه بكلمة واحدة ، وكان مسيو كاريج ينظر الى مكتبه .. اما عينا مسيو كو فقد ثبتتا على السقف .. بينما كان مسيو بوارو يزيل ذرة من الغبار عن كمه .. كانوا من اللياقة بحيث لم ينظر اي واحد منهم اليه .

وحسب ما تقتضيه واجبات المهنة .. كان مسيو كاريج اول من طرق الموضوع ، اذ قال :

– بما استطعت يا سيدي ان تعرف من ... من الذي كتب هـــذا الخطاب ؟

فرد فان اولدين بتثاقل :

– نعم .. اعرف .

وتساءل المحقق :

– ومن يكون ؟

ـ انه وغد يطلق على نفسه اسم الكونت دي لاروش .

وتلت ذلك فترة صمت .. ثم مال مسيو بوارو الى الامام .. وعدل وضع مسطرة على حافة المكتب ثم وجه حديثه الى المليونير مباشرة قائلا :

ـ مسيو فان اولدين .. اننا كلنا نشعر بما يسببه طرق هذه الموضوعات من الم دفين لك .. ولكن صدقني .. يا سيدي .. ليس الوقت .. وقت اخفاء الحقائق ، واذا كان للعدالة ان تأخذ مجراها .. فيجب ان نعرف كل شيء ، ولو انك تدبرت الامر قليلا لتبينت صحة كلامي بنفسك .

وصمت فان اولدين برهة .. ثم اومأ برأسه ايجابا وقال :

ـ انك على صواب يا مسيو بوارو ، رغم ما يسببه الحديث في هذا الموضوع من الم لي .. الا انه ليس من حقي ان اكتم شيئا .

وتنهد المفتش ارتياحا .. واستند المحقق الى كرسيه واصلح من وضع نظارته وقال :

ـ هلا اخبرتنا بنفسك يا مسيو فان اولدين بكل ما تعلمه عن هذا الرجل ؟

ـ لقد كانت البداية منذ احد عشر او اثني عشر عاما ـ في باريس . كنت ابنتي وقتئذ فتاة صغيرة .. تسيطر عليها الافكار الطائشة الشاعرية مثل كل الفتيات في سنها .. ودون علمي قامت علاقة بينها وبين ـ كما كنت قد ربما تكونون قد سمعتم به ؟

واومأ المفتش ومسيو بوارو ايجابا .

واستطرد فان اولدين بقوله :

ـ انه يطلق على نفسه اسم الكونت دي لاروش وان كنت اشك في انه يحمل اي لقب .

فقال المحقق موافقا اياه على رأيه :

ـ انك لن تجد اسمه بين حملة الالقاب .

وقال فان اولدين :

ـ لقد تبينت بنفسي هذا .. كان الرجل وغدا وسيما .. له جاذبية خاصة بالنسبة للنساء ، وافتتنت به روث . ولكني سرعان ما وضعت يدا للامر كله .. اذ لم يكن الرجل باكثر من محتال .

وقال المفتش :

ـ انك على حق .. فالكونت دي لاروش معروف لنا جيدا ، ولو كان بامكاننا ان نقبض عليه لفعلنا .. ولكن .. يا الهي !.. ان الامر ليس سهلا .. فهو غاية في الدهاء .. وهو دائما يرمي شباكه حول سيدات الطبقة الراقية .. فاذا استولى منهن على المال ابتزازا او ادعاء .. فمن الذي يجرؤ على اتهامه .. حتى لا يظهرن بمظهر الغفلة امام العالم ..

وتأثيره عليهن لا يقاوم .

وقال المليونير بتأمل :

ـ هذا صحيح .. وكما اخبرتكم .. فقد وضعت حدا لعلاقتهما ، واخبرت روث بحقيقته .. فصدقتني .. وبعد حوالي عام . التقت بزوجها الحالي .. وتزوجا ، وعلى قدر معرفتي .. كان هذا هو نهاية الموضوع .. ولكن منذ اسبوع واحد فقط اكتشفت لدهشتي البالغة ان ابنتي قد استأنفت علاقتها بالكونت دي لاروش ، وانها قد التقت به مرارا في لندن وباريس .. وقد اعترضت على تصرفاتها الطائشة .. واستطيع ان اخبركم انها ـ امام اصراري ـ كانت على وشك رفع قضية ضد زوجها تطلب فيها الطلاق .

وتمتم بوارو بصوت رقيق وهو ينظر الى السقف :

ـ هذا مثير ..

فنظر اليه فان اولدين بحدة وقال :

ـ لقد اوضحت لها انه من الحماقة ان تستمر في علاقتها بالكونت تحت هذه الظروف ، وحسبت انها وافقتني على رأيي .

وسعل المحقق سعلة خفيفة . وقال :

ـ ولكن .. طبقا لهذا الخطاب ...

ولم يتم جملته ..

وقال فان اولدين :

ـ اعلم هذا .. ليس من الصواب ان نخفي الحقائق .. فمهما بدت غير مقبولة .. يجب ان نواجهها .. من الواضح ان روث قد رتبت امورها لتذهب الى باريس وتلتقي بالكونت دي لاروش هناك ، ولكن بعد تحذيري لها .. لا بد وانها كتبت اليه تغترف تغيير مكان اللقاء .

وفكر المحقق وقال :

ـ جزر الدهب .. انها تقع في مواجهة ايبز .. وهي بقعة نائية رائعة .

واومأ فان اولدين برأسه وصاح قائلا بمرارة :

ـ يا الهي !.. كيف يتسنى لروث ان تبلغ هذه الدرجة من الحماقة ! وتصدق ادعاءه بانه يضع كتابا عن المجوهرات !.. لا بد وانه كان يجري وراء الياقوت منذ البداية .

وقال بوارو :

ـ هناك بعض احجار الياقوت الدائعة الصيت .. وهي في الاصل جزء من مجوهرات التاج الروسي .. وهي فريدة في نوعها وقيمتها خيالية ، وقد تردد اخيرا ان شخصا اميركيا ثريا قد اشتراها .. فهل صحيح انك انت الذي اشتريتها ؟

وقال فان اولدين :

ـ نعم .. لقد اشتريتها في باريس منذ عشرة أيام .

ـ عفوا يا سيدي .. ولكن يبدو ان المفاوضات التي تمت من اجل شرائها قد استغرقت بعض الوقت .

ـ اكثر قليلا من شهرين .. ولكن لماذا ؟

ـ لقد اصبح الامر معروفا .. فهناك الكثيرون يتابعون اخبار مثل تلك المجوهرات .

وتقلص وجه فان اولدين وقال بصوت كسير :

ـ اذكر الان تكتة قلتها لروث .. حين اهديتها الياقوت ، فقد أوصيتها بالا تأخذها معها الى الريفييرا لاني لا اتحمل صدمة قتلها من اجل سرقة المجوهرات . يا الهي !.. يا للاشياء التي يقولها الانسان .. دون ان يدري انها قد تصبح حقيقة .

وظلت ذلك فترة صمت ثم تكلم بوارو :

ـ لترتب الحقائق الموجودة لدينا ترتيبا دقيقا منظما ، تبعا لنظريتنا الحالية .. سارت الامور كالاتي : كان الكونت دي لاروش يعلم بشرائك المجوهرات ، وبحيلة بارعة حرص مدام كنرنج على ان تحضرها معها ، وبذلك يكون هو الرجل الذي رأته ميسون في القطار في باريس .

واوما الثلاثة الاخرون ايجابا ، واستطرد هو يقول :

ـ لقد دهشت السيدة لرؤيته .. ولكنه كان مستعدا للموقف . ابعد ميسون من الطريق .. واحضر العشاء الى المقصورة .. وقد عرفنا من الحصل انه قد اعد السبرير في المقصورة الاولى ولكنه لم يدخل الى الثانية .. وانه كان من الممكن ان يختفي فيها شخص دون ان يراه احد ، وحتى ذلك الحين كان الكونت مختفيا عن الانظار تماما ، ولم يكن احد يعلم بوجوده في القطار الا السيدة ، وكان حريصا على الا ترى الوصيفة وجهه ، وكل ما استطاعت ان تقوله انه طويل واسمر ، وهذا وصف غامض للاسف ، كانا وحدهما والقطار يندفع في الليل ، فلا صوت صراخ ولا مقاومة لان الرجل حبيبها كما تعتقد .

ثم استدار الى فان اولدين وقال بلطف :

ـ لا بد ان الوفاة يا سيدي حدثت في الحال ، ولن تقف طويلا عند هذه النقطة .. اخذ الكونت علبة المجوهرات التي كانت في متناول يده ، وبعد فترة قصيرة كان القطار يقترب من ليون .

واوما مسيو كاريج براسه مؤمنا ، وقال :

ـ بالضبط .. وينزل المحصل من القطار ، فيصبح من السهل على الرجل ان يغادره دون ان يراه احد . ويصبح من السهل عليه ايضا ان يركب قطارا اخر ليعود الى باريس او ليذهب الى اي مكان يريده ، وعندئذ ، تعتبر الجريمة ، جريمة سرقة عادية في القطار ، ولولا الخطاب الذي وجد في حقيبة السيدة ، لما ورد اسم الكونت اطلاقا .

وقال المفتش :

ـ لقد كان اهمالا منه الا يفتش الحقيبة .

ـ مما لا شك فيه انه اعتقد انها قد اعدمت هذا الخطاب ، فقد كانت ـ عفوا يا سيدي ـ حماقة منها ان تحتفظ بالخطاب .

وتمتم بوارو :

ـ ومع ذلك ، فقد كانت حماقة منه الا يتنبأ بهذا .

ـ ماذا تعني ؟

ـ اعني اننا جميعا قد اتفقنا على نقطة واحدة ، وهي ان الكونت دي لاروش كان ضليعا في موضوع واحد ، وهو النساء ، فكيف فاته وهو العليم بشؤونهن ان يتنبأ بان السيدة سوف تحتفظ بالخطاب .

وقال المحقق بشيء من الشك :

ـ نعم .. نعم .. هناك بعض الصحة فيما تقول ، ولكن في مثل هذه الاوقات لا يكون المرء مالكا زمام نفسه ، فهو لا يتصرف بروية . يا الهي .. لو ان كل المجرمين احتفظوا بهدوئهم وتصرفوا بذكاء فكيف يتأتى لنا ان نقبض عليهم ؟

وابتسم بوارو لنفسه . وقال الاخر :

ـ ان الاتهام يبدو واضحا ، ولكن من الصعب اثباته ، فالكونت يجيد المراوغة ، وما لم نستطع الوصيفة التعرف عليه ..

وقال بوارو :

ـ وهو شيء بعيد الاحتمال .

وحك المحقق ذقنه وهو يقول :

ـ هذا صحيح انه لامر صعب .

وقال بوارو :

ـ اذا كان قد ارتكب الجريمة فعلا ..

وقاطعه مسيو كو :

ـ اذا ..! اتقول .. اذا ..؟

ـ نعم يا سيدي المفتش اقول اذا ..

فنظر اليه الاخر بحدة ، ثم قال :

ـ انك على صواب .. لقد تعجلنا . ومن الممكن ان يستطيع الكونت اثبات وجوده في مكان اخر وقت ارتكابه الجريمة ، وبذلك نظهر بمظهر المغفلين .

ورد بوارو :

ـ آه .. هذا لا يهم اطلاقا .. فمن الطبيعي اذا كان قد ارتكب الجريمة ان يحاول اثبات وجوده في مكان اخر وقت وقوعها ، فان رجلا في مثل خبرة الكونت . لن يعجز عن اتخاذ احتياطات .. كلا لقد قلت اذا .. لسبب محدد تماما .

ـ وما هو ؟

وقال بوارو وهو يشير بسبابته مؤكدا كلامه :

ـ انه علم النفس .

وقال المفتش :

ـ ماذا ؟!

ـ علم النفس .. اما ان الكونت وغد ، فهذا صحيح .. واما انه محتال فهذا ايضا صحيح .. واما انه يتصب الشباك حول النساء ، فهذا صحيح ، ثم احتياله ليسرق مجوهرات السيدة .. هذا ايضا صحيح .. ولكن هل هو من النوع الذي يرتكب جريمة قتل ..؟ ردي على هذا هو : كلا ، فان شخصا من النوع الكونت يكون دائما جبانا ، فهو لا يخاطر ابدا ، ويفضل اسلم الطرق ، وربما اوضعها ، ولكن القتل .. كلا ، واف كلا .

ولم يد على المحقق انه يتفق معه في هذا الراي فقال بتعقل :

ـ ولكن يأتي يوم يفقد فيه مثل هؤلاء الناس عقولهم ، ويندفعون الى ابعد مدى ، ومما لا شك فيه ان هذا ما حدث في الحادثة ، ودون ان اعارضك الراي يا مسيو بوارو ..

واسرع بوارو يوضح الموقف :

ـ لقد كان مجرد راي .. والقضية بالطبع بين ايديكم وستفعلون ما ترونه مناسبا .

وقال مسيو كاريج :

ـ انني مقتنع بان الكونت دي لاروش هو الرجل الذي يجب ان نقبض عليه ، هل توافقني على هذا يا سيدي المفتش ؟

ـ تماما .

وقال الليوتنير :

ـ الرجل شرير تماما ، لا شك في هذا .

فابتسم الرجل القصير ابتسامة مغيظة ، وقال :

ـ ان مهمتي ان اعرف الاشياء . والكونت رجل ذكي ، وهو الان يقيم في فيلا استاجرها ، هي فيلا مارينا في انتيب .

***

بوارو يناقش القضية

نظر الجميع الى بوارو باحترام . لا شك ان الرجل القصير قد اصاب

الهدف . وضحك المفتش ضحكة جوفاء ، وصاح قائلا :

ـ انك تعلمنا عملنا . مسيو بوارو يعلم اكثر مما يعلمه البوليس !

ونظر بوارو الى سقف الغرفة برضا ، وهو يصطنع التواضع وقال بصوت خفيض :

ـ انها هوايتي .. ان اعرف الاشياء ، فلدي بالطبع من الوقت ما يسمح لي بذلك ، اذ انني لست مثقلا بالاعباء .

وقال المفتش وهو يهز راسه :

ـ آه .. اما عن نفسي ...

واشار بيده معبرا عما يحمله على كتفيه من اعباء .

واستدار بوارو فجاة الى فان اولدين :

ـ هل توافق يا سيدي على هذا الراي . اتشعر بان الكونت دي لاروش هو القاتل بصفة مؤكدة ؟

ـ ان الامر يبدو كذلك . نعم .. بالتاكيد .

ولكن شيئا من التحفظ في الاجابة جعل المحقق ينظر الى الاميركي باستغراب وبدا فان اولدين وقد احس بذلك ، فبذل مجهودا كمن يطرد خاطرا الح عليه ، وسال :

ـ وماذا عن زوج ابنتي ؟ هل اتيتموه بالخبر ؟ انه في نيس على ما اظن .

وتردد المفتش قليلا وقال :

ـ بالتاكيد يا سيدي .

ثم اضاف بحذر شديد :

ـ لا شك انك تعلم يا مسيو فان اولدين ان مستر كنرنج كان واحدا من ركاب القطار الازرق في تلك الليلة .

واومأ الليوتنير :

ـ قد سمعت بهذا قبل مغادرتي لندن .

واستطرد المفتش :

ـ وقد اخبرنا بانه لم تكن لديه فكرة عن ان زوجته كانت ضمن ركاب القطار .

وقال فان اولدين :

ـ اراهن انه لم تكن لديه فكرة ، ولو انه فابلها في القطار لكانب مفاجاة سيئة بالنسبة له .

ونظر اليه الرجال الثلاثة متسائلين . فقال فان اولدين بعنف :

ـ لن احجب الحقائق .. فلا احد يعلم ما الذي يجعله انتهي المسكينة ، ديرك كنرنج لم يكن وحده ، بل كانت برفقه سيدة .

ـ ماذا ؟

ـ ميراي الراقصة .

وتبادل مسيو كاريج والمفتش النظرات ، وهذا رأيهما كما لو كانا يؤكدان محادثة سابقة دارت بينهما .

ومال مسيو كاريج الى الوراء في كرسيه وعقد يديه وثبت عينيه على السقف ، ثم تمتم مرة اخرى :

ـ ان الانسان ليعجب فقد سرت بعض الاشاعات .

وقال مسيو كو :

ـ ان السيدة موتورة للغاية .

فتمتم بوارو قائلا :

ـ وهي ايضا تكلف الكثير .

واحمر وجه فان اولدين ، ثم مال الى الامام وخبط المائدة بقبضة يده، وصرخ قائلا :

ـ اسمعوا .. ان زوج ابنتي وغد تماما .

ثم قال وهو يتنقل نظرة بينهم :

ـ لا اعلم ، ولكن هذه الوسامة ، وهذا السحر قد خدعاني مدة ، اظن انه تظاهر بأنه محطم القلب حين ابلغتموه بالخبر ـ اعني اذا لم يكن قد عرفه فعلا .

ـ لقد كانت مفاجأة له . وبدا منهارا .

وقال فان اولدين :

ـ يا للمخادع .. اعتقد انه تظاهر بالحزن العميق .

فرد المفتش بحذر بقوله :

ـ كلا .. لا استطيع ان اجزم بهذا .. اليس كذلك يا مسيو كاريج؟

وافمض المحقق عينيه وقال :

ـ لقد بان عليه اثر الصدمة والحيرة والهلع ، وان لم يبد عليه اثر الحزن .

وتكلم هركيول بوارو مرة اخرى :

ـ اسمح لي ان اسألك يا مسيو فان اولدين .. هل يستفيد مسيو كرنج من وفاة زوجته ؟

فرد فان اولدين :

ـ سيئول اليه مليونان ..

ـ دولارات ؟

ـ مليونا جنيه . فقد كان هذا المبلغ هديتي لها عند زواجها . وهي لم تكتب وصية ، ولم تنجب اطفالا ، ولذلك ستئول الثروة الى زوجها .

وتمتم بوارو :

ـ الذي كانت على وشك طلب الطلاق منه .. نعم .. تماما .

والتفت المفتش ونظر اليه بحدة وقال :

ـ اعني ...؟

ـ انني لا اعني شيئا .. كل ما في الامر اني ارتب الحقائق .

وحملق فيه فان اولدين وقد بدا عليه الاهتمام .

ونهض الرجل واقفا .. وقال بأدب وهو ينحني الى مسيو كاريج :

ـ اعتقد يا سيدي انكم لن تحتاجون الي الان .. وسوف يكون كرما منكم لو اخبرتموني بتطورات الموقف .

ـ بالتأكيد .. بكل تأكيد .

ونهض فان اولدين ايضا وقال :

ـ انكم لا تحتاجون الي الان .. اليس كذلك ؟

ـ كلا يا سيدي .. فلدينا كل ما نريده من معلومات في الوقت الحالي ..

ـ اذن .. سأتمشى قليلا مع مسيو بوارو .. هذا ان لم يكن لديه مانع .

فانحنى الرجل القصير وقال :

ـ سمعتني ذلك .. يا سيدي .

واشعل فان اولدين سيجارا ضخما .. بعد ان قدم واحدا الى بوارو .. ولكنه رفضه .. واشعل واحدة من سجائره الصغيرة ، وعاد فان اولدين .. ذو الشخصية الجبارة .. الى حالته الطبيعية مرة اخرى . وبعد ان سارا فترة قصيرة في صمت .. تكلم الملبونير :

ـ اعتقد يا سيدي انك لم تعد تمارس مهنتك ؟

ـ هذا صحيح يا سيدي .. فانا استمتع بالدنيا .

ـ ورغم ذلك فانت تساعد البوليس في هذا الموضوع ؟

ـ سيدي .. لو ان طبيبا كان يسير في الطريق .. ووقعت حادثة .. فهل يقول لنفسه : «لقد اعتزلت عملي .. سأمضي في طريقي ، بينما هناك شخص ينزف حتى الموت تحت قدميه ؟» .. فاذا كنت قد ذهبت الى نيس فعلا وارسل البوليس في طلبي لاساعدهم .. لرفضت ، ولكن يبدو ان الله سبحانه وتعالى قد عهد بهذا الامر الي» .

وقال فان اولدين وهو يفكر :

ـ لقد كنت في مكان الحادث .. ترى هل غابت المقصورة ؟

واما بوارو اجابا .

ـ ويلا شك وجدت اشياء اوحت اليك بفكرة معينة . اليس كذلك ؟

ـ ربما .

ـ ارجو ان تدرك ما ارمي اليه . يبدو ان القضية ضد الكونت دي لاروش واضحة تماما .. ولكني لست مغفلا .. لقد طالت ارفيك طوال الفترة الاخيرة .. وادركت انك ـ لسبب ما ـ لا توافق على هذه النظرية .

وهز بوارو كتفيه وقال :

ـ ربما اكون مخطئا .
ـ اذن .. نصل الى المعروف الذي اطلبه منك .. هل تقبل ان تبحث هذه القضية من اجلي ؟
ـ من اجلك بصفة شخصية ؟
ـ هذا ما عنيه .
وصمت بوارو برهة ثم قال :
ـ ادرك تماما ما تطلب مني عمله ؟
ـ اعتقد هذا .
ـ هذا بديع .. وانا اقبل .. ولكن في هذه الحالة .. يجب ان تجيب عن اسئلتي بصراحة .
ـ طبعا بالتأكيد .. هذا مفهوم .
وتغيرت لهجة بوارو .. واصبح فجاه رجل عمل .
ـ مسألة الطلاق هذه .. هل كنت انت الذي نصحت ابنتك برفع القضية ؟
ـ نعم ..
ـ متى ؟..
ـ منذ حوالي عشرة ايام .. فقد وصلني خطاب منها تشكو من تصرفات زوجها .. فاوضحت لها بكل قوة ان الطلاق هو الحل الوحيد.
ـ ومم كانت تشكو ؟
ـ لقد شوهد كثيرا مع سيدة سيئة السمعة ـ السيدة التي تحدثنا عنها ـ ميراي .
ـ الراقصة .. آه .. وهل كانت مدام كترنج تعترض على هذا ؟ هل كانت هي مخلصة لزوجها ؟
وقال فان اولدين مترددا :
ـ لا استطيع ان اجزم بهذا .
ـ اذن لم يكن الموضوع موضوع حب .. بل كان مسألة كرامة .. اليس كذلك ؟
ـ نعم .. اعتقد اننا نستطيع ان نصوره هكذا .
ـ اظن انه لم يكن زواجا سعيدا منذ البداية ؟
ـ ان ذيرك كترنج فاسد لاقصى حد .. ولا يمكنه ان يسعد اية امرأة .
ـ انه ـ كما تقولون في انكلترا ـ فضيلة فاسدة .. اليس كذلك ؟
واومأ فان اولدين ..
فقال بوارو :
ـ لا بأس .. لقد نصحت انك السيدة بطلب الطلاق .. ووافقت هي .. واستشرت محاميك . فمتى سوف تبلغ مستر كترنج بهذا ؟

ـ لقد ارسلت في طلبه بنفسي .. واوضحت له الطريق الذي ساسير فيه .
ـ وماذا قال ؟
وتجهم وجه فان اولدين وهو يتذكر ما حدث .
ـ لقد كان وقحا للغاية .
ـ عفوا لسؤالي يا سيدي .. ولكن هل اشار الى موضوع الكونت دي لاروش ؟
وزمجر الاخر قائلا رغم ارادته :
ـ كلا .. لم يذكر اسمه .. ولكن ابدى علمه بالامر .
ـ اسمح لي ان اسأل : ماذا كان موقف مستر كترنج المالي في ذلك الوقت ؟
وبعد فترة تردد قصيرة قال :
ـ وانى لي ان اعرف هذا ؟
ـ من المحتمل على ما اعتقد انك حاولت ان تعرف .
ـ نعم .. هذا صحيح . اكتشفت ان كترنج كان مفلسا .
ـ والان .. آل اليه مليونان من الجنيهات .. يا لغرابة ما يحدث .
فنظر فان اولدين بحدة وقال :
ـ ماذا تعني ؟
ـ انني فقط افكر في الامر .. افلسف الموضوع .. اناقش المسألة من الناحية الاخلاقية ، ولكن لنعد الى الموضوع الاول . هل قبل مسيو كترنج ان يدع الامر يمر دون ان يثير حربا ؟
ولم يحر فان اولدين جوابا .. برهة .. ثم قال :
ـ انني لا اعلم تماما ما كان ينتويه .
ـ وهل اتصلت به ؟
ومرت فترة صمت اخرى .. ثم قال فان اولدين :
ـ كلا ..
وتوقف بوارو فجأة عن متابعة الحديث .. والتقط قبعته .. ومد يده قائلا :
ـ وداعا يا سيدي .. انني لا استطيع ان افعل شيئا من اجلك .
وساله فان اولدين بغضب :
ـ ماذا تعني ؟
ـ اذا لم تصارحني .. فانني لن استطيع ان افعل اي شيء .
ـ انني لا اعلم ما تقصده بهذا .
ـ اعتقد انك تعلم .. لتطمئن يا مسيو فان اولدين الى انني اعرف كيف امسك لساني .
ـ اذن لا بأس .. اعترف انى لم اكن اقول الحقيقة الان .. كان لي

فعلا اتصال معه .

– نعم ..

– ولاكون دقيقا ، ارسلت سكرتيري .. ماجور نايتون لكي يشتراه ويعرض عليه مبلغ مائة الف جنيه نقدا اذا لم يعارض في القضية .

– مبلغ كبير .. وماذا كان رده ؟

– ارسل يقول : فلاذهب الى الجحيم .

– آه !

ولم أبد عليه اية انفعالات ، بل كان يرتب الحقائق منطقيا في عقله .. ثم قال :

– لقد اخبر مسيو كترنج البوليس بانه لم ير ولم يتحدث الى زوجته اثناء رحلتها من انكلترا . فهل تميل الى تصديق هذا الكلام يا سيدي ؟

– نعم .. بل اعتقد انه حاول ان يبتعد عن طريقها بكل السبل .

– لماذا ؟

– لان المرأة كانت معه .

– ميراي ؟

– نعم ..

– وكيف عرفت هذه الحقيقة .

– اخبرني بذلك رجل طلبت منه ان يراقبه .. فقال انهما كانا في ذلك القطار .

وقال مسيو بوارو :

– لقد فهمت .. وفي هذه الحالة – كما قلت انت من قبل – لم يكن ليحاول الاتصال بمدام كترنج .

وصمت الرجل القصير برهة .. ولم يقطع فان اولدين حبل افكاره .

***

رجل ارستقراطي

قال بوارو لتابعه صباح اليوم التالي :

– هل سبق لك ان زرت الريفييرا يا جورج ؟

وكان جورج رجلا انكليزيا بكل معاني الكلمة .. جامد الوجه .

– نعم يا سيدي .. لقد حضرت الى هنا منذ عامين عندما كنت في خدمة لورد ادوارد فرامبتون .

– واليوم .. ها انت هنا .. مع هركيول بوارو .. يا للتقدم الذي يحرزه الانسان !

ولم يحر التابع جوابا .. وبعد فترة صمت سأله :

– هل احضر لك البدلة البنية يا سيدي ؟ فالجو بارد نوعا اليوم .

واعترض بوارو بقوله :

– هناك بقعة صغيرة في الصديري ، قطعة من الفطيرة لوثتها وانا اتناول غدائي في الرتز يوم الثلاثاء الماضي .

وقال جورج معاتبا :

– ليست بها اية بقع الان يا سيدي .. فقد ازلتها .

– لا بأس .. انني مسرور منك يا جورج .

– شكرا يا سيدي .

تلت ذلك فترة صمت ، قطعها بوارو متمتما :

– لنفترض يا جورج انك ولدت في نفس الطبقة الاجتماعية التي كان ينتمي اليها سيدك السابق لورد ادوارد فرامبتون – وانك وانت مفلس تزوجت سيدة في غاية الثراء .. ولكن هذه الزوجة طلبت الطلاق منك .. فلديها من الاسباب ما يدفعها الى ذلك .. فماذا يكون موقفك ؟

ورد جورج بقوله :

– ساحاول يا سيدي ان اجعلها تغير رايها .

– بوسائل سلمية او عنوة ؟

وبدا الذعر على وجه جورج وقال :

– عفوا يا سيدي .. ولكن تصرف اي شخص ينتمي الى الطبقة الارستقراطية يختلف عن تصرف شخص ينحدر من حي وايت شابل . فهو لن يقوم باي عمل وضيع .

– اتعتقد ذلك يا جورج ؟.. اني لاعجب .. ولكن .. ربما كنت على صواب .

وسمعت طرقات على الباب .. فذهب جورج وفتحه قليلا .. وكان حديثا قصيرا ثم عاد التابع الى بوارو وهو يقول :

– انها رسالة يا سيدي .

واخذها بوارو .. كانت من مسيو كو مفتش البوليس نصها كالاتي:

«نحن على وشك ان نستجوب الكونت دي لاروش .. وبرجو قاضي التحقيق ان تكون حاضرا» .

وهتف بوارو :

ـ اسرع يا جورج .. احضر البدلة .. يجب ان اذهب سريعا .

وبعد ربع ساعة .. كان بوارو يدخل مكتب التحقيق مرتديا بدلته البنية .. وكان مسيو كو هناك فحيا مسيو بوارو هو ومسيو كاريج .

وقال مسيو كو :

ـ ان المسألة تبدو غير مشجعة ، يبدو ان الكونت وصل الى نيس في اليوم السابق على مصرع القتيلة .

ورد بوارو :

ـ لو كان الامر كذلك .. فان هذا يؤيد وجهة نظره .

وتنحنح مسيو كاريج وقال :

ـ يجب الا نقبل هذه الحجة دون مناقشة .

ثم دق الجرس الموضوع على مكتبه .

وفي لحظة .. دخل الغرفة رجل اسمر طويل القامة .. يبدو عليه الترفع .. وكان مظهر الكونت يوحي بنبل محتده حتى لا يكاد المرء يصدق ان اباه لم يكن ناجرا صغيرا في نانت . واذا ما نظر اليه المرء فانه لا يشك لحظة في ان عددا لا حصر له من اسلافه قد لقوا حتفهم تحت حد المقصلة ابان الثورة الفرنسية .

وقال الكونت بترفع :

ـ هاتفا .. ايها السادة .. هل لي ان اسأل ماذا تريدون مني ؟

فقال المحقق بأدب :

ـ ارجو ان تجلس يا سيدي الكونت . ان المسألة متعلقة بموت مدام كترنج وهو ما نحققه الان .

ـ موت مدام كترنج ؟.. انني لا افهم شيئا ..

ـ لقد كنت .. على ما اعتقد .. تعرف السيدة .. اليس كذلك يا سيدي الكونت ؟

ـ بالتأكيد كنت اعرفها .. ولكن ما صلة هذا بالموضوع ؟

ونبت «مونوكل» على عينه .. ثم نظر حوله ببرود .. واستقرت عيناه طويلا على بوارو الذي كان ينظر اليه باعجاب بريء ارضى غرور الكونت . واستند مسيو كاريج الى مقعده وتنحنح :

ثم قال :

ـ ربما كنت لا تعلم ـ يا سيدي الكونت ـ ان مدام كترنج قد قتلت ؟

ـ قتلت ؟!.. يا الهي ..! انه لامر فظيع !

وكان افتعال الدهشة .. والاسى .. محبوكا تماما .. حتى ليكاد المرء يظنهما طبيعيين .

واستطرد مسيو كاريج يقول :

ـ لقد خنقت مدام كترنج بين باريس وليون .. وسرقت مجوهراتها

وقال الكونت بحرارة :

ـ انه لامر فظيع !.. يجب ان يعمل البوليس شيئا ليوقف اصوص القطارات عند حدهم . فلا احد في أمان اليوم .

وتابع المحقق حديثه قائلا :

ـ وقد وجدنا خطابا موجها منك الى السيدة .. في حقيبة يدها .. ويبدو انها كانت قد رتبت لقاء معك .

وهز الكونت كتفيه ومد يديه كمن لا حيلة له وقال بصراحة .

ـ ما فائدة الانكار ؟.. فكلنا رجال خبرنا الحياة .. انني اقولها بصراحة .. بيني وبينكم .. ان هذا صحيح .

ـ لقد التقيت بها في باريس .. وسافرت معها .. على ما اعتقد ؟

ـ كان هذا هو الترتيب في بادىء الامر .. ولكن بناء على رغبة السيدة نفسها .. وكنا سنلتقي في أيير .

ـ الم تلتق بها في القطار في محطة ليون مساء يوم ١٤ ؟

ـ على العكس .. لقد وصلت الى نيس صباح ذلك اليوم .. ان ما تقوله مستحيل الحدوث .

فقال مسيو كاريج :

ـ تماما .. تماما .. ولمجرد الشكليات ارجو ان تبين لي تحركاتك في مساء ليلة يوم ١٤ .

وفكر الكونت لحظة ، ثم قال :

ـ لقد تناولت عشائي في مونت كارلو في «مقهى باريس» . وبعد ذلك ذهبت الى نادي قمار اسمه «النادي الرياضي» حيث كسبت نصف الوف من الفرنكات .

وهز كتفيه ، وقال :

ـ ثم عدت الى البيت في حوالي الساعة الواحدة .

ـ عفوا يا سيدي .. ولكن كيف عدت الى بيتك ؟

ـ في سيارتي الخاصة ذات المقعدين .

ـ الم يكن معك احد ؟

ـ كلا ..

ـ أيمكن ان تثبت بشهادة الشهود صحة اقوالك هذه ؟

ـ لا شك ان كثيرا من اصدقائي رأوني ذلك المساء .. وانا اتناول عشائي بمفردي .

ـ وهل فتح لك خادمك الباب عند عودتك ؟

ـ لقد فتحت بمفتاحي الخاص .

وتمتم المحقق :

ـ آه ..

ومرة اخرى دق الجرس الموضوع على مكتبه .. وفتح الباب وقال

للرجل الذي حضر :

ـ ادخل الوصيفة ميسون .

ـ حسنا يا سيدي المحقق .

ودخلت آدا ميسون ، فقال لها :

ـ هل تسمحين بالنظر الى هذا السيد وتقررين .. هل كان هـو الرجل الذي دخل مقصورة سيدتك في باريس ؟

ونظرت المرأة الى الكونت نظرة طويلة .. فاحصة .. ولاحظ بوارو انه بدا عليه القلق نوعا وهو واقع تحت هذا الفحص .

واخيرا قالت ميسون :

ـ لا استطيع ان اقرر يا سيدي .. انني واثقة من اني لا استطيع .. قد يكون هو .. وقد يكون شخصا غيره .. اذ كان كل ما رايته منه هو ظهره . فمن الصعب علي ان اقرر .. اني ارجح انه هو الرجل .

ـ ولكنك لست متأكدة من هذا ؟

وقالت ميسون :

ـ كلا .. لست متأكدة .

ـ وهل رأيت هذا السيد في شارع كيرزون من قبل ؟

فهزت ميسون راسها وقالت :

ـ انني لا ارى اي شخص يحضر الى شارع كيرزون .. اللهم الا اذا كان يقيم هناك .

فقال المحقق بحدة :

ـ لا بأس .. لا بأس .. هذا يكفي .

كان من الواقع ان آماله خابت .

وقال بوارو :

ـ لحظة واحدة .. هناك سؤال اود ان اوجهه للانسة .. لو سمحتم.

ـ بالتأكيد يا مسيو بوارو .. بكل تأكيد .

ووجه بوارو حديثه الى الوصيفة قائلا :

ـ ماذا حدث للتذاكر ؟

ـ اية تذاكر يا سيدي ؟

ـ تذاكر القطار .. من لندن الى نيس . هل كانت معك او مـــع سيدتك ؟

ـ كانت مع سيدتي تذكرتها البولمان الخاصة .. وكانت بقية التذاكر معي .

ـ وماذا حدث لها ؟

ـ لقد اعطيتها للمحصل في القطار الفرنسي يا سيدي اذ قال ان هذا هو الاجراء المعتاد . ارجو ان اكون قد تصرفت كما يجب يا سيدي ؟

ـ تماما .. تماما .. انها مجرد تفاصيل اود ان الم بها .

ونظر اليه مسيو كو والمحقق بدهشة .. ووقفت ميسون لا تدري ماذا تفعل برهة .. حتى اومأ اليها المحقق سامحا لها بالخروج .. فخرجت .

واخذ بوارو يكتب شيئا على قطعة صغيرة من الورق ثم سلمها الى كاريج، فقراها الاخير .. واشرق وجهه .

وسأل الكونت بترفع :

ـ والان .. ايها السادة .. هل ستحجزوني مدة اطول من هذه ؟

فأجاب مسيو كاريج يقول :

ـ كلا بالتأكيد .. كلا بالتأكيد .. لقد اتضح موقفك في هذه المسألة الان . ومن الطبيعي اننا سنعتبرك بسبب خطاب السيدة .

ونفض الكونت .. واخذ عصاه الانيقة في يده .. وانحنى انحناءة قصيرة ، ثم غادر الغرفة .

وقال مسيو كاريج :

ـ آذن فهذا هو الموضوع .. لقد كنت محقا يا مسيو بوارو ـ مـن الافضل ان نشعره باننا لا نشك فيه . وسيقوم اثنان من رجالي بمراقبته كظله ليلا ونهارا .. وفي نفس الوقت سنتحقق من مسألة غيابه عن مكان الحادث .. اذ تبدو لي حجة واهية نوعا .

وقال بوارو مفكرا :

ـ يحتمل .

واستطرد المحقق يقول :

ـ لقد طلبت من مسيو كنرنج ان يحضر الى هنا هذا الصباح .. رغم اني اشك في اهمية استجوابه .. وان كانت هناك بعض الظروف المريبة.

ثم توقف .. وحك انفه .

وسأله بوارو :

ـ مثل ماذا ؟

وسعل المحقق .. ثم قال :

ـ السيدة التي قيل انه كان مسافرا معها .. ميراي . انها تنزل في فندق .. وبقيم هو في فندق اخر .. وهذا يبدو لي غريبا نوعا .

فقال مسيو كو :

ـ يبدوان وكانهما يحاولان التصرف بحذر ..

وقال مسيو كاريج بلهجة انتصار :

ـ تماما .. فلماذا يتصرفان بمثل هذا الحرص ؟

فقال بوارو :

ـ ان المغالاة في الحرص .. تدعو الى الشك اليس كذلك ؟

ـ فعلا ..

فاستطرد بوارو :

ـ ربما استطعنا ان نوجه الى مسيو كنرنج سؤالا او اثنين .

وتلقاه في صورة هزة خفيفة من راسه ، فرد قائلا بادب :

ـ كلا .. يا مستر كترنج .. كلا .. لا اظن اننا سنزعجك اكثر من هذا .. سعدت صباحا .

ـ سعدت صباحا .

وخرج .. وهو يصفق الباب خلفه .

ومال بوارو الى الامام .. وتكلم بحدة .. بمجرد ان خرج الشاب من الغرفة :

ـ قل لي .. متى تحدثت عن احجار الياقوت مع مسيو كترنج ؟

فقال المسيو كاريج :

ـ انني لم اتحدث معه بشانها .. فلم تعلم عنها شيئا الا بعد ظهر امس من مسيو فان اولدين .

ـ نعم .. ولكن الكونت تحدث عنها في خطابه .

وبدا الالم على وجه كاريج .. وقال بصوت مصدوم :

ـ انني لم اتحدث بشان هذا الخطاب مع مستر كترنج .. ولو فعلت لكان ذلك حماقة .. في الوقت الحاضر .

ومال بوارو الى الامام .. وجعل ينقر على المائدة .. ثم تساءل برقة:

ـ اذن كيف عرف بامرها ؟ لا يمكن ان تكون السيدة قد اخبرته بذلك .. اذ انه لم يرها منذ ثلاثة اسابيع ، ومن غير المحتمل ان يكون مسيو فان اولدين او سكرتيره قد اخبراه .. اذ ان ما حدث بينهم من لقاءات كان الحديث فيها يتخذ مجرى اخر .. مغايرا تماما .. كما ان الصحف لم تشر اليها من قريب او من بعيد .

ونهض .. واخذ عصاه .. وتمتم لنفسه قائلا :

ـ ورغم ذلك .. فانه كان يعرف عنها كل شيء .. انني لاعجب من هذا الان .. نعم .. اني لاعجب !

***

ديرك يتناول الغذاء

ذهب ديرك كترنج مباشرة الى «النجرسكو» حيث طلب شرابا افرغه في جوفه بسرعة .. ثم جلس ينظر الى مياه البحر بزرقتها اللامعة .. كان يرقب العابرين بطريقة آلية ـ حشد من الناس .. لم يعجبه مظهرهم

ولا ملابسهم .. فالمرء لا يكاد يرى شيئا يستحق المشاهدة .. هذه الايام .. ولكن سرعان ما اعاد النظر في العبارة الاخيرة .. عندما جلست سيدة على منضدة قريبة منه ، كانت ترتدي ثوبا رائعا يجمع بين اللونين الاسود والبرتقالي .. وتضع على راسها قبعة صغيرة ظللت وجهها .. وطلب شرابا .. للمرة الثالثة .. وعاد ينظر الى البحر .. وفجاة .. احفل .. اذ تسلل الى انفه عطر جعله ينظر ليرى السيدة ذات الثوب الاسود تقف الى جواره ، ورأى وجهها الان .. وعرفها .. كانت ميراي .. تبتسم تلك الابتسامة المغرية .. التي يعرفها جيدا .

وهمست :

ـ ديرك !.. انك سعيد لرؤيتي .. اليس كذلك ؟

والقت بنفسها الى احد المقاعد على الناحية الاخرى من المنضدة ، ثم قالت بصوت ساخر :

ـ الا ترحب بي .. ايها الغبي ؟

ـ هذه مفاجاة سعيدة .. متى تركت لندن ؟

هزت كتفيها وقالت :

ـ منذ يومين تقريبا .

ـ والبارتينون ؟

ـ لقد تركته .

ـ حقا ؟

ـ انك لست ودودا يا ديرك .

ـ وهل تتوقعين ان اكون كذلك ؟

واشعلت ميراي سيجارة .. وجذبت بعض انفاسها قبل ان تقول :

ـ ربما ظننت ان من الحماقة ان تلتقي بهذه السرعة ؟

ونظر ديرك اليها طويلا .. ثم هز كتفيه وقال :

ـ هل ستتناولين غداءك هنا ؟

ـ بالطبع .. معك .

ـ انني في غاية الاسف ، فلدي موعد هام .

وصاحت الراقصة :

ـ الهي !.. ولكنكم معشر الرجال مثل الاطفال تماما ! نعم . انت تتصرف كالطفل المدلل .. منذ ذلك اليوم في لندن .. حين هربت من شقتي ..

فقال ديرك :

ـ يا فتاتي العزيزة .. انني لا اعلم عم تتحدثين .. لقد اتفقنا في لندن على ان الغفران تهجر السفينة الغارقة .. وهذا هو كل ما يمكن ان يقال .

ورغم كلماته التي القاها باهمال .. بدا وجهه شاحبا متوترا ، وفجاة

مالت ميراي الى الامام وهمست :

ـ لا تخدعني .. فانا اعلم .. اعلم ما فعلته من اجلي .

فنظر اليها بحدة .. وقد اثار انتباهه شيء ما في صوتها ، فاومات براسها وقالت :

ـ آه .. لا تخش شيئا .. فانني حذرة .. انك رائع !.. انك تمتاز بشجاعة فائقة .. ولكن .. لقد كنت انا صاحبة الفكرة في ذلك اليوم .. عندما قلت لك .. في لندن .. ان الحوادث تقع احيانا .. الست في خطر الان ؟.. الا يشبثه البوليس فيك ؟

ـ بحق الشيطان ...

ـ اسكت !

ورفعت يدا نحيلة تحليها زمردة كبيرة في الاصبع الخنصر وقالت :

ـ انك على حق .. كان يجب علي الا اتحدث هكذا في مكان عام .. لن نتحدث في هذا الموضوع مرة اخرى .. ولكن.. لقد انتهت متاعبنا.. وسنكون حياتنا معا رائعة .. رائعة ..

وضحك ديرك فجاة .. ضحكة خشنة .. وقال :

ـ وهكذا تعود الفئران .. اليس كذلك ؟.. ان مبلغ مليوني جنيه يفعل الشيء الكثير بالطبع ، كان يجب ان ادرك هذا .

وضحك مرة اخرى ، وقال :

ـ انك ستساعدينني في تبديد هذا المبلغ.. اليس كذلك يا ميراي؟.. فانت تعرفين كيف تفعلين هذا .. اكثر من اية امراة اخرى ..

وضحك مرة اخرى ، فقالت الراقصة :

ـ اسكت .. ماذا اصابك يا ديرك .. انظر .. ان الناس يلتفتون اليك .

ـ انا ؟.. ساخبرك بما اصابني ، لقد نفضت يدي منك يا ميراي ، اتسمعينني ؟ لقد انتهينا .

ولم تنلق ميراي الامر كما توقع .. بل نظرت اليه لحظة .. ثم ابتسمت في رقة .. وقالت :

ـ يا لك من طفل !. لقد غضبت مني ، لا لشيء الا لاني امراة عملية؟ .. الم اقل لك دائما اني مفتونة بك ؟

ومالت الى الامام قليلا .. ثم قالت :

ـ ولكنني اعرفك .. يا ديرك .. انظر الي .. انظر .. انا ميراي .. التي اتحدث اليك ، انك لا تستطيع ان تحيا بدونها .. انت تعلم هذا ، لقد احببتك من قبل .. وساحبك الان اكثر .. مائة مرة .. ساجعل الحياة رائعة بالنسبة لك .. رائعة .. فلا توجد امراة مثل ميراي .

واحدقت نظراتها ، ورانه يبدو شاحبا .. لاهث الانفاس .. فابتسمت لنفسها في رضا .. كانت تعرف تماما وقع سحرها على

الرجال .

ـ اذن .. اتفقنا .

وضحكت ضحكة قصيرة .. ثم اردفت :

ـ والان .. يا ديرك .. الا تدعوني الى الغداء ؟

ـ كلا ..

ثم شهق .. ونهض واقفا .. وقال :

ـ آسف .. لقد اخبرتك ـ اني مرتبط بموعد .

ـ هل ستتناول غداءك مع سيدة اخرى ؟.. اني لا اصدق .

ـ ساتناول غدائي مع هذه السيدة .

ثم سار الى حيث كانت سيدة ترتدي ثوبا ابيض قد دخلت لتوها .. فتحدث اليها ، وهو يلهث قليلا :

ـ مس جراي .. اتسمحين .. اتسمحين بتناول الغداء معي ؟ لقد التقينا في منزل لبدي تامبلين .. اتذكرين ؟

فنظرت اليه كاترين برهة .. بعينيها الرماديتين .. اللتين تقولان الكثير .. ثم قالت بعد فترة صمت :

ـ شكرا .. يسعدني ذلك .

***

ضيف مفاجيء

كان الكونت دي لاروش قد فرغ لتوه من تناول غدائه المكون من الاومليت .. والانتركوت .. والروم .. وبعد ان مسح شاربه الاسود الرفيع برقة بالفوطة .. ترك المائدة ، وعبر الصالون ..

ثم اقبل الخادم هيبوليت يقول :

ـ سيدي .. هناك سيدة تود مقابلتك .

ـ سيدة ؟

ـ انها سيدة لا تعرفها .. يا سيدي .

وبدا الكونت اشد حيرة .. ثم قال لتابعه :

ـ ادخلها الى هنا ..

وبعد برهة وجيزة كانت سيدة رائعة ترتدي ملابس تجمع بين البرتقالي والاسود تخطو الى الشرفة .. يسبقها عطرها النفاذ .

ـ مسيو الكونت دي لاروش ؟

وانحنى الكونت وقال :

ـ تحت امرك يا آنسة .

ـ انني ادعى ميراي .. ربما تكون قد سمعت عني ؟

ـ آه .. فعلا .. ومن هنا لم يسحره رقص الانسة ميراي ؟.. انه رائع !

وردت الراقصة على هذه المجاملة بابتسامة آلية .. ثم قالت :

ـ لا شك ان زيارتي مفاجأة لك .

ـ تفضلي بالجلوس يا آنسة .. ارجوك .

وقدم لها مقعدا .

وكان يرقبها سرا .. كان الكونت يعلم الكثير عن النساء .. حقا .. ان تجاربه لم تكن مع نساء على شاكلة ميراي .. كان هو وميراي من نفس الطينة ، كانت باريسية سيئة السمعة .. ورغم ذلك فقد كان هناك شيء لم تخطئه عيناه حين رآه ، اذ ادرك لاول وهلة انه في حضرة امـــرأة غاضبة ، وحين تغضب المرأة .. فهي تقول الكثير ، كان يعلم هذا جيدا .. وغالبا ما تكون فرصة بالنسبة لرجل ثاقب الفكر .. اذا ما احتفظ بهدوء اعصابه .

ـ انه لجميل منك ان تشرفيني بالزيارة يا آنسة .

ـ لقد سمعت عنك من اصدقاء لنا في باريس ، ولكني حضرت اليوم لسبب اخر .. لقد سمعت عنك منذ حضرت الى نيس .. ولكن بطريقة مغايرة .. اتفهمني ؟

ـ عفوا ؟

ـ قد اكون قاسية .. ولكن صدقني .. انني اهدف الى مصلحتك.. انهم يقولون في نيس انك قاتل السيدة الانجليزية مدام كترنج .

ـ انا ؟ انا قاتل مدام كترنج ؟.. يا للغرابة !

كان الغضب .. لا الاستنكار .. يغلب على كلامه .. اذ كان يعلم ان هذا سيكون اكثر استفزازا لها .

ـ نعم .. ان الامر كما اقول لك فعلا .

وقال الكونت بلا اكتراث :

ـ انما يحلو للناس ان يثرثروا .. ولا يليق بي ان آخذ هذه الاتهامات على محمل الجد .

ومالت الى الامام .. وقد التمعت عيناها وقالت :

ـ انك لا تفهمني .. انها ليست ثرثرة الناس.. ان البوليس هو الذي يعتقد ذلك ..

واعتدل الكونت في جلسته وقال :

ـ البوليس ؟!

واومأت ميراي براسها بشدة عدة مرات :

ـ نعم .. نعم .. انك تفهمني ، فلدي اصدقاء في كل مكان ، حتى الرئيس نفسه ...

وتركت العبارة لم تكملها ، وهزت كتفيها فكان ذلك ابلغ من اي كلام، وهمس الكونت بأدب :

ـ ومن ذا الذي يستطيع ان يتمالك نفسه امام امراة جميلة ؟

ـ ان البوليس يعتقد انك انت الذي قتلت مدام كترنج ، ولكنهـــم مخطئون .

وافقها الكونت قائلا ببساطة :

ـ بكل تأكيد ..

ـ انت تقول هذا ، ولكنك لا تعلم الحقيقة ، انا فقط التي اعلمها ، فنظر اليها الكونت بدهشة ، وسألها :

ـ تعرفين من قتل مدام كترنج ، اهذا ما تودين الافضاء الي به ؟

واومأت ميراي براسها بحماس وقالت :

ـ نعم ..

فسألها الكونت :

ـ من هو ؟..

ـ زوجها ..

ثم مالت ناحية الكونت وتحدثت بصوت خفيض امتـــزج به الغضب بالانفعال ، واستطردت :

ـ ان زوجها هو الذي قتلها .

واستند الكونت الى ظهر كرسيه وقد جمد وجهه ، وقال :

ـ هل لي ان اسالك يا آنسة كيف عرفت هذا ؟

وقفزت ميراي على قدميها وقالت وهي تضحك :

ـ كيف عرفت ؟ لقد تفاخر بذلك حتى قبل ان يفعلها ، كان مفلسا محطما مجروح الكرامة ، ولم يكن ليفقده الا موت زوجته ، هكذا قال لي، وقد ساعر على نفس القطار الذي كانت به ، ولكنها لم تكن تعلم بوجوده ، فلماذا فعل هذا ؟ هاأنذا اسالك ، لكي يستطيع ان يهاجمها ليلا ..

واغمضت عينيها وقالت :

ـ اني اتخيل ما حدث امام عيني الآن .

وسعل الكونت ، ثم قال :

ـ ربما .. ربما .. ولكن من المؤكد يا آنسة انه في هذه الحالة لم يكن ليسرق المجوهرات ..

وتنهدت ميراي قائلة :

ـ المجوهرات ! المجوهرات : آه .. احجار الباقوت ... وسرحت

بعينيها ، ونظر الكونت اليها مندهشا ، وهو يعجب للمرة المائة عما تحدثه المجوهرات من تأثير كالسحر في نفوس النساء ، واعادها الى عالم الواقع قائلا :

ـ ماذا تريدين مني ان افعل يا آنسة ؟

وافاقت ميراي من احلامها ، وعادت الى الواقع مرة اخرى وقالت :

ـ انه في غاية البساطة ، تذهب الى البوليس وتخبره بان مسيو كترنج هو الذي ارتكب هذه الجريمة .

ـ واذا لم يصدقوني ؟ اذا طلبوا مني الدليل ؟

كان ينظر اليها مدققا ، فضحكت بنعومة وجذبت ثوبها تلف بـــه جسدها ، وقالت برقة :

ـ ابعث بهم الي يا سيدي وساقدم لهم الدليل الذي يريدون .

عند هذا الحد ، اسرعت بالخروج كالعاصفة وقد ادت مهمتها .

ونظر الكونت خلفها وقد ارتفع حاجباه وهو يتمتم :

ـ انها في ثورة غضب ، ترى ما الذي حدث فاغضبها الى هذا الحد ؟ ولكنها تكشف عن اوراقها ، فهل تؤمن فعلا بان مستر كترنج هو قاتـــل زوجته ؟ وهي تريد مني ان اصدق هذا ، بل انها تريد من البوليس ان يصدقه ؟

وابتسم لنفسه ، ولم يكن في نيته اطلاقا ان يذهب الى البوليس .

كانت هناك عدة احتمالات اخرى جعله التفكير فيها يبتسم .

ولكن سرعان ما انعقد حاجباه ، فحسبما قالت ميراي كـــ يشتبه فيه ، وقد يكون هذا صحيحا وقد لا يكون ، فان امراة عاشقة من طراز الراقصة لم تكن لتهتم بصحة ما تقول . ومن ناحية اخرى ربما تكون قد حصلت على معلومات صحيحة .. وفي هذه الحالة كان عليه ان يتخذ بعض الاحتياطات .

ودخل المنزل .. وسال هيبوليت عما اذا كان اي غرباء قد حضروا ؟ فاكد له التابع ان احدا لم يجيء اطلاقا .. ثم صعد الكونت الى غرفته .. وذهب الى حيث يوجد مكتب قديم .. ورفع غطاءه ثم مد يده ليبحث عن زنبرك في فتحة فيه .. وانفتح درج سري ، كانت توجد بداخله لفافة بنية اللون .. اخذها الكونت في يده كما لو كان يزنها .. ورفع يده الى راسه وجذب شعرة واحدة وضعها على غطاء الدرج .. ثم اغلقه بعناية ، وكان ما زال يحتفظ باللفافة في يده وهو ينزل .. ثم خرج من البيت الى الكاراج حيث كانت تقف سيارة قرمزية ذات مقعدين ، وبعد عشر دقائق .. كان في طريقه الى مونت كارلو .

ونظر خلفه .. وابتسم .. كانت السيارة الرماديـــة في اثره .. واخذت سيارته تقفز في الطريق المترب منطلقة بسرعة خطيرة .. ثـــم ابطأ من سرعته .. حتى توقف تماما امام مكتب بريد ، وقفـــز الكونت

خارجا .. واخرج اللفافة البنية الصغيره ثم دخل بسرعه الى المكتب .

وبعد دقيقتين اخريين كان يتجه في طريق منتون مرة اخرى .. وعندما وصلت السيارة الرمادية الى هناك .. كان الكونت يشرب شاي الساعة الخامسة في شرفة احد الفنادق .

بعد ذلك .. عاد الى مونت كارلو .. ووصل بينه في حوالي الساعه الحادية عشرة تقريبا .. واقبل هيبوليت قائلا :

ـ الم تطلبني تليفونيا يا سيدي الكونت ؟..

وهز الكونت راسه نفيا ، فقال التابع :

ـ ومع ذلك فقد تلقيت استدعاء منك في الساعة الثالثه . بان اذهب الى نيس واقدم نفسي في التجرسكو .

ـ حقا ؟! وهل ذهبت ؟

ـ بالتاكيد يا سيدي .. ولكن هناك في التجرسكو لم يكونوا يعلمون شيئا عن سيدي الكونت .. لم يكن قد ذهب الى هناك اطلاقا .

ـ وبالطبع .. في هذا الوقت .. كانت ماري في السوق !

ـ تماما يا سيدي .

ـ لا باس .. لا اهمية لما حدث .. مجرد غلطة .

وصعد الى الدور العلوي .. وهو يبتسم .

وعندما وصل الى غرفته .. اغلقها بالمزلاج .. وجعل ينظر حولـــه بامعان ، بدا كل شيء كالمعتاد .. فتح الدواليب .. والادراج .. ثم اومأ برأسه ـ لقد اعيدت الاشياء الى مكانها .. كما تركها .. ولكـــن ليس تماما كما كان من الواضح ان الغرفة قد فتشت تفتيشا دقيقا .

وذهب الى المكتب .. وضغط على الزمبرك المخفي .. وفتـــح الدرج .. ولكن الشعرة لم تكن حيث تركها ، فاومأ برأسه عدة مرات .

وهمس قائلا :

ـ ان البوليس الفرنسي ممتاز .. ممتاز .. لا يفوته شيء ..

***

كاترين تتخذ صديقة

في الصباح التالي . كانت كاترين وليتوكس يجلسان في شرفة فيلا ماروجريت .. شعور ما بالصداقة .. كان يسود بينهما .. رغم فارق العمر

www.liilas.com/vb3

.. فلولا لينوكس لوجدت كاترين الحياة في فيلا مارجريت لا تحتمل ، كانت قضية كترنج هي موضوع الساعة .. واستغلت ليدي تامبلين صلة كاترين بالموضوع الى اقصى حد .. ولم تقلع اية محاولات من كاترين لانتاء ليدي تامبلين عن عزمها ، اما لينوكس .. فكان موقفها مزدوجا .. كانت تجد تسلية في موقف امها .. وفي نفس الوقت كانت تعطف على مشاعر كاترين .. ولم يتدخل نشابي في الموقف .. كان يجد متعة لا تبارى في تقديم كاترين الى الجميع هكذا :

— هذه مس جراي .. اتذكرون جريمة القطار الازرق ؟.. لقد عاشت مس جراي كل ظروفها .. وكان لها حديث طويل مع روث كترنج قبل ان تقتل ببضع ساعات ، انها محظوظة .. فعلا .

وقد اثارت بعض هذه الملاحظات كاترين ذلك الصباح .. وعندما كانت هي ولينوكس معا .. همست الاخيرة في اذنها قائلة :

— انك لم تعتادي ان يستغلك الاخرون .. اليس كذلك ؟ هناك اشياء كثيرة يجب ان تتعلميها يا كاترين .

— يؤسفني اني فقدت اعصابي .. فانا عادة لا يحدث لي هذا .

— لقد حان الوقت لكي تتعلمي مواجهة هذه المواقف .. ان نشابي مغفل .. ولا ضرر منه ، اما امي .. فهي بالطبع تحاول استغلالك .. ولكن امام قدرتك ان يسعها ان تفعل شيئا .. بل ستكتفي بالنظر اليك بعينين واسعتين زرقاوين حزينتين ..

ولم تجب كاترين .. واستطردت لينوكس قائلة :

— اما .. انا .. فاكاد اكون مثل نشابي .. اجد متعة في حادثة قتل مثيرة .. والى جانب ذلك فان معرفتي بديرك تجعل الامر مختلفا .

وأومأت كاترين براسها ، وعادت لينوكس تسألها وهي تفكر :

— لقد تناولت الغداء معه امس .. ترى .. اهو يعجبك يا كاترين ؟

وفكرت كاترين برهة .. ثم قالت ببطء شديد :

— لا ادري .

— انه جذاب للغاية .

— نعم .. هو كذلك .

— وما الذي لا يعجبك فيه ؟

ولم تجب كاترين عن السؤال .. او على الاقل .. لم تجب عنه مباشرة .. بل قالت :

— لقد تحدثت عن موت زوجته .. قال انه ضربه حظ بالنسبة له .. ولن يتظاهر بغير ذلك .

— وقد صدمك قوله هذا على ما اعتقد .. اليس كذلك ؟..

وتوقفت عن الكلام برهة .. ثم استطردت تقول بنبرة غريبة :

— انه معجب بك يا كاترين ..

وابتسمت كاترين وقالت :

— لقد دعاني الى غداء شهي .. فاخر .

ولكن لينوكس لم تكن لتخدع .

وقالت وهي ساهمة :

— لقد رأيت ذلك يوم ان حضر الى هنا .. الطريقة التي كان ينظر اليك بها .. وأنت لست من طرازه انما انت على نقيضه تماما .. اعتقد ان هذا الامر كالدبلوماسية تماما .. لا يقتنع بها الانسان الا اذا بلغ مرحلة معينة من النضج .

وهنا لاحت ماري عند شرفة الصالون .. وقالت :

— تليفون للانسة .. من مسيو بوارو ..

— مزيد من الدماء .. والعنف .. هيا يا كاترين .. اذهبي واقطعي الوقت مع مخبرك المشهور ..

وعبر سماعة التليفون .. وصلها صوت مسيو بوارو .. انيقا .. دقيقا ..

— الانسة جراي ؟.. اسمعي يا آنستي .. انني احمل لك رسالة من مسيو فان اولدين .. والد مدام كترنج ، اذ يرغب في التحدث اليك .. اما في فيلا مارجريت .. واما في الفندق حيث تقيم .. حيثما شئت ..

وفكرت كاترين لحظة ثم قررت ان حضور فان اولدين الى الفيلا سيثير اشجانه .. وستجدها ليدي تامبلين فرصة لتكون صداقة جديدة مع احد اصحاب الملايين .. ولذلك اخبرت بوارو بانها تفضل الذهاب الى نيس .

— هذا جميل .. سامر عليك بالسيارة بعد حوالي ثلاثة ارباع الساعة . وفي الموعد المحدد تماما حضر بوارو .. وكانت كاترين في انتظاره .. فاستقلت السيارة معه .. وانطلقا الى نيس في الحال .

نظرت كاترين الى عينيه اللامعتين .. وتاكد شعورها بأن بوارو متمتع بحاسة خاصة .

وقال بوارو :

— هذه هي قصتنا البوليسية .. لقد وعدتك بأن ندرسها معا .. وانا دائما افي بوعودي .

وهمست كاترين :

— انك في غاية اللطف .

— والان .. اتريدين سماع تطورات القضية .. ام لا ؟

وسرحت كاترين بانها تود ذلك فعلا .. وجعل بوارو يرسم لها صورة دقيقة للكونت دي لاروش .

وسألته كاترين وهي مستغرقة في التفكير :

— اتعتقد انه هو الذي قتلها ؟

فرد بوارو يتحفظ :

– هذه هي النظرية .

– ولكن .. هل تؤمن انت بها ؟

– لم اقل هذا .. وانت يا آنسة .. ما رايك ؟

قهزت كاترين راسها وقالت :

– وانى لي ان اعرف ؟ انني لا اعلم شيئا عن هذه الامور .. ولكن استطيع ان اقول ...

وقال بوارو مشجعا :

– نعم ؟

– من كلامك عن الكونت .. يبدو انه ليس بالرجل الذي يقتل اي انسان .

وصاح بوارو :

– جميل جدا .. اذن فنحن متفقان في الراي .. هذا هو ما قلته انا نفسي .

ثم نظر اليها بحدة ثم قال :

– ولكن اخبريني .. هل التقيت بديرك كترنج ؟

– لقد التقيت به في منزل ليدي تاملين .. وتناولت الغداء معه امس .

فهز بوارو راسه وقال :

– هذا امر سيء .. يا للنساء .. تستهويهن هذه الاشياء .. اليس كذلك ؟

والتمعت عيناه وهو ينظر الى كاترين .. فضحكت .

– انه من ذلك النوع من الرجال الذي يستلفت النظر في اي مكان يكون فيه . لا شك انك لاحظت وجوده في القطار الاروع ؟

– نعم .. لقد رايته .

– في عربة الاكل ؟

– كلا .. لم اره اثناء الطعام ابدا ، ولكني رايته مرة واحدة وهو يدخل مقصورة زوجته .

فاومأ بوارو براسه .. وهمس :

– هذا غريب ، لقد قلت يا آنسة انك استيقظت .. ونظرت من النافذة عند بلدة ليون .. اليس كذلك ؟ الم ترى رجلا اسمر طويلا يشبه الكونت دي لاروش ينزل من القطار ؟

فهزت كاترين راسها .. وقالت :

– لا اعتقد انني رايت اي شخص اطلاقا الا صبيا كان يضع كابا على راسه ويرتدي معطفا ثقيلا .. نزل من القطار .. واخذ يتمشى على الرصيف قليلا ، كان هناك ايضا رجل فرنسي ضخم .. ذو لحية برتدي

بيجاما وعليها معطف .. قد طلب قدحا من القهوة ، وفيما عدا هذين الشخصين .. لم ار الا عمال القطار .

فاومأ بوارو براسه عدة مرات .. ثم قال :

– ان الكونت دي لاروش يقول انه كان في مكان اخر وقت ارتكاب الجريمة .. ومثل هذا القول يدعو دائما الى الشك .. ولكن ماذا نعمل ؟

وصعدا الى جناح فان اولدين مباشرة .. حيث وجدا نابتون ، فقدمه بوارو الى كاترين .. وبعد تبادل عبارات التحية المعتادة قال :

– ساخبر مسيو فان اولدين بوجود مس جراي .

وذلف الى غرفة مجاورة .. وبعد همس خفيف دخل فان اولدين الى الغرفة وتقدم ناحية كاترين مادا يده .. وهو ينظر اليها نظره فاحصة . وقال ببساطة :

– انني مسرور لرؤيتك يا مس جراي .. لقد كنت في اشد الحاجة لان اسمع منك كل شيء عن روث .

واعجبت كاترين ببساطة الملبونير اشد الاعجاب .. احست بحزنه العميق .. الحقيقي .. رغم انه لم يبد عليه اي شيء يعبر عن مشاعره الدفينة .

وقدم لها كرسيا .

– هلا جلست ؟.. ارجو ان تحدثيني بكل شيء .

وانسحب بوارو ونابتون بلباقة الى الغرفة الاخرى .. وبقيت كاترين مع فان اولدين وحدهما ، ولم تجد اية صعوبة في مهمتها بل جعلت تروي له تفاصيل حديثها مع روث كترنج ببساطة .. وبطريقة طبيعية .. كلمة .. كلمة .. على قدر ما وعته ذاكرتها ، وقد حجبت عينيها بيدها ، وحين انتهت من سرد ما حدث .. قال بهدوء :

– شكرا .. يا عزيزتي .

وجلسا صامتين .. بضع دقائق .. واحست كاترين بان اية كلمة عزاء تقولها .. لن يكون لها مكان ، وحين تحدث الملبونير .. كانت نبرته قد تغيرت ..

– انني اشعر بالامتنان لك يا آنسة .. لقد فعلت شيئا لتخفي بعض ما كان يعتمل بنفس المسكينة روث في ساعاتها الاخيرة ، والان اود ان اسالك .. انك تعرفين الوغد الذي تورطت معه ابنتي .. اذ لا بد ان مسيو بوارو حدثك عنه .. الرجل الذي كانت ذاهبة للقائه .. اظنني انها قد غيرت رايها بعد الحديث الذي دار بينكما ؟.. اتعتقدين انها قد تراجعت ؟

– بصراحة .. لا استطيع ان اقرر .. لا شك انها قد توصلت الى قرار .. بدت اكثر مرحا بعد ان انخذته .

ـ الم تقل لك عن المكان الذي كانت تزمع مقابلة ذلك الوغد فيه ؟ أفي باريس .. أم في ايبر ؟

فهزت كاترين راسها وقالت :

ـ كلا .. لم تشر الى هذا الموضوع اطلاقا .

وقال فان اولدين وهو مستغرق في افكاره :

ـ هذه هي النقطة المهمة .. لا بأس .. سيتضح كل شيء مع الوقت .

ونهض .. وفتح باب الغرفة المجاورة فدخـل بوارو وتايتون . واعتذرت كاترين عن دعوة المليونير لها الى الغداء .. ونزل معها تايتون ورافقها حتى السيارة التي كانت تنتظر ، وعاد ليجد بوارو وفان اولدين مستغرقين في الحديث .

وقال المليونير وهو يفكر :

ـ فقط لو عرفنا القرار الذي اتخذته روث .. ربما كانت قد قررت ان تغادر الفطار في باريس وتبرق الي . وربما كانت قد قررت الاستمرار في رحلتها الى جنوب فرنسا لتبحث الامر مع الكونت هناك . اننا لا نعرف اطلاقا ما الذي انتوته ، ولكن الوصيفة تؤكد انها عندما رات الكونت على محطة باريس ، ارتسمت على وجهها علامات الحزن والدهشة معا ، اذ لم يكن هذا اللقاء جزءا من الخطة الموضوعة ، اتوافقني يا تايتون ؟

وبوغت انسكرتير فقال :

ـ عفوا يا مستر فان اولدين ، لم اكن منصتا .

فقال فان اولدين :

ـ كنت شاردا .. اليس كذلك ؟ ان الشرود ليس من صفاتك ، واغلب الظن ان الفتاة قد اسرتك .

واحمر وجه تايتون ، وقال فان اولدين :

ـ انها لطيفة بشكل ملحوظ .. لطيفة جدا ، الاحظت عينيها ؟

فرد تايتون بقوله :

ـ ما من رجل يراها الا وتاسره هاتان العينان .

***

في ملعب التنس

مرت بضعة ايام .. وكانت كاترين تتمشى بمفردها ذات صباح .. ثم

عادت لتجد ليتوكس في انتظارها تبتسم ، فبادرتها بقولها :

ـ لقد ظل صديقك يتصل بك تليفونيا كل يوم .

ـ ومن هو هذا الذي تسميته صديقي ؟

ـ صديق جديد .. بيكرتير روفوس فان اولدين .. يبدو انك قد تركت في نفسه تاثيرا كبيرا .. لقد اصبحت محطمة قلوب يا كاترين ، اولا .. دبرك كترنج .. والان .. تايتون ، والغريب اني اذكره جيدا ، اذ رايته في المستشفى العسكري الذي كانت تديره امي ، وكنت حينئـذ صبية في الثامنة .

ـ وهل كانت اصابته خطيرة ؟

ـ اذا لم تخني الذاكرة ، فقد كان مصابا برصاصة في ساقه .

ـ واغلب الظن ان الامر اختلط على الاطباء ، اذ قالوا ان الاصابة لن تتسبب في احداث اي عرج او غيره ، ولكن عندما غادر المستشفى كان ما زال يعرج .

وخرجت ليدي تامبلين وانضمت اليهما ، وتساءلت :

ـ هل اخبرت كاترين عن الميجور تايتون .. يا للعزيز .. لم استطع ان اتذكره اولا .. فقد كان المستشفى يعج بعدد كبير من الجرحى ، ولكني الان اتذكر كل شيء .

وردت ليتوكس وقالت :

ـ لم يكن شخصا مهما ، حتى تتذكريه ، اما الان وقد اصبح سكرتيرا لمليونير امريكي فالامر مختلف تماما .

وقالت لها ليدي تامبلين بلهجة عتاب :

ـ عزيزتي ..

وتساءلت كاترين :

ـ ولماذا اتصل تليفونيا ؟

ـ كان يسال ما اذا كنت تستطيعين الذهاب الى ملعب التنس بعد ظهر اليوم ، فاذا استطعت سيمر عليك بالسيارة ، وقد قبلنا الدعوة نيابة عنك ، فحين تقضين وقتك مع سكرتير المليونير ، لتركين لي فرصة مع المليونير نفسه .. اعتقد انه في حوالي الستين ، ولذا فهو يتطلع الى فتاة حلوة صغيرة مثلي .

وقالت ليدي تامبلين بلهفة :

ـ لكم اود ان التقي بمستر فان اولدين ، لقد سمعت عنه الكثير .. انهم مدهشون هؤلاء الامريكيون .

وقالت ليتوكس :

ـ لقد كان ماجور تايتون حريصا على ان يقول ان الدعوة من قبـل مستر فان اولدين ، وقد كرر هذا الامر كثيرا بدرجة جعلت الشك يتبادر الى ذهني . لبارككما الله يا اطفالي .

وضحكت كاترين وصعدت الى الدور العلوي لتستبدل ملابسها .
واقبل نابتون بعد الغداء مباشرة . وامطرته لدى تاملين بعبارات الترحيب .

وبينما هما متطلقان الى كان . قال لكاترين :

– ان لدى تاملين لم تتغير الا تغيرا طفيفا للغاية .

– في السلوك ام في المظهر ؟

– في الاثنين . واعتقد انها تجاوزت الاربعين . ولكنها جميلة فعلا بالنسبة الى سنها .

وقالت كاترين :

– هذا صحيح ..

واستطرد نابتون يقول :

– انني في غاية السعادة بحضورك اليوم . وسيكون مسيو بوارو موجودا ايضا . يا له من شخصية غير عادية ، اتعرفينه جيدا يا مس جراي ؟

– لقد التقينا في القطار في الطريق الى هنا . اذ كنت اقرأ روايته بوليسية وابديت عدم تصديقي لحدوث مثل هذه الاشياء في الواقع ولكن بالطبع لم اكن اعلم من هو .

وقال نابتون وهو يتحدث ببطء :

– انه شخص مرموق . وقد قام باعمال مجيدة . ولديه موهبة التوسل الى جذور الحقيقة . ولا احد يعلم اطلاقا ما الذي يدور بفكره حتى النهاية . اذكر اني كنت اقيم بمنزل في بوركشير حين سرقت مجوهرات لدى كلارامون . وبدا الحادث في البداية جريمة سرقة عادية . ولكنها حيرت البوليس المحلي . وقد نصحته باستدعاء هيركيول بوارو ليبحث الامر . وقلت انه الشخص الوحيد الذي يمكنه مساعدتهم . ولكنهم كانوا يعلقون الامال على سكوتلانديارد .

وتساءلت كاترين بدهشة :

– وماذا حدث ؟

فرد نابتون بلهجة خافتة :

– لم تعد المجوهرات اطلاقا .

– وهل تؤمن به حقا ؟

– نعم .. فالكونت دي لاروش محتال عنيد . استطاع ان يعقد حبله في اغلب الاحيان . ولكني اعتقد انه قد وجد في هيركيول بوارو ندا له .

وقالت كاترين وهي مستغرقة في التفكير :

– اتعتقد ان الكونت دي لاروش هو الذي فعلها ؟

فنظر اليها نابتون في دهشة وقال :

– طبعا .. الا تعتقدين انت هذا ؟

THE GHOST 92

واسرعت كاترين تقول :

– نعم .. اعني لو ان الامر كان مجرد حادث سرقة عادي .

فقال الاخير :

– ربما كان الامر كذلك . ولكن يبدو لي ان الكونت دي لاروش هو العامل الحقيقي لهذا الحادث .

– ورغم ذلك . فقد اثبت وجوده في غير مكان الجريمة .

وضحك نابتون وارتسمت على وجهه ابتسامة جذابة وهو يقول :

– اثبت وجوده في مكان الجريمة ! تقولين انك تقرئين الروايات البوليسية يا مس جراي . ولا بد انك تعرفين ان الشخص الذي يثبت بعده تماما عن مكان الجريمة . يكون عرضة دائما للاشتباه في امره .

وتساءلت كاترين وهي تبتسم :

– انظن ان مثل هذه الاشياء تحدث في الواقع ؟

– ولم لا ؟ ان الخيال دائما مبني على الواقع .

فقالت كاترين :

– وهذه هي الحياة .

– ربما . على اية حال . لو اني مجرم فلن اود ابدا ان يتعقبني هيركيول بوارو .

فضحكت كاترين وقالت :

– ولا انا ايضا .

واستقبلهم بوارو . ولما كان الجو حارا . فقد كان يرتدي بدلة بيضاء. وقد وضع في عروة سترته زهرة من زهور الكاميليا البيضاء . وقال بوارو :

– يوم سعيد يا آنسة . انني ابدو انجليزيا تماما .. اليس كذلك ؟

فقالت كاترين بلباقة :

– انك تبدو رائعا .

وقال بوارو :

– انك تتسلين على حسابي ، ولكن لا بأس .. بابا بوارو هو الذي يضحك اخيرا .

وسأل نابتون :

– اين مسيو فان اولدرين ؟

– سنقابله حيث نجلس . اقول لك الحق يا صديقي . انه ليس راضيا عني تمام الرضا . يا لهؤلاء الامريكيين . انهم لا يعرفون الراحة ولا الهدوء. لكم يتمنى مستر فان اولدرين ان اطير منعما المجرمين في جميع انحاء ليمن.

فقال نابتون :

– اعتقد انها فكرة لا بأس بها ..

فرد بوارو :

– انك مخطىء ، ففي هذه الامور لا يحتاج المرء الى النشاط ، بقدر ما يحتاج الى المهارة . وفي ملعب التنس يلتقي المرء بكل الناس ، وهذا له اهمية كبرى .. آه .. ها هو مستر كترنج ..

واقبل ديرك نحوهم ، وكان يبدو منفعلا غاضبا ، كما لو كان قد اثاره شيء . وتبادل ونايتون تحية بشوشها البرود . وظل بوارو وحده غير شاعر بأي توتر . وجعل يثرثر بمرح عليه يهدىء من اعصاب الجميع .

وظل ينثر مجاملاته الرقيقة ، وقال :

– من المدهش يا مستر كترنج انك تتحدث الفرنسية بطلاقة كأهلها تماما . وهو شيء نادرا ما يتوفر في شخص انجليزي الاصل .

وقالت كاترين :

– لكم اتمنى ان اكون كذلك .. فانني ادرك تماما انني احـــدث الفرنسية بلكنة انجليزية .

وكانوا قد وصلوا الى مقاعدهم فجلسوا ، ولاحظ نايتون ان اولدين يشير اليه من الناحية الاخرى للطعم ، فذهب ليتحدث معه وقال بوارو وهو يبتسم وتبع السكرتير بنظراته :

– انني معجب بهذا الشاب ، وانت يا آنسة ؟

– انني معجبة به جدا .

– وانت يا كترنج ؟

وكان على وشك ان يبتسم ، ولكن شيئا ما في عيني البلجيكي القصير اللامعتين جعله يتوقف فجأة ، ويتكلم بحذر وهو يتخير كلماته :

– ان نايتون شخص لطيف جدا .

وخجل لكاترين ان بوارو باتت عليه خيبة الامل لحظة وقالت :

– انه شديد الاعجاب بك يا مسيو بوارو .

وسردت عليه بعض ما حدثها به نايتون ، واعجبها ان الرجل القصير بدا متمنع الاوداج ، متظاهرا بالتواضع . وقال فجأة :

– هذا يذكرني بشيء يا آنسة .. فهناك سؤال اريد ان استوضحه منك . عندما كنت تتحدثين مع السيدة المسكينة في القطار ، اعتقد ان علبة سجائرك قد سقطت منك .

ولاحت الدهشة على وجه كاترين وقالت :

– لا اعتقد هذا .

فاخرج بوارو من جيبه علبة سجائر من الجلد الازرق الفاتح عليها حرف ك . بالذهب . فقالت كاترين :

– كلا .. انها ليست لي .

– آسف .. لا بد انها تخص السيدة . فحرف ك اول حرف من اسمها ، ولكن وجود علبة سجائر اخرى في حقيبتها جعلنا نشك في الامر . وبدا غريبا ان تحمل علبتين .

ثم استدار الى ديرك فجأة وقال :

– هل تعلم ما اذا كانت العلبة تخص زوجتك ام لا ؟

وبدا على ديرك انه فوجيء بالسؤال ، فتلعثم قليلا في الاجابة وهو يقول :

– لا ادرك ربما كانت كذلك .

– ولكنها ليست عليبتك بأي حال من الاحوال .

– بكل تأكيد . فلو كانت تخصني لما وجدتها مع زوجتي .

فرد بوارو قائلا بهدوء :

– انها متعة بالنسبة لي ..

وقال فان اولدين :

– من حسن الحظ انك تعيش في فرنسا . ففي الولايات المتحدة يأتي العمل اولا . يبدو اننا اصلب عودا .

ولم يتضايق بوارو لهذا الكلام بل ابتسم الى المليونير وقال :

– لا نزعج نفسك ارجوك . فلكل طريقته . فمن نفسي اجد ان مزج العمل باللهو فكرة ممتعة .

ونظر الى الاخرين فوجدهما مستغرقين في الحديث ، فاومأ برأسه

في رضا ، ثم مال ناحية المليونير وقال له بصوت خفيض :

ـ إنني لست هنا لمجرد المتعة يا مسيو فان اولدين .. انظر هناك في الجانب الاخر ، ذلك الرجل الطويل المتقدم في السن . ذي الوجه الاصفر ، والدقن الطويلة .

ـ وماذا عنه ؟

ـ انه مسيو بابويولوس .

ـ اهو يوناني ؟

ـ تماما كما تقول .. يوناني ، وهو يتاجر في العاديات ذات الشهرة العالمية ، وهو يملك محلا صغيرا في باريس ، ويشتبه البوليس في أن يكون له نشاط اخر .

ـ ماذا يظنون ؟

ـ يعتقدون انه يتاجر في البضائع المسروقة ، وبصفة خاصة في المجوهرات فهو لا يتبارى في اعادة صياغة المجوهرات ، بما فيها اغلاها في اوروبا ، وادناها في العوالم الخفية .

فاخذ فان اولدين ينظر الى بوارو وقد اثار هذا الكلام اهتمامه ، وساله بنبرة متغيرة :

ـ نعم ؟

فقال بوارو :

ـ اني لاسال نفسي .. انا هيركيول بوارو ...

واشار باصبعه الى صدره بطريقة مسرحية وقال :

ـ اسال نفسي ، ما الذي اتى بمسيو بابويولوس فجاة الى نيس ؟

وبان تاثير هذا الكلام على فان اولدين .. لقد شك فيه .. وفي انه لم يعد يمارس عمله الان كما مضى ، ولكن في هذه اللحظة عاد الى رأيه السابق فيه ، ونظر اليه نظرة مباشرة وقال :

ـ يجب ان اعتذر اليك يا مسيو بوارو ..

فلوح بوارو باشارة من يده كمن يلقي بالاعتذار بعيدا . فصاح :

ـ كل هذا لا يهم .. الان اسمع يا مسيو فان اولدين فلدي اخبار لك ، فنظر اليه المليونير وقد تزايد اهتمامه ..

وأوما بوارو براسه .

ـ ان الامر كما سأقول لك .. كما تعلم يا مسيو فان اولدين ، كان الكونت دي لاروش مراقبا منذ لقائه مع فاضي التحقيق وفي اليوم التالي لذلك ، واثناء غيابه اجرى البوليس تفتيشا لقبلا ماريتا .

وساله فان اولدين :

ـ وهل وجدوا شيئا ؟.. اراهن انهم لم يجدوا اي شيء .

ـ لست مخطئا في استنتاجك يا مسيو فان اولدين ، فانهم لم يجدوا شيئا بدينه ، ولم يكن من المتوقع ان يجدوا شيئا ، فالكونت دي

لاروش ليس حديث عهد بهذا العمل . وانما هو رجل ذو خبرة عريضة .

وصاح فان اولدين :

ـ استمر ..

ـ ربما لم يكن لدى الكونت شيء يستحق ان يخبئه . ولكن يجب الا نطرح الاحتمال الاخر جانبا . اذن فلو كان لديه ما يخبئه فاين هو ؟ ليس في المنزل بالطبع . فقد فتشه البوليس تفتيشا دقيقا وليس في نيابه . فهو يعلم تماما انه من المحتمل القبض عليه في اية لحظة . فتبقى اذن السيارة . وكما قلت انه كان مرافبا . وتتبعوه ذلك اليوم الى مونت كارلو التي ذهب منها الى منتون وهو يقود السيارة بنفسه . ولما كانت سيارته قوية جدا . فقد سبق مطارديه واختفى عن الانظار تماما مدة ربع ساعة تقريبا .

وهنا ساله فان اولدين باهتمام شديد :

ـ وفي هذه الاثناء .. تعتقد انه اخفى شيئا الى جانب الطريق ؟

ـ كلا .. ليس الى جانب الطريق .. فليس هذا بالحل العملي .. ولكن اسمعني . لقد اقترحت على مسيو كاريج اقتراحا بسيطا وافق عليه ، في كل مكتب بريد في المنطقة تاكدنا من ان هناك من يعرف الكونت دي لاروش شخصيا . وذلك لان احسن وسيلة لاخفاء شيء هي ارساله بالبريد .

وساله فان اولدين ووجهه يضيء اهتماما وانتظارا :

ـ وبعد ..؟

ـ وبعد ذلك ها هي ...

وبحركة مسرحية اخرج من جيبه لفافة بنية اللون ازيلت من حولها الخيوط التي كانت تلفها وقال :

ـ في اثناء «الربع ساعة» ارسل الرجل هذه اللفافة بالبريد .

وساله الاخر :

ـ والعنوان ؟

ـ كان من الممكن ان يدلنا على شيء ولكنه لسوء الحظ لم يوصلنا الى ما كنا نريد ، فالرسالة معنونة باسم احد المحال التي تحتفظ بالخطابات والطرود حتى يتسلمها اصحابها بعد دفع رسم بسيط .

وساله فان اولدين بصبر نافد :

ـ نعم .. ولكن ما الذي بداخل اللفافة ؟

وفض بوارو الغلاف البني واخرج علبة مربعة ، ثم نظر حوله وقال :

ـ الان .. الوقت مناسب لنراها . فكل الانظار معلقة .. انظر يا سيدي ..

ورفع غطاء العلبة جزءا من الثانية . وانطلقت من المليونير صيحة دهشة بالغة ، وابيض وجهه وقال :

– الهي ! احجار الياقوت !

وجلس لحظة مذهولا . واعاد بوارو الصندوق الى جيبه بهدوء وقد اضاء وجهه ، وفجاة افاق المليونير من ذهوله ، ومال ناحية بوارو، وضغط يده بحرارة حتى المه . وقال فان اولدين :

– هذا عظيم .. عظيم .. انك رائع .. رائع !!

وقال بوارو بتواضع :

– عفوا . ان الموضوع يتلخص في الترتيب والاسلوب والاستعداد لاية مفاجآت قبل ان تحدث . هذا كل ما في الامر .

واستطرد فان اولدين يسأل بلهفة :

– والان .. اعتقد انه قد القي القبض على الكونت ذي لاروش ؟

– كلا ..

وبدت الدهشة البالغة على وجه فان اولدين .

– ولكن لماذا ؟.. ماذا تريد اكثر من هذا ؟

ان الدليل على تعقب الكونت عن مكان الجريمة لم يترعرع .

– ولكن هذا كلام فارغ .

– نعم .. اعتقد انه كذلك ولكن لسوء الحظ يجب ان يكون لدينا الدليل لدحضه .

– وفي هذه الاثناء يتسلل هو من بين اصابعكم .

فهز بوارو راسه بشدة وقال :

– كلا .. لن يفعل هذا . فالشيء الوحيد الذي لا يستطيع الكونت ان يضحي به هو مركزه الاجتماعي. ومهما كان الثمن فسيبقى ليدافع عنه.

وبدا فان اولدين غير مقتنع وقال :

– ولكني لا ارى ...

فرفع بوارو يده وقال :

– امنحني بعض الوقت يا سيدي . فلدي فكرة صغيرة . ولكم سخر بعض الناس من افكار بوارو الصغيرة . ولكن ثبت خطؤهم .

– حسنا .. استمر في طريقك .. ما هي هذه الفكرة الصغيرة ؟

وبسمت بوارو برهة .. ثم قال :

– ساحضر لزبائك غدا صباحا في الفندق الذي تقيم فيه .. في الحادية عشرة تماما . فحتى ذلك الحين .. لا تفتح فمك بكلمة واحدة .

* **

مسيو بابيوبولوس يتناول الافطار

كان مسيو بابيوبولوس يتناول طعام الافطار وقد جلست ابنته زيا

على المقعد المقابل . ؛

وسمعت دقات على باب الحجرة .. ودخل خادم يحمل في يده بطاقة اعطاها الى مسيو بابيوبولوس .. فقرأها وقد رفع حاجبيه .. ثم سلمها الى ابنته .

وحاك مسيو بابيوبولوس اذنه اليسرى بيده وقال وهو يفكر ..

– هيركيول بوارو !.. انني لاعجب للامر .

وتبادل الاب والابنة النظرات ، ثم قال مسيو بابيوبولوس :

– لقد رايته امس في ملعب التنس .. زيا .. انني لا اشعر بالارتياح لهذه الزيارة .

فقالت له ابنته تذكره :

– لقد كان نافعا لك .. ذات مرة .

واجاب مسيو بابيوبولوس بقوله :

– نعم .. وقد سمعت انه اعتزل عمله .

دار هذا الحديث بين الأب وابنته باليونانية ، ثم التفت مسيو بابيوبولوس الى الخادم وقال :

– دعه يتفضل ..

وبعد بضع دقائق .. دلف بوارو الى الغرفة .. مرتديا ملابس فخمة .. ويلوح بعصا في يده .

– اهلا يا عزيزي بابيوبولوس .. اهلا بالانسة زيا ..

– اهلا عزيزي بوارو ..

وهمس بابيوبولوس :

– نعم .. قضية مصرع مدام كترنج ..

فرفع بابيوبولوس راسه وقال ببراءة :

– دعني اتذكر .. اليست هذه هي السيدة التي توفيت في القطار الازرق ؟.. لقد قرأت عنها في الصحف .. ولكن لم يكن هناك ما يوحي بوجود جريمة في الموضوع .

– كان من الضروري اخفاء حقيقة الامر .. ضمانا لسير العدالة .

تلت ذلك فترة صمت .

ثم سأل بوارو التاجر في ادب :

– ساصل بك الى النقطة المهمة ..

ثم اخرج من جيبه الصندوق الصغير الذي عرضه في كان على فان اولدين .. وفتحه .. ثم اخرج الياقوت منه ودفعه الى بابيوبولوس عبر المنضدة .

كان بوارو يرقب الرجل العجوز .. وهو يفحص المجوهرات ..

وقال بوارو :

– كم تقدر ثمنا لها ؟..

وقال بابيوبولوس .. وهو يعيد المجوهرات الى بوارو :

ـ انها تقليد بارع .. ايكون حظا مني ان امتلك كيف عثرت عليها ؟

ـ كلا .. اطلاقا ، ليس لدي اعتراض على ان اخبر صديقي القديم مثلك .. لقد كانت في حوزة الكونت دي لاروش .

ورفع بابيوبولوس حاجبيه .. قائلا :

ـ حقا ؟..

ومال بوارو الى الامام وبدت عليه البراءة وهو يقول :

ـ مسيو بابيوبولوس ، سأكشف لك اوراقي ، لقد سرقت المجوهرات الاصلية من مدام كترنج في القطار الازرق ، والآن .. اقول لك : لا يهمني اطلاقا استعادة هذه المجوهرات .. فهذا من شأن البوليس .. وانا لا اعمل لحساب البوليس .. بل اعمل لحساب مسيو فان اولدين .. واريد ان اضع يدي على قاتل مدام كترنج ، واهتمامي بالمجوهرات يقف عند هذا الحد ، اتفهمني ؟..

وكان للكلمة الاخيرة وقع له مغزاه . فقال مسيو بابيوبولوس دون ان يهتز :

ـ استمر ..

ـ من المحتمل يا سيدي ان المجوهرات ستباع في نيس ، اذا لم تكن قد بيعت فعلا ..

ـ آه ..

ورشف قهوته وهو مستغرق في التفكير ..

واستطرد بوارو قائلا :

ـ لقد قلت لي .. يا للحظ السعيد .. ان صديقي القديم مسيو بابيوبولوس ، وسيقدم لي يد المساعدة ..

فتساءل مسيو بابيوبولوس ببرود :

ـ وكيف استطيع مساعدتك ؟..

ـ لقد قلت لي .. لا شك ان مسيو بابيوبولوس في نيس في مهمة ..

فرد بابيوبولوس بقوله :

ـ كلا ، اطلاقا ، انني هنا لاسباب صحية .

والتقت عيون الرجلين .

واستمر بوارو في حديثه .. ببطء شديد .. وكان واضحا انه ينتقي الفاظه ..

ـ لقد قلت لي .. لا شك ان مسيو بابيوبولوس في نيس فلا بد ان يعلم ذلك مسيو بابيوبولوس وهو يتناول قطعة من الكرواسان :

ـ آه !..

وقال مسيو بوارو :

ـ ان البوليس لا دخل له بالموضوع .. فهو موضوع شخصي بحت .

وقال مسيو بابيوبولوس بحذر :

ـ ان الاشاعات سريعا ما تنتشر ..

ـ مثل ماذا ؟

ـ امن الضروري ان اقول ؟..

ـ نعم .. ولعلك تذكر يا مسيو بابيوبولوس انه ـ منذ سبعة عشر عاما .. كان لديك «شيء ما» .. ترك لديك املة من ـ شخصية هامة جدا .. كان في حوزتك .. ثم اختفى .. وكنت انت في موقف .. لا تحسد عليه .

ودارت عيناه .. حتى استقرتا على الفتاة .. وقال بوارو وما زالت عينه عليها :

ـ كنت في باريس في ذلك الوقت .. وارسلت في طلبي .. وعهدت الي بالامر .. وقلت : لو اني رددت لك هذا ـ الشيء ـ فان نسي الي هذا الجميل ابدا ، حسنا .. لقد استعدته لك .

وزفر بابيوبولوس زفرة طويلة .. وهمس قائلا :

ـ لقد كانت اسوأ لحظة في حياتي كلها .

ـ ان سبعة عشر عاما .. فترة طويلة .. ولكني اعتقد انك تتحدر من جنس لا ينسى شيئا .

وتمتم بابيوبولوس بابتسامة ساخرة :

ـ يوناني ؟

فرد بوارو بقوله :

ـ لم اكن اعني ذلك ..

وتلت ذلك فترة صمت .. ثم .. شد الرجل العجوز قامته بكبرياء .. وقال :

ـ انك على حق يا مسيو بوارو .. انني يهودي .. وكما تقول ان جنسنا لا ينسى .

ـ اذن .. فساعدني يا سيدي .. لا استطيع ان افعل شيئا ..

ـ فيما يختص بالمجوهرات يا سيدي .. لا استطيع ان افعل شيئا ..

كان العجوز ينتقي كلماته .. تماما مثل بوارو .. وقال :

ـ انني لا اعلم شيئا .. ولكني ربما استطيع ان اسدي اليك معروفا .. اذا كنت مهتما بسباق الخيل .

ـ هناك جواد يجري في لونشان .. يدفع ثمنا .. ليست هناك فرصة تماما .. اتفهمني ؟.. لقد تردد هذا الكلام .

وتوقف .. ورمق بوارو بعينيه .. كما لو كان يتأكد من انه قد فهم ما يقصده .. وقال بوارو :

ـ تماما .. تماما ..

ومال الى الخلف ، وعقد اطراف اصابعه ، ثم قال :
– ان اسم الجواد «الماركيز» .. واعتقد .. وان كنت غير واثق .. انه جواد انكليزي .. اليس كذلك يا زيا ؟
فردت الفتاة :
– وانا ايضا .. اعتقد هذا ..
فرفع بوارو راسه بسرعة وقال :
– شكرا يا سيدي .. انه لعظيم ان يحصل المرء على المعلومات من مصادرها الموثوق بها ، وداعا يا سيدي .. وشكرا جزيلا ..
ثم التفت الى الفتاة .. وقال :
وداعا يا آنسة زيا .. يبدو لي انني رايتنـــك في باريس .. امس فقط .. يبدو كما لو انه لم يمر على لقائنا اكثر من عامين .
فردت زيا باسى :
– هناك فارق كبير بين سن السادسة عشرة والثالثة والثلاثين .
فرد بوارو :
– ليس في حالتك .. اتقبلين دعوتي على العشاء يومـــا .. انت ووالدك ؟..
وقالت زيا :
– يسعدنا ذلك .
– اذن سنرتب الامر ، والان ... وداعا .
وسار بوارو في الشارع يدندن لنفسه .. ويلوح بعصاه .. ثم اتجه الى اول مكتب بريد .. ليرسل برقية .. وقد استغرق وقتا في كتابتها ، اذ كان يكتبها بالشيفرة .. وكان عليه ان يحاول التذكر . وكانت تدور حول ديوس كرافتة مفقود .. وقد وجهت الى المفتش جاب .. فـــي سكوتلانديارد .
وحين حلت الرموز .. كانت البرقية .. قصيرة .. شاملة ـــ. كالاتي :
«ابرقوا بكل المعلومات عن رجل يرمز لنفسه بالماركيز» .

***

نظـرة جديـدة

كانت الساعة الحادية عشرة تماما .. حين وصل مسيو بوارو الى

الفندق الذي ينزل به مسيو فان اولدين ، فوجد الليونـــير وحيدا .. فاستقبله الاخير بابتسامة ونهض يحييه :
– انك دقيق في مواعيدك يا مسيو بوارو ..
– انني دائما احافظ على مواعيدي .. فالدقة يجب ان تراعـــى .. فبدون وجود نظام .. او اسلوب ...
وسكت ، ثم عاد يقول :
– ولكني تحدثت معك عن هذه الاشياء من قبل ، فلنتنقل الان الى موضوع زيارتنا .
– فكرتك الصغيرة ؟..
وابتسم بوارو وقال :
– نعم .. فكرتي الصغيرة ، واولا وقبل كل شيء اريد ان اتحدث مع الوصيفة آدا ميسون ، فهل هي هنا ؟
– نعم ..
– آه !..
فنظر اليه فان اولدين باستغراب ، ثم دق الجرس وارسل في طلب ميسون ، وحياها بوارو بادبه المعهود الذي كان له تاثيره على هـــذه الطبقة . قال متهللا :
– اهلا يا آنسة . تفضلي بالجلوس ، بعد اذن السـد .
فقال فان اولدين :
– نعم .. نعم .. اجلسي يا ابنتي ..
وقالت ميسون :
– شكرا يا سيدي ..
وجلست على حافة المقعد ، وكانت تبدو اكثر نحولا عن ذي قبل .
وقال بوارو :
– لقد حضرت لكي اوجه اليك بعض الاسئلة مرة اخرى ، يجب ان نصل الى حقيقة الامر ، واجدني دائما اعود الى السؤال عن الرجل الذي كان بالقطار . وقد رايت الكونت دي لاروش ، وقلت انه من الممكـــن ان يكون هو ، ولكنك لست واثقة ..
– انني لم ار وجه الرجل كما اخبرتك يا سيدي ، وهذا ما يجعـل الامر بهذه الصعوبة .
واضاء وجه بوارو ، واومأ براسه :
– تماما .. بالضبط . انني اقدر صعوبة الموقف ، والان يا آنسة ، لقد امضيت في خدمة مدام كترنج شهرين كما تقولين ، وفي خلال هذه المدة ، كم مرة رايت سيدك ؟..
وفكرت ميسون برهة ، ثم قالت :
– رايته مرتين فقط يا سيدي ..

ـ وهل كان هذا عن قرب او من بعيد ؟..

ـ لقد حضر مرة الى شارع كيزرون . وكنت انا بالطابق العلوي ، ونظرت من اعلى السلم ورايته في الردهة السفلى ، وقد دعتني الفضول ـ خاصة وقد كنت اعلم ان الامور تسير بهذه الطريقة ـ انك تفهمني ..

وانهت ميسون حديثها بان سعلت . كما كانت عادتها .

ـ والمرة الثانية ؟..

ـ كنت في المنتزه با سيدي مع آني ـ احدى الخادمات التي اشارت الى السيد وكان يسير مع سيدة اجنبية .

ومرة اخرى اومأ بوارو برأسه :

ـ والان اسمعيني يا ميسون . هذا الرجل الذي رايته في عربة القطار يتحدث الى سيدتك في محطة ليون ـ من ادراك انه ليس سيدك ؟..

ـ سيدي ؟! لا اظن انه من الممكن ان يكون هو ..

فقال بوارو مصرا على رايه :

ـ ولكنك لست واثقة ؟

ـ لم يخطر هذا ببالي اطلاقا ..

وكان من الواضح ان الفكرة قد ازعجت ميسون .

ـ لقد سمعت ان سيدك كان ايضا في نفس القطار . اليس من الطبيعي ان يكون هو الذي سار في الممر ؟..

ـ ولكن الرجل الذي كان يتحدث مع سيدتي لا بد وان يكون قد اتى من خارج القطار ، فقد كان يرتدي ملابس الخروج معطف ثقيل وقبعة .

ـ تماما يا آنسة . ولكن فكري قليلا . كان القطار قد وصل لتوه الى محطة ليون . وكثير من الركاب ينحشرون قليلا على الرصيف ، وكانت سيدتك على وشك ان تفعل هذا ، ولذلك ، لا شك انها ارتدت معطفها المصنوع من الفراء ، اليس كذلك ؟..

فقالت ميسون :

ـ نعم يا سيدي .

ـ اذن فسيدك قد فعل نفس الشيء ، ففي داخل القطار . الجو دافيء ، ولكن بالخارج ، بالمحطة ، الجو بارد . ولذا ارتدى معطفه الثقيل وقبعته ، ومضى يتمشى الى جانب القطار ، وبينما كان ينظر الى النوافذ المضاءة ، فجأة رأى مدام كنرنج ، وحتى ذلك الوقت ، لم يكن لديه اية فكرة عن وجودها بالقطار . فمن الطبيعي ان يصعد الى العربة ، ويذهب الى مقصورتها ، فتطل هي صيحة دهشة لرؤياه .. وسرعة تغلق الباب بين المقصورتين ، حيث ان ما يدور بينهما من حديث سيكون حديثا خاصا .

ومال الى الخلف في مقعده وجعل يرقب تأثير اقتراحه . وبعد ثلاث دقائق كاملة قالت :

ـ بالطبع يا سيدي يمكن ان يكون الامر قد حدث بهذه الطريقة ، ولكن تفكيري لم يتجه الى هذه الناحية ، فالسيد طويل واسمر ، وله نفس التكوين ، ولكن ما جعلني اقول ان الرجل حضر من الخارج هو منظر القبعة والمعطف ، نعم ، قد يكون هو السيد ، ولا احب ان اؤيد احد الرأيين .

ـ شكرا جزيلا يا آنسة . ولن اثقل عليك اكثر من هذا ، آه .. شيء واحد فقط ، لم اخرج من جيبه علبة السجاير التي اظهرها لكاترين من قبل وسأل ميسون :

ـ اهذه علبة سجائر سيدتك ؟..

ـ كلا يا سيدي ... على الاقل ...

وفجأة بدا على وجهها فكرة معينة تدور في راسها ، فقال لها بوارو مشجعا :

ـ نعم ؟..

ـ اظن يا سيدي ... وان لم اكن واثقة ، ولكنه مجرد ظن ، ان السيدة قد اشترت هذه العلبة لتهديها الى السيد ..

فرد بوارو :

ـ آه ..

ـ ولكن سواء كانت قد قدمتها له ام لم تفعل ، فانني بالطبع لا استطيع ان اقرر ..

وقال بوارو :

ـ تماما .. تماما .. هذا يكفي يا آنسة .

وانسحبت آداميسون وهي تغلق الباب بهدوء ، خلفها .

ونظر بوارو الى فان اولدين وعلى وجهه ابتسامة ، وبدا المليونير كالمصوق ، وتساءل :

ـ اتعتقد انه ادرك ؟ ولكن كل شيء يشير الى ناحية اخرى ؟ كيف ؟ لقد امسكت بالكوتن مناسبا بحيازة المجوهرات .

ـ كلا ..

ـ ولكنك اخبرتني ...

ـ بماذا اخبرتك ؟..

ـ تلك القصة عن المجوهرات ، لقد اربتني اياها .

ـ كلا ..

وحدق فيه فان اولدين :

ـ اتعني انك لم تريني اياها ؟

ـ كلا ..

ـ امس ؟.. في ملعب التنس ؟..

ـ كلا ..

– هل جننت يا مسيو بوارو ؟.. او هل جننت انا ؟..

فقال المخبر :

– كلانا لم يجن ، فأنت تسألني سؤالا ، وانا اجيب عليه ، انت تسألني ما اذا كنت قد اربتك المجوهرات امس ، وانا اقول كلا ، فان ما اربته لك يا مسيو فان اولدين كان تقليدا من الدرجة الاولى لا يمكن ان يفرقه احد عن المجوهرات الحقيقية الا خبير .

***

بوارو يقدم نصيحة

مرت بضع دقائق قبل ان يستطيع الليوتنر ان يستوعب ما قاله بوارو. كان ينظر الى بوارو كما لو كان قد فقد القدرة على الكلام ، فاومأ الرجل القصير براسه بلطف وقال :

– نعم .. ان هذا يغير الموقف .. اليس كذلك ؟..

– مقلدة ؟..

ثم مال الى الامام وقال :

– وكنت انت تعلم هذا يا مسيو بوارو .. طول الوقت ؟.. ما الذي كنت ترمي اليه ؟.. الم تعتقد ابدا ان الكونت دي لاروش هو القاتل ؟..

– لقد كنت اشك في الامر .. فافضيت اليك بذلك . اما السرقة المصحوبة بالقتل ...

وهز راسه بشدة ، ثم استطرد :

– كلا .. من الصعب تصور الامر .. فهو لا يتفق مع شخصية الكونت دي لاروش .

– ولكنك تعتقد انه كان ينوي سرقة الياقوت ؟..

– بالتاكيد ، لا شك في هذا اطلاقا .. اسمع .. ساروي لك الامر حسب رايي ، كان الكونت يعلم بامر اختفاء الياقوت .. فوضع خططه على هذا الاساس .. وابتكر حكاية الكتاب الذي كان يقوم بتاليفه ليغري ابنتك على احضارها معها .. ثم احضر هذه المجوهرات المقلدة متقنا . وكان من الواضح انه كان ينوي استبدالها بالمجوهرات الحقيقية . ولما كانت السيدة غير خبيرة بالمجوهرات . فانها لم تكن لتكتشف الامر قبل مضي وقت طويل .. وعندما تفعل . لا اعتقد انها كانت ستبلغ البوليس، اذ يترتب على ذلك الكثير .. فقد كان في حوزته الكثير من خطاباتها ..

نعم .. انها خطة محكمة .. مأمونة العواقب .. من وجهة نظر الكونت – ولا شك انه نفذها من قبل ..

وقال فان اولدين وهو مستغرق في التفكير :

– من الواضح انها كذلك ..

– وهي تتفق مع شخصية الكونت دي لاروش .

ثم قال فان اولدين وهو ينظر اليه متفحصا :

– نعم .. ولكن الان – ما الذي حدث فعلا ؟ فلتخبرني بهذا يا مسيو بوارو ..

فهز بوارو كتفيه وقال :

– ان الامر في غاية البساطة .. فقد سبقه احدهم ..

حلت ذلك فترة صمت طويلة .

كان يبدو على فان اولدين انه يقلب الامر من جميع وجوهه . وعندما تحدث .. كان كلامه واضحا :

– منذ متى وانت تشك في زوج ابنتي يا مسيو بوارو ؟

– منذ البداية .. كان لديه الدافع الى الجريمة .. والفرصة لان ينفذها .. لقد اعتقد الجميع ان الرجل الذي كان في مقصورة السيدة هو الكونت دي لاروش .. ولكن حدث ان ذكرت انك حسبت الكونت هو زوج ابنتك ذات مدة اذا اختلط عليك الامر .. فادركت من هذا انهما متشابهان في الطول .. والجسم .. واللون .. وكان من اثر ذلك ان افكارا غريبة انتابتني ، فالوصيفة لم تدخل في خدمة ابنتك الا منذ وقت قصير ومن المحتمل انها لم تكن تعرف شكل مستر كترنج جيدا .. حيث انه لم يكن يعيش في شارع كيرزون .. كما ان الرجل كان حريصا على اخفاء وجهه.

فسأل فان اولدين بصوت اجش :

– اتعتقد انه .. قتلها ؟..

فرفع بوارو يده بسرعة وقال :

– كلا .. كلا .. لم اقل هذا ولكنه احتمال قوي جدا ، لقد كان في مازق منيف ومهدد بالافلاس ، وكان هذا هو المخرج الوحيد امامه .

– ولكن لماذا اخذ المجوهرات ؟..

– لكي يجعل الجريمة تبدو وكأنها حادثة سرقة عادية في القطار ، والا فان الشبهة كانت ستتجه اليه هو مباشرة .

– ولو كان الامر كذلك ، فما الذي فعله بالمجوهرات ؟..

– ما زالت هذه النقطة موضع نظر ، فهناك عدة احتمالات ، وفي نيس الان رجل يمكن ان يساعده في هذا الشان ، وهو الرجل الذي اشرت اليه امس في ملعب التنس .

ونهض فان اولدين ، ووضع يده على كتف الرجل القصير الذي وقف بدوره ، وحين تحدث كان صوته مشحونا بالانفعال ، وقال :

ـ ان كل ما اطلبه هو معرفة قاتل روث .

وشد بوارو قامته وقال باعتزاز :

ـ دع الامر لهيركيول بوارو ، ولا تخش شيئا ، وساكشف لك عن الحقيقة .

ونفض ذرة من الغبار عالقة بقبعته ، وابتسم مطمئنا المليونير ، ثم ترك الغرفة . الا انه عندما كان ينزل السلم ثلاثت من وجهه بعض علامات الثقة ، وشرع يحدث نفسه :

ـ كل هذا جميل الا ان هناك بعض الصعوبات ، نعم ، هنـاك صعوبات كبيرة .

وبينما كان يغادر الفندق توقف فجاة ، اذ راى سيارة تقف امـام الباب . كانت بداخلها كاترين جراي ، بينما وقف ديرك كترنج الى جانب السيارة يتحدث مع كاترين بشغف ، وبعد برهة انطلقت السيارة ، بينما ظل ديرك واقفا على الرصيف يتابعها بعينيه ، وقد ارتسم على وجهه تعبير غريب . ثم هز كتفه ، وتنهد طويلا ، واستدار ليجد هيركيول بوارو واقفا امامه . وارتسمت على وجهه علامات الدهشة ، بالرغم منه . وتبادل الرجلان النظرات .. كانت نظرة بوارو ثاقبة ، وكانت نظرة ديرك بشوبها شيء من التحدي المتزن ، وعندما تحدث ، كانت نبرته مزيجا من السخرية والاستخفاف ، ورفع حاجبيه قليلا وقال :

ـ يا لها من (جوبة) ، اليس كذلك ؟..

كانت طريقته طبيعية تماما ، فقال بوارو وهو مستغرق في التفكير:

ـ نعم هذا ينطبق تماما على الانسة كاترين ، وصف انكليزي تماما ، وهي ايضا انكليزية الطابع .

ـ ومع ذلك فهي لطيفة .

فقال ديرك :

ـ نعم .. ليس مثلها الكثير .

كان يتكلم برقة كما لو كان يحدث نفسه ، واوما بوارو براسه ايماءة ذات مغزى ، ثم مال ناحية الرجل الاخر ، وتحدث بنبرة مخالفة تماما . كانت نبرة هادئة جادة لم بالفها ديرك كترنج .

ـ ارجو ان تعذرني يا سيدي اذا قلت لك شيئا قد تعتبره وقاحة ، هناك مثل انكليزي يقول : قبل ان تقع في حب جديد ، من الافضل ان تتخلص من حبك القديم .

والتفت اليه كترنج غاضبا وقال :

ـ بحق الشيطان ماذا تعني ؟..

فرد بوارو بهدوء :

ـ لا تصب جام غضبك علي .. انظر هناك سيدة اخرى تنتظرك .

واستدار ديرك وتجهم وجهه غضبا ، وتمتم :

ـ ميراي .. عليها اللعنة . انني سوف ...

كان ديرك على وشك القيام بحركة منعه منها بوارو ، وسأله محذرا:

ـ امن الحكمة ان تتصرف هكذا ؟..

والتمعت عيناه الخضراوان ، ولكن ديرك لم ينتبه الى هذا التحذير، فقد تخلى عنه كل حذره في لحظة الغضب . وصرخ قائلا :

ـ لقد نفضت يدي منها تماما . وهي تعلم هذا .

ـ نعم .. نفضت يدك منها ، ولكن هل نفضت هي يدها منك ؟

وضحك ديرك ضحكة مفاجئة ، ثم قال بخشونة :

ـ انها لن تنفض يدها من مبلغ مليونين من الجنيهات لو استطاعت الى ذلك سبيلا . فهذه هي ميراي .

ورفع بوارو حاجبيه وقال :

ـ انك تتصيد الاخطاء .

ـ حقا ..؟!

ولاحت على وجهه ابتسامة واسعة . ثم استطرد :

ـ لقد خبرت الحياة طويلا يا مسيو بوارو ، واعرف ان كل النساء سواء ، ولانت قسمات وجهه وهو يقول :

ـ كلهن الا واحدة .

وواجه نظرة بوارو بنظرة كلها تحد ، وقال وهو يشير في اتجاه كتاب مارتـان :

ـ انها تلك ..

وقال بوارو :

ـ آه ..

وكان لهذا الهدوء تاثيره في استنـاطة غضب الاخر . فقال ديـرك بسرعة :

ـ انني اعلم ما تريد ان تقوله . تقصد نوع الحياة التي عشتها . وانني لست جديـرا بها . وقد تقول بانه ليس من حقي مجرد التفكير فيها واعلم انه ليس من الحكمة ان اتحدث هكذا . ولو بعض على وفاة زوجتي الا بضعة ايام .

وسكت ليلتقط انفاسه . وانتهز بوارو الفرصة ليبدي هذه الملاحظة في صوت هادىء :

ـ ولكني لم انعوه بانه كلمه .

ـ ولكنك ستفعل .

ـ ماذا ؟..

ـ ستقول انه ليس امامي ايه فرصة للزواج من كاترين .

فقال بوارو :

ـ كلا .. لن اقول هذا . صحيح ان سمعتك سيئة . ولكن النساء

لا يلقين بالا الى هذا ، فلو انك رجل ممتاز على خلق قويم ، لم تفعل في حياتك شيئا غير لائق ، لراودتني شكوك كثيرة في بلوغ مرادك . فالقيم الخلقية لا تتسم بالشاعرية .

وحملك دبرك كترنج فيه ، ثم استدار على عقبيه ومضى الى السيارة التي كانت في انتظاره ، وتابعه بوارو بعينيه مسرورا ، ورأى السيدة الجميلة تميل من سيارتها وتتحدث اليه ، ولكن دبرك كترنج لم يتوقف ، بل اكتفى برفع قبعته ومضى .

وقال بوارو :

ـ لقد حان الوقت لكي اعود الى البيت .

ووجد جورج يكوي بنطلونه فقال :

ـ لقد كان يوما لطيفا .. متعبا نوعا ، ولكنه ممتع .

وتلقى جورج هذه الملاحظات بطريقته الجامدة المعتادة .

ـ حقا يا سيدي .

ـ ان شخصية المجرم تثير الاهتمام، فكثير من القتلة يتميزون بجاذبية خاصة .

ـ أنه سمعت كثيرا يا سيدي ان دكتور كريبين كان عذب الحديث ، ورغم ذلك ، فقد قتل زوجته وقطعها قطعا صغيرة كاللحم المفروم .

ـ ان املكك دائما غريبة يا جورج .

ولم يحر التابع جوابا ، وفي هذه اللحظة دق جرس التليفون والتقط بوارو السماعة :

ـ هالو .. نعم ، انا هيركيول بوارو .

ـ انا تايتون ، انتظر لحظة من فضلك فان مستر فان اولدين يود ان يتحدث اليك .

وتلت ذلك فترة صمت ، ثم جاءه صوت المليونير :

ـ هذا انت يا مسيو بوارو ، اود ان اخبرك بأن ميسون حضرت الي من تلقاء نفسها ، وقالت انها ظلت تفكر في الامر حتى اصبحت مقتنعة بأن الرجل الذي رأته في باريس هو دبرك كترنج ، وقالت : «شيء ما مالوف فيه لفت نظري . وان لم استطع تحديده تماما» اما الان فهي تبدو موقنة من كلامها .

ـ شكرا يا مسيو فان اولدين ، ان هذا يجعلنا نتقدم كثيرا . ثم وضع السماعة .. وقد لاحت على وجهه ابتسامة غابة في الغرابة ، واعاد جورج سؤاله مرتين قبل ان يتلقى ردا ، قال بوارو :

ـ ماذا ؟.. ماذا كنت تقول ؟

ـ هل ستتناول غداءك هنا يا سيدي او ستخرج ؟

فرد بوارو بقوله :

ـ لا هذا ولا ذاك . بل سأوي الى سريري . فقد حدث ما كنت اتوقعه .

***

التحدي

عندما مر دبرك امام السيارة .. اخرجت ميراي رأسها وصاحت :

ـ دبرك .. يجب ان اتحدث اليك ... دقيقة واحدة .

ولكنه رفع قبعته محييا .. ومضى في طريقه .

وعندما عاد الى الفندق .. بادره البواب بقوله :

ـ هناك رجل في انتظارك يا سيدي ..

فسأله دبرك :

ـ من يكون ؟..

ـ انه لم يذكر اسمه يا سيدي .. ولكنه قال انه حضر من اجل شيء هام .. وانه سينتظر عودتك .

ـ واين هو ؟..

ـ في الصالون الصغير يا سيدي .. لقد فضله على الردهة .. قائلا انه اكثر هدوءا .

واتجه دبرك ناحية الردهة .

ولم يجد في الصالون الا زائرا واحدا .. ما ان رآه حتى نهض واقفا وانحنى برشاقة .

ولم يكن دبرك كترنج قد رأى الكونت دي لاروش الا مرة واحدة من قبل ولكنه لم يجد اية صعوبة في التعرف عليه الان ، فعبس غاضبا .. يا للوقاحة !!

وقال دبرك :

ـ الكونت دي لاروش .. اليس كذلك ؟ اخشى ان تكون قد اضعت وقتك بالحضور الى هنا .

فرد الكونت :

ـ ارجو الا يكون الامر كذلك .

وطيرت اسنانه اللامعة .

ولكن يبدو ان جاذبية الكونت لم يكن لها اي تاثير على الرجال .. فكلهم ـ بلا استثناء ـ كانوا يكرهونه من اعماق قلوبهم .. وخالج دبرك

كترنح احساس غامر بان بركل الكونت خارج الغرفة .. ولم يمنعه من تنفيذ ذلك الا خوفه من اثارة فضيحة في الوقت الحاضر .. وادهشه ان تهتم روث بهذا الشخص .. المبتذل .. فنظر في احتقار الى اظافر يديه المنمقة .

وقال الكونت :

ـ لقد حضرت من اجل مهمة صغيرة .. واعتقد انه من الافضل ان نستمع الي .

ومرة اخرى راودت ديرك الرغبة في ان يركله الى الخارج .. ولكنه عاد فكبح جماح نفسه .. واحس بنبرة التهديد التي شابت كلام الكونت .. ولكنه فسرها بطريقة اخرى .. كانت هناك اسباب كثيرة تدفعه لان يستمع الى ما يريد الكونت ان يقول .

وجلس وجعل ينقر بصبر نافد على المنضدة .. ثم سأله بحدة :

ـ ماذا هناك ؟..

ولكن الكونت لم يكن بالرجل الذي يكشف عن اوراقه في الحال ، بل قال :

ـ اسمح لي يا سيدي ان اقدم لك عزائي .

فرد ديرك بهدوء :

ـ اذا تعاديت في وقاحتك .. فسألقي بك من هذه النافذة ..

واشار براسه تجاه النافذة المفتوحة للكونت .. وتململ الاخير في جلسته ، ثم قال بترفع :

ـ سوف ارسل لك اصدقائي يا سيدي .. اذا كان هذا هو ما تريده .

وضحك ديرك قائلا :

ـ مبارزة .. اليس كذلك ؟.. انني لا اوليك اهتماما الى هذا الحد . ولكن سيسعدني ان القي بك في الطريق .

واخذ الكونت الامر ببساطة .. واكتفى برفع حاجبيه وهمس :

ـ ان الانكليز .. برابرة .

وعاد ديرك يقول :

ـ هات ما عندك .

فقال الكونت :

ـ ساكون صريحا .. وادخل في الموضوع ، فهذا انسب لكلينا .. اليس كذلك ؟

ومرة اخرى ابتسم ابتسامته الجذابة .

ورد ديرك باقتضاب :

ـ استمر ..

ورفع الكونت بصره الى السقف .. وعقد اصابعه .. ثم همس

بقوله :

ـ لقد ورثت مبلغا كبيرا يا سيدي .

ـ ومالشأنك انت .. بحق الشيطان ؟..

وشد الكونت قامته وقال :

ـ سيدي .. لقد تلوثت سمعتي .. واتجهت الشبهات الي .. واتهمت بجريمة مشينة .

فرد ديرك ببرود :

ـ لست انا الذي وجهت اليك الاتهام .. وكشخص يهمه الامر .. لم ابد رأيي فيه .

وقال الكونت وهو يرفع يده الى السماء :

ـ انني بريء .. اقسم امام الله اني بريء .

فرد ديرك بأدب :

ـ اعتقد ان مسيو كاريج .. هو المسؤول عن تحقيق هذه القضية .

ـ انني متهم بجريمة لم ارتكبها .. واكثر من هذا فانا في حاجة ماسة الى المال .

وسعل سعلة خفيفة .. لها مغزى .

ونهض ديرك واقفا .. وقال :

ـ لقد كنت متوقعا كلامك هذا .. ايها الوحش المبتز !.. ان اعطيك بنسا واحدا .. لقد ماتت زوجتي .. ولم يعد تؤثر فيها اية فضائح تثيرها .. لقد كتبت اليك خطابات .. اعلم هذا .. فلو اني اشتريتها منك الان .. فاني واثق من انك ستحتفظ بخطاب او اثنين .. اسمع يا مسيو دي لاروش .. ان ابتزاز الاموال بعد جريمة في انكلترا كما هو في فرنسا . هذا هو ردي عليك .. وداعا .

ومد الكونت يده الى ديرك الذي استدار ليترك الغرفة .. وقال :

ـ لحظة واحدة .. لقد اسأت فهمي يا سيدي .. لقد اسأت فهمي تماما .. انني «جنتلمان» ...

وضحك ديرك ، واستطرد الاخر :

ـ ان اي خطاب تكتبه سيدة الى .. في الحفظ والصون .

والقى براسه الى الوراء .. بكبرياء نبيل .. وقال :

ـ ان الامر الذي اردت ان اشرحه لك مختلف تماما عما تبادر الى ذهنك ، وكما قلت لك .. انني اعاني ضائقة مالية .. وربما دفعني ضميري الى التوجه الى البوليس للادلاء باقوال معينة .

وعاد ديرك يخطو وئيدة الى الغرفة .. وقال :

ـ ماذا تعني ؟..

فرد الاخر :

ـ ليس من الضروري ان ندخل في التفاصيل .. وكما تعلمون

ابحث عمن يستفيد من الجريمة .. اليس كذلك أ وكما قلت لك الان .. لقد وزنت مبلغا كبيرا .

وضحك دبرك وقال باحتقار :

ـ اذا كان هذا هو كل ...

ولكن الكونت هز راسه قائلا :

ـ ولكن ليس هذا هو كل شيء .. ولم اكن لاحقر اليك الا اذا كانت لدي معلومات محددة .. مفصلة .. اكثر من هذا .. ولن تحب ان يقبض عليك وتحاكم بتهمة القتل .

واقترب منه دبرك وعلى وجهه غضب هائل جعل الكونت يتراجع خطوتين رغما عنه .

وساله الشاب بغضب :

ـ اتهددني أ..

وطمأنه الكونت بقوله :

ـ لن احدثك عن الموضوع باكثر مما قلت .

ـ يا للوهم الكبير !..

ورفع الكونت يده البيضاء :

ـ كلا .. انه ليس وهما .. ولكي تقتنع .. اقول لك باني قد استقيت معلوماتي من سيدة معينة ، وهي التي تملك الدليل الذي لا يرد على انك قد ارتكبت جريمة القتل .

ـ من هي أ..

ـ الانسة ميراي .

وتراجع دبرك الى الخلف .. كالمصعوق .

وهمس قائلا :

ـ ميراي !..

واسرع الكونت يقول منتهزا الفرصة :

ـ انه مبلغ زهيد .. مائة الف فرنك .. لا اكثر .

وقال دبرك بشرود :

ـ ماذا أ..

ـ كنت اقول يا سيدي ان مبلغا زهيدا .. كمبلغ مائة الف فرنك .. سيكفي لارضاء ... ضميري .

وبدا على دبرك انه استعاد سيطرته على نفسه ، ونظر باهتمام الى الكونت وقال :

ـ اتريد معرفة جوابي الان أ..

ـ لو سمحت .. يا سيدي .

ـ اليك الرد .. فلتذهب الى الشيطان .. اسمعت أ..

واستدار دبرك على عقبيه .. واندفع خارج الغرفة تاركا الكونت

مذهولا .. عاجزا عن الكلام .

وعندما خرج من الفندق ، استدعى سيارة تاكسي .. ومضى الى الفندق الذي تنزل به ميراي . وعندما سأل عنها .. علم انها قد عادت لتوها من الخارج .. فاعطى بطاقته الى البواب وقال له :

ـ خذ هذه البطاقة الى الانسة وقل لها اني اريد مقابلتها .. وبعد فترة قصيرة .. كان دبرك في طريقه الى جناح ميراي .. وعندما وصل الى مدخل شقتها .. نقد الى انفه عطرها الاخاذ .. كانت الغرفة تفيض بزهور القرنفل .. والاوركيد .. والميموزا ، وكانت ميراي تقف وسط الغرفة ترتدي ثوبا من الدانتيل .

واقبلت نحوه .. وقد مدت ذراعيها :

ـ دبرك .. لقد عدت الي .. كنت اعلم انك ستعود .

ولكنه نحى ذراعيها جانبا .. ونظر اليها بصرامة ، قائلا :

ـ لماذا ارسلت الكونت دي لاروش الي أ..

فنظرت اليه بدهشة .. وقالت :

ـ انا أ.. انا ارسلت اليك الكونت دي لاروش أ.. لماذا أ

فقال منتجهما .

ـ من الواضح انه جاء ليبتز اموالي .

ومرة اخرى .. حدقت فيه ، وفجأة ابتسمت واشارت براسها قائلة:

ـ بالطبع كان يجب ان اتوقع هذا من شخص مثله . فهو من هذا الطراز . كلا بالتاكيد لم ارسله اليك يا دبرك .

ونظر اليها نظرة فاحصة كما لو كان يقرأ افكارها .

وقالت ميراي :

ـ ساخبرك بكل شيء . في ذلك اليوم كان الغضب قد اعماني ، فانني لست قوية الاحتمال . واردت ان انتقم منك . ولذلك فقد ذهبت الى الكونت دي لاروش وطلبت اليه ان يذهب الى البوليس ويقول كذا وكذا ، ولكن لا تحتش شيئا يا دبرك فانا لم افقد عقلي تماما . وما زلت احتفظ بالدليل ضدك . ولن يفعل البوليس شيئا دون كلمة مني . والان ...

واقتربت منه كثيرا . ورفعت عينيها اليه بنظرة والهة ، ولكنه ابعدها عنه بجفاء ، فوقفت بعيدا ، وصدرها يعلو ويهبط .

فقال دبرك بثبات :

ـ لن اعود اليك ابدا .

ونفضت كالقطة . وارتعش جفناها . وقالت :

ـ اذن فهناك امراة اخرى أ كنت تتناول معها غداءك ذلك اليوم اليس كذلك أ..

ـ انني انوي الزواج من هذه السيدة . فلتعلمي ذلك جيدا .

ـ هذه المراة الانجليزية الجادة ! انظر اني سأتحمل هذا الوضع لحظة

واحدة ، كلا .. اسمع يا ديرك ، اتذكر ذلك الحديث الذي دار بيننا في لندن ، لقد قلت ان الشيء الوحيد الذي سينقذك من ورطتك هو وفاة زوجتك ، وابديت اسفك لانها كانت تتمتع بصحة جيدة .. وبعد ذلك خطرت ببالك فكرة وقوع حادث ، وما هو اكثر من مجرد وقوع حادث .

فقال ديرك باحتقار :

ـ اعتقد ان هذا هو الحديث الذي رددته للكونت دي لاروش .

وضحكت ميراي .

ـ وهل تظنني مغفلة أ وهل يستطيع البوليس ان يفعل شيئا برواية مثل هذه أ اسمع سامنحك فرصة اخيرة . فلتترك هذه المرأة الانجليزية وتعود الي .. وعند ذلك يا حبيبي ابدا .. لن اتفوه .

ـ تتفوهين بماذا أ..

وضحكت برقة .. وقالت :

ـ اتظن ان احدا لم يرك أ

ـ ماذا تعنين أ

ـ اعني ما اقوله ، انك تعتقد ان احدا لم يرك ، ولكني رايتك يا ديرك ، رايتك تخرج من المقصورة التي كانت بها زوجتك قبل ان يدخل القطار محطة ليون تلك الليلة ، بل اعلم اكثر من هذا ، اعلم انها كانت ميتة عندما خرجت انت من مقصورتها .

وحملق فيها ، لم استدار خارجا من الغرفة ببطء شديد كمن يسير في حلم وهو يترنح قليلا .

***

تحذير

كان بوارو وكاترين يجلسان في حدائق مونت كارلو ، وكانت كاترين قد حضرت مع اصدقائها .. فالتقوا مصادفة بنايتون وبوارو بمجرد وصولهم ، وما ان رات ليدي تامبلين نايتون حتى انقضت عليه تستعيد ذكرياتها ، وان شكت كاترين في صحة الكثير مما رواه ، وابتعدا وقد وضعت ليدي تامبلين يدها على ذراع الشاب ، ونظر نايتون خلفه ، والتمعت عينا بوارو قليلا وهو يراهما .

وردت كاترين بقولها :

ـ بالطبع نحن اصدقاء .

وقال بوارو :

ـ لقد تعاطفنا منذ البداية .

ـ عندما قلت لي بأن القصة البولسية قد تحدث فعلا .

فقال لها بتحد وهو يؤكد كلامه باشارة من سبابته :

ـ الم اكن محقا أ ها نحن منغمسان في واحدة منها ، وهو شيء طبيعي بالنسبة لي ، ولكن الامر يختلف بالنسبة لك ، نعم ، الامر يختلف بالنسبة لك .

ونظرت اليه ، كان كمن يحذرها من خطر يتهددها وان لم تلحظه هي.

ونظر اليها بوارو نظرة حزينة وقال :

ـ هذا هو الطابع الانجليزي .. تماما .. كل شيء واضح محدد اما اسود .. واما ابيض ، ولكن الحياة ليست هكذا يا آنسة .. فهناك اشياء لم تحدث بعد .. ولكنها تلقي بظلالها على الحاضر .

ومسح جبهته بمنديل خريري كبير .. وهمس :

ـ لقد اصبحت شاعرا !.. كما تقولين .. لنتكلم عن الحقائق الملموسة .. وما دمنا نتكلم عن الحقائق الملموسة .. فما رأيك في الماجور نايتون أ..

وردت كاترين بحرارة :

ـ انني معجبة به للغاية .. فهو شخص في غاية الظرف .

وتنهد بوارو ، فسألته كاترين :

ـ ماذا هناك أ

ورد بقوله :

ـ انك تتحدثين عنه بحرارة .. ولو انك قلت بصوت لا مبالي : «لا بأس به» .. لسررت لذلك اكثر .

ولم تحر كاترين جوابا .. وانما احست بالضيق .

واستطرد بوارو قائلا بلهجة حالمة :

ـ ورغم ذلك .. فمن يدري أ.. فان النساء لهن وسائل كثيرة لاخفاء مشاعرهن .. ولعل التحدث بحرارة احدى هذه الوسائل .

وتنهد ..

وقالت كاترين :

فقاطعها بوارو بقوله :

ـ لا ترين سببا لوقاحتي يا آنسة أ.. انني رجل عجوز ..

ـ انني لا ارى سببا ..

ـ ولكني احيانا التقي بشخص يهمني امره .. نحن اصدقاء يا آنسة . لقد قلت انت هذا .. وكل ما اريده هو ان اراك سعيدة .

ونظرت كاترين امامها .. كانت تحمل في يدها مظلة من الكريتون .. فراحت ترسم بها خطوطا على الحصى تحت قدميها .

وقال بوارو :

ـ لقد سألتك عن الماجور نايتون .. والان سأوجه لك سؤالا اخر .. ايعجبك مستر ديرك كترنج أ..

ـ انني اكاد لا اعرفه .

ـ هذا ليس برد .

ـ اعتقد انه كاف .

ونظر اليها .. شيء ما في نبرتها ادهشه ، ثم اومأ برأسه بجدية .. وقال :

ـ ربما كنت على حق يا آنسة ، اسمعي .. لقد مارست الحياة وخرجت من تجاربي الكثيرة بحقيقتين .. ان الرجل الطيب قد يهلكه حب لامرأة سيئة ـ والعكس ايضا صحيح ـ فالرجل الشرير قد يهلكه حبه لامرأة طيبة ..

ونظرت اليه كاترين .. وتساءلت :

ـ عندما تقول يهلكه ..

ـ اعني من وجهة نظره .. فالرجل يعيش بكيانه كله في الجريمة مثلما مثل اي شيء اخر .

فقالت كاترين بصوت خفيض :

ـ انك تحاول ان تحذرني .. ولكن ممن أ

ـ انني لا استطيع ان ارى ما بقلبك يا آنسة .. ولن تسمحي لي بهذا .. لو اردت .. ولكني اكتفي بأن اقول لك هذا : هناك صنف من الرجال يجتذب النساء .

وابتسمت كاترين وقالت :

ـ الكونت دي لاروش أ..

ـ هناك من هم اشد خطورة من الكونت دي لاروش ، فهم يملكون صفات تفتن النساء .. الشجاعة .. والجرأة ، انك مفتونة يا آنسة .. استطيع ان ارى هذا واضحا .. ولكني ايضا اعتقد ان الامر لا يزيد عن افتتان ، ارجو الا يكون اكثر من هذا .. فالعاطفة التي يحملها الرجل الذي اعنيه عاطفة حقيقية .. ولكن رغم ذلك ...

ـ نعم أ..

ونهض واقفا .. ينظر اليها ، ثم قال بصوت هادىء واضح :

ـ قد تحبين لصا .. يا آنسة .. اما ان تحبي قاتلا ...

ثم استدار على عقبيه .. ومضى .. تاركا كاترين حيث هي ، وتناهت الى سمعه صيحة الدهشة التي اطلقتها كاترين .. ولكنه لم يعرها التفاتا .. فقد قال ما كان يريد ان يقوله، ومضى تاركا اياها حيث كانت.. تستوعب عبارته الاخيرة .

وكان ديرك كترنج خارجا من الكازينو ليستمتع بحرارة الشمس حين

رآها تجلس وحدها ، فلحق بها . وقال وهو يضحك ضحكة خفيفة :

ـ لقد كنت اقامر .. ولكني لم اكسب او خسرت كل شيء ... اعني كل ما كان معي .

ونظرت اليه كاترين بوجه مضطرب . واضر لاول وهلة بشيء جديد يشوب سلوكه ، شيء من الانفعال الخفي . ثم بدا واضحا رغما عنه . وسألته كاترين :

ـ كان رأيي دائما انك مقامر . فروح القمار تستهويك .

ـ ترى هل انا مقامر في كل شيء ؟ انك على حق . الا تجدين شيئا مثيرا في المقامرة ؟ فلا شيء يعدل ان يخاطر انسان بكل ما معه مرة واحدة .

ورغم ان كاترين تتوسم في نفسها الهدوء الا ان حديثه اثارها .

واستطرد ديرك يقول :

ـ اريد ان اتحدث اليك ، فمن يدري ، قد تتاح لي فرصة اخرى ، لقد تردد الحديث عن انني قد قتلت زوجتي أ تقاطعيني . ارجوك ، انه اتهام يبعث على السخرية .

وتوقف قليلا .. ثم عاود الحديث .. بهدوء :

ـ لقد تظاهرت بمظهر المتغطرس .. حين تحدثت مع البوليس والسلطات المحلية هنا ، ولكني افضل ان اكون صريحا معك . لقد تزوجت من اجل المال .. كنت ابحث عنه .. حين التقيت بروديل اولدين .. كانت تبدو رقيقة .. ولكني خدعت ، كانت زوجتي تحمل اخر .. عندما تزوجتني .. ولم تخفل بي اطلاقا .. آه .. انني لا اشكو .. فقد كان الزواج صفقة لكلينا .. كانت هي تسعى من اجل لقب .. كنت انا اسعى من اجل المال .. ولكن المشاكل بدأت تدب بيننا .. فهي لم تحفل بمشاعري .. كانت تود ان تراني دائما تابعا لها .. كانت تكاد تقول انها قد اشترتني بمالها .. وانني احد ممتلكاتها . كانت النتيجة ان سلوكي نحوها كان مزريا ، وسيخبرك حمامي بهذا .. لقد مرحق ، وعندما ماتت روث .. واجهتني كارثة ..

وضحك فجأة .. ثم قال :

ـ ان الانسان تصيبه كارثة عندما يجد خصما لرجل مثل فان اولدين .

وقالت كاترين بصوت خفيض :

ثم ماذا أ..

فهز ديرك كتفيه وقال :

ـ لقد قتلت روث .. في جريمة محكمة الجريمة .

وضحك ، واجفلت كاترين لضحكته ، وقال ديرك :

ـ نعم ، ليس من المناسب ان اقول هذا الان صحيح ، والان

سأخبرك بشيء آخر . منذ اللحظة الاولى التي رأيتك فيها عرفت انك المرأة الوحيدة في العالم التي خلقت لي . ولكني كنت خائفا منك ، فلنت انك قد تجلبين لي حظا سيئا .

فردت كاترين بحدة :

ـ حظا سيئا !..

وحملق فيها وهو يقول :

ـ لماذا ترددين هذه العبارة هكذا ! ما الذي يدور في رأسك ؟..

ـ كنت افكر فيما قاله الناس لي ..

وابتسم دبرك فجأة وقال :

ـ انهم سيرددون ذلك الكثير عني يا عزيزتي . وسنكون اغلب اقوالهم صحيحة . نعم . هناك ما هو اسوأ من ذلك ـ اشياء لن اخبرك بها ابدا . . لقد نسب طول حياتي مقامرا . وكانت لي كثير من النزوات . لن اعترف لك بهذا الان او في اي وقت آخر . فما فات قد انقضى . ولكني اريد ان تصدقي شيئا واحدا . فانا اقسم لك اني لم اقتل زوجتي .

قال هذه الكلمات بلهفة يشوبها شيء من التمثيل ، والتفت عيناه بنظرتها المضطربة . واستطرد يقول :

ـ حقا .. لقد كذبت في ذلك اليوم . لقد دخلت فعلا مقصورة زوجتي .

وقالت كاترين :

ـ آه ..

ـ من الصعب ان اشرح لماذا دخلت . ولكني سأحاول . فقد خطر لي ذلك فجأة ، تستطيعين ان تقولي اني كنت انجذب عليها ، وبقيت بعيدا عن الانظار في القطار . فقد اخبرتني ميراي ان زوجتي ذاهبة للقاء الكونت دي لاروش في باريس . وحسب ما رأيت لم يكن هذا صحيحا ، والثاني احساس بالخجل من نفسي . واحسست فجأة انه من المستحسن ان نناقش الامر معا . وننتهي منه . فدفعت الباب ودخلت .

وتوقف عن الكلام ، فقالت كاترين برقة :

ـ وبعد ؟..

ـ كانت روث ترقد نائمة على السرير . وقد استدار وجهها بعيدا عني . فلم ار الا مؤخرة راسها . وكان من الممكن ان اوقظها ضعفاء ولكن انساني رد فعل مفاجيء . فما الذي بقي لنا لنتحدث فيه بعد ان تحدثنا مئات المرات . وكانت تنام نائمة في هدوء . فتركت المقصورة كما دخلتها .

ـ ولماذا كذبت على البوليس ؟..

ـ لاني لست مجنونا . فقد ادركت منذ البداية انني ساكون القاتل في نظرهم اذ لدي الدافع على الجريمة . ولو اني صرحت بأني قد دخلت

مقصورتها قبل ان تقتل ، لكنت قد قضيت على نفسي .

ـ فهمت ..

ولكن هل فهمت حقا ؟.. انها لم تكن واقفة ، كانت تشعر بما في شخصية دبرك من جاذبية ، ولكن شيئا في داخلها كان يجعلها تقاوم . والقت بنظرة يائسة حولها . كما لو كانت تبحث عن شيء ينقذها . وتضرج وجهها وهي ترى شابا طويلا اشقر يسرع نحوهما وهو يعرج قليلا .. انه ماجور تايتون ووقف دبرك . وقد تجهم وجهه . وقال ببساطة :

ـ سأذهب لارى ماذا الم بليدي تامبلين .

وقفل عائدا وتركهما معا . وجلست كاترين مرة اخرى واستعادت هدوءها وهي تتحدث مع الشاب الهادىء الخجول وانتابتها صدمة حين ادركت ان تايتون هو الاخر يفتح قلبه لها . كما فعل دبرك من قبل . ولكن بطريقة مناسبة تماما .

كان خجولا متلعثما ، اجاهد كلماته مترددة .

ـ منذ اللحظة الاولى التي رأيتك فيها ... لم يكن من الواجب ان اتحدث اليك هكذا بسرعة . ولكن مسز فان اولدين قد يسافر في اي وقت . وربما لن تتاح لي فرصة اخرى . اعلم انك لا يمكن ان توليني اهتماما بهذه السرعة . فهذا مستحيل واعتقد انها جراء مني . ان لدي بعض الموارد المالية . وان لم تكن كثيرة ... لا . ارجوك لا ترفضي على طلبي الان . فانا اعلم الرد سلفا . ولكن في حالة فان اذا سافرت فجاة . فقد اردت ان تعرفي باني مهتم بك .

وتاثرت كثيرا . فقد كان سلوكه كله رقة .

ـ هناك شيء آخر .. اود ان اقول اذا ما حدث وصادفتك بعض المتاعب . فاني على استعداد لان ...

وتناول يدها في يده وامسك بها لحظة . ثم تركها ومضى بعيدا في اتجاه الكازينو دون ان ينظر خلفه .

***

لقاء مع ميراي

عندما ترك تايتون كاترين مضى بحث عن هيركيول بوارو . ووجده في صالة الروليت . يراهن بمبلغ صغير في خانة الارقام الفردية . وعندما لعب به تايتون ربح رقم ٣٢ . وخسر بوارو رهانه .

وصاح نايتون :

ـ يا للحظ العاثر ، هل تلعب مرة اخرى ؟

فهز بوارو راسه نفيا . وقال :

ـ لا .. ليس في الوقت الحاضر .

وساله نايتون باستغراب :

ـ اتشعر بلذة المقامرة ؟

ـ لا .. ليس في الرولييت .

فرمقه نايتون بنظرة سريعة . وبان الاضطراب على وجهه . وقال مترددا :

ـ اتراك مشغولا يا مسيو بوارو ؟ هناك شيء ما اود ان اسالك فيه ..

ـ انني تحت امرك . فلنذهب الى الخارج . فالجو ممتع في الشمس .. وخرجا سويا .

ومضيا في طريقهما صامتين بعض الوقت . حين قطع بوارو الصمت بقوله :

ـ اهناك ما يشغل بالك ؟..

فنظر اليه نايتون في دهشة وقال :

ـ هذا صحيح . ولو اني لا ادري كيف عرفت ذلك .

فقال بوارو :

ـ كان يبدو هذا واضحا على وجهك .

ـ لم اكن اعلم بان مشاعري تبدو بهذا الوضوح .

فرد الرجل القصير بكبرياء :

ـ ان مهمتي ان الحظ ما يطرأ على الوجوه من تغيير .

ـ ساخبرك يا مسيو بوارو ، هل سمعت بهذه الراقصة المدعوة ميراي ؟..

ـ البست هذه صديقة مسيو دبرك كترنج ؟..

ـ نعم .. انها هي ، وما دمت تعلم هذا فانت بالطبع تدرك ان مستر فان اولدين يكرهها ، وقد كتبت اليه تطلب تحديد موعد للقائه . فطلب مني ان اكتب ردا قصيرا يرفض فيه ، وبالطبع فعلت ذلك ، وهذا الصباح حضرت الى الفندق وطلبت لقاء مستر فان اولدين في الحال لامر عاجل وهام .

فقال بوارو :

ـ انك تثير اهتمامي .

ـ وغضب مستر فان اولدين اشد الغضب . وابلغني الرد الذي يريد ارساله اليها ، ولكني تجاسرت وأبديت رايا مخالفا لرايه . ويبدو ان خلف هذه المراة ميراي معلومات قيمة ، فقد كانت في القطار الازرق ، وربما زارت او سمعت شيئا ذا بال . الا تتفق معي في الراي يا مسيو بوارو ؟..

فرد بوارو بقوله :

ـ نعم ، واعتقد ان مسيو فان اولدين تصرف بحماقة كبيرة .

فقال السكرتير :

ـ يسرني انك تشاركني الراي ، والان سأقول لك شيئا يا مسيو بوارو . لقد كان احساسي بان موقف مستر فان اولدين بعيدا عن الحكمة بدرجة جعلتني انزل ، والتقي بالسيدة ، وانحدث معها .

ـ وبعد ..

ـ كانت الصعوبات في اصرارها على ان ترى مستر فان اولدين شخصيا ، فخففت من حدة رسالته قدر استطاعتي ، ولكن صريحا معك ، لقد ابلغتها لها بطريقة مخالفة تماما ، فقد اخبرتها ان مستر فان اولدين مشغول ولا يستطيع ان يراها في الوقت الحاضر ، وانها تستطيع ان تخبرني بما تريد ، ولكنها رفضت وخرجت دون ان تدلي باي شيء ، ولكن لدي احساسا قويا بان هذه المراة تعرف شيئا .

فقال مسيو بوارو بهدوء :

ـ هذا امر بالغ الاهمية ، اتعلم اين تقيم ؟..

ـ نعم ..

وذكر له اسم الفندق . فقال بوارو :

ـ حسنا .. لنذهب الى هناك في الحال .

وبدا الشك على السكرتير وتساءل :

ـ وماذا عن مستر فان اولدين ؟..

ـ ان مسيو فان اولدين رجل عنيد ، وانا لا احب الجدل مع اي شخص عنيد ، بل انصرف رغما عنه . وسنذهب الان ونرى الانسة فورا ، وساخبرها بانك مفوض من قبل مستر فان اولدين ، ولكن حذار ان تعارضني .

وكان نايتون ما زال يبدو مترددا ، ولكن بوارو لم يعبأ بهذا .

وعندما وصلا الى الفندق علم ان الانسة موجودة ، فارسل بوارو بطاقته ، وبطاقة نايتون . وقد كتب عليهما بالقلم الرصاص ، من قبل مستر فان اولدين .

وأناهما الرد بأن الانسة ميراي في انتظارهما .

وحين دخلا جناح الراقصة اخذ بوارو بزمام الموقف ، وبادرها بقوله هو بنحني :

ـ يا آنسة .. لقد حضرنا من قبل مسيو فان اولدين ..

ـ آه .. ولماذا لم يحضر هو شخصيا ؟..

ـ انه متوعك قليلا بتاثير جو الرفيرا .. ولكني مفوض من قبله .. معي مستر نايتون .. سكرتيره .. الا اذا كانت الانسة تريد الانتظار اسبوعين تقريبا .

كان بوارو واقعا من تاثير كلمة «الانتظار» على واحدة في مثل طبع ميراي .

فصاحت :

ـ اذن .. سأتكلم .. لقد صبرت طويلا .. وامتنعت عن الكلام .. ولكن لماذا ؟.. لالتقي الاهانات ! نعم .. اهانات ! ابظن انه يستطيع ان يعامل ميراي بهذه الطريقة ؟.. ان يلقيها بعيدا كما لو كانت قمـــازا قديما ؟.. لم يحدث لي هذا ابدا .. لم يلق بي اي رجل .. ابدا . بل كنت انا التي القي بهم ، واخذت تدرع الغرفـــة .. جيئة وذهابا .. وجسدها النحيل يرتجف غضبا .. ووجدت في طريقها منشدة صغيرة .. فحملتها والقت بها الى ركن الغرفـــة .. حيث ارتطمت بالحائط ، وصاحت :

ـ هذا ما سأفعله به .. وسأفعل به ايضا هكذا ... والتقطت اثناء زجاجيا مليئا بزهور «الليلي» .. والقته بعيدا فتهشم .

وكان نايتون ينظر اليها ببرود انجليزي .. غير راض عن تصرفاتها وبدا مرتبكا .. قلقا ، اما بوارو ، فكان ينظر الى ما يحدث بعينين لامعتين وهو مستمتع تماما بما يراه .. وصاح قائلا :

ـ هذا رائع !.. واضح ان الانسة حادة المزاج .

فردت ميراي بقولها :

ـ انني فتاة .. وكل فتاة لها مزاجها .. لقد نصحت دبرك بـــأن ياخذ حذره .. ولكنه لم يستمع الي .

ودارت فجاة .. وقالت لبوارو :

ـ اصحيح انه يريد ان يتزوج آنسة انجليزية ؟..

وسعل بوارو ، وهمس :

ـ لقد قيل لي انه يعبدها .

واقبلت ميراي نحوهما وصاحت :

ـ لقد قتل زوجته ... ها هي الحقيقة !.. وقد قال لي قبـــل ان يفعلها انه سيقتلها .. كان في محنة .. فاتبع اقصر الطرق .

ـ اتقولين ان مستر كنرنج قتل زوجته ؟..

ـ نعم .. نعم .. نعم .. الم اقل لك هذا ؟

وهمس بوارو :

ـ ان البوليس سيطلب دليلا على هذه الاقوال .

ـ قلت لك اني رايته يخرج من مقصورتها تلك الليلة .

فسالها بوارو بحدة :

ـ متى ؟..

ـ قبل ان يصل القطار الى ليون مباشرة .

ـ اتقسمين على هذا يا آنسة ؟..

قال لها ذلك بلهجة مختلفة .. قاطعة ، فردت بقولها :

ـ نعم ..

تلت ذلك فترة صمت .. كانت ميراي تهيج ، وكانت تنقل عينيها من واحد الى الاخر بنظرة هي مزيج من التحدي .. والخوف .

وقال المخبر :

ـ هذا امر خطير يا آنسة .. اتدركين مدى خطورته ؟..

ـ بكل تاكيد .

فقال بوارو :

ـ اذن فانت تعلمين اننا يجب الا نضيع الوقت .. فلتاتي معنا فورا الى مكتب التحقيق ..

وبوغتت ميراي .. وترددت .. ولكن كما توقع بوارو .. لم يكـــن امامها وقت للتراجع ، فهمست قائلة :

ـ لا باس .. سآتي بمعطفي .

واذ بقيا وحدهما ، تبادل بوارو ونايتون النظرات وقال بوارو :

ـ ماذا يقول المثل .. من الضروري ان تضرب والحديد ساخن ، وهي متقلبة المزاج وربما ندمت بعد ساعة فتراجعت عن موقفها ، ويجب ان نمنعها من هذا مهما كان الثمن .

وظهرت ميراي مرة اخرى وقد التفت بثوب من القطيفة فـــي لون الرمال محلى بجلد النمر ، فبدت كالنمرة في خطورتها وكانت عيناهـــا تشعان غضبا وتصميما ، ووجدوا مسيو كو والمحقق معا ، وقدمها بوارو بكلمات قليلة ، وسرعان ما طلبوا منها ان تروي القصة ، فكررت عليهم ما سردته امام نايتون وبوارو ، ولكن باعصاب اكثر هدوءا .

وقال مسيو كاريج :

ـ هذه قصة غريبة يا آنسة ..

ومال الى الخلف في مقعده ، واصلح وضع نظارته ورمقها بنظـــرة فاحصة .

ـ انفهم من كلامك ان مسيو كنرنج قد تحدث امامك عن الجريمة قبل وقوعها ؟..

ـ نعم .. نعم .. وقد كانت في صحة جيدة، كما قال ، ولو قدر لها ان تموت فلن يكون هذا الا في حادث يتولى هو اعداد ترتيباته .

ـ اتقولين يا آنسة انك كنت على علم بالموضوع قبل ان يحدث ؟

ـ انا ؟.. ابدا فانني لم آخذ كلامه على محمل الجد ، كلا بالتاكيد ، فانا ادرى بالرجال-يا سيدى ، فما اكثر ما يقولون ، ولو نفذ كل رجل كلامه حرفيا لخربت الدنيا .

فرفع المحقق حاجبيه وقال :

ـ انفهم من هذا انك اعتبرت تهديدات مسيو كنرنج مجرد كلام فارغ؟

اذن اود ان اسالك يا آنسة ما الذي جعلك تلغين جميع ارتباطاتك في لندن وتحضرين الى الريفييرا ؟

فنظرت اليه ميراي بعينيها السوداوين ، وقالت ببساطة :

ـ لقد اردت ان اكون بجانب الرجل الذي احبه ، اترى هذا غريبا ؟

وتدخل بوارو وهو يسأل بلطف :

ـ ترى ان ميراي وجدت صعوبة في الاجابة عن هذا السؤال، فترددت وهي تفكر قبل ان تتكلم ، وعندما فعلت ردت بطريقة فيها الكثير من التعالي واللامبالاة :

ـ اني احب ان امتع نفسي .

ولاحظ الرجال الثلاثة ان هذه الاجابة لم تحمل اي رد على السؤال اطلاقا ، ولكنهم لم يتكلموا .

ـ ومتى اقتنعت ـ لاول مرة ـ بان مسيو كترنج قد قتل زوجته ؟

ـ كما اخبرتك يا سيدي من قبل ، لقد رايته خارجا من مقصورة زوجته قبل ان يصل القطار الى ليون مباشرة ، وكانت على وجهه نظرة لم استطع ان ادرك كنهها عندئذ ـ نظرة فظيعة لن انساها ابدا .

كان صوتها يعلو وهي تشير بذراعيها بحركة مبالغ فيها . وقال مسيو كاربنج :

ـ نعم ؟..

ـ وبعد ذلك ، عندما وجدت مدام كترنج ميتة ، عندما غادر القطار محطة ليون عرفت بالامر .

وقال المفتش برقة :

ـ ورغم ذلك يا آنسة فانك لم تبلغي البوليس .

فنظرت اليه ميراي نظرة متعالية ، كان من الواضح انها منتشية للدور الذي كانت تلعبه ، وعادت تسأل :

ـ وهل اخون حبيبي ؟ كلا ، لا تطلب من امراة ان تفعل هذا .

والمح لها مسيو كو بقوله :

ـ ولكنك الان ...

ـ الان .. الامر مختلف .. لقد خانني ، فهل اتعذب في صمت ؟

فقال المحقق يطيب خاطرها :

ـ تماما .. تماما .. والان يا آنسة هلا قرات الشهادة التي ادليت بها الينا ووقعت عليها ؟

ولم تضيع ميراي وقتها في القراءة ، بل قالت :

ـ نعم .. نعم .. انها صحيحة .

ثم نهضت واقفة ، وقالت :

ـ اهناك شيء اخر ؟

ـ حاليا لا ..

ـ وهل سيلقى القبض على دبرنك ؟

ـ في الحال يا آنسة .

وضحكت ميراي ضحكة قاسية وجذبت الفراء ، وقالت :

ـ كان يجب ان يفكر في هذا قبل ان يهينني .

وقال بوارو بلهجة اعتذار :

ـ هناك شيء واحد فقط .

ـ نعم ..

ـ ما الذي جعلك تعتقدين ان مدام كترنج كانت قد ماتت عندما غادر القطار محطة ليون ؟

فحدقت ميراي في دهشة وقالت :

ـ ولكنها فعلا كانت ميتة .

ـ حقا ؟..

ـ نعم ، بالطبع ، انا ...

وتوقفت فجأة عن الكلام ، كان بوارو يرمقها بنظرة فاحصة . ورأى الحذر يتجلى في عينيها :

ـ لقد قيل لي هذا ، كل انسان يقول هذا .

وقال بوارو :

ـ آه .. لم اكن اظن ان هذه الحقيقة قد ذكرت خارج غرفة التحقيق.

وبدا الارتباك على ميراي وقالت :

ـ ان المرء يسمع هذا الكلام . فقد اخبرني احدهم به ، وان كنت لا استطيع ان اتذكر من هو .

واتجهت ناحية الباب وذهب مسيو كو ليفتحه لها ، وبينما هو يفعل ارتفع صوت بوارو مرة اخرى يسأل :

ـ وماذا عن المجوهرات ؟.. عفوا يا آنسة ، ايمكن ان تخبريني عنها ؟..

ـ المجوهرات ؟.. اية مجوهرات ؟!

ـ احجار الياقوت التي كانت تملكها القيصرة كاترين يوما . ما دمت تسعين الكثير ، ربما تناهى اليك شيء عنها .

فردت ميراي بحدة :

ـ انا لا اعلم شيئا عن اية مجوهرات .

وخرجت واغلقت الباب وراءها ، وعاد مسيو كو الى مقعده ، وتنهد المحقق ، وقال :

ـ يا لها من نورة .. ولكنها في غاية الاناقة . ترى اهي صادقة في كلامها ؟ اظن هذا .

فقال بوارو :

ـ لا شك ان في كلامها بعض الحقيقة ، فكلام مس جراي يؤيده . اذ

قررت انها عندما نظرت في الممر قبل ان يصل القطار الى ليـــون بوقت قصير رات مسيو كترنج يدلف الى مقصورة زوجته .

وقال المحقق وهو يتنهد :

ــ من الواضح ان الاتهام الموجه اليه قوي ، وهو امر يؤسف له .

فساله بوارو :

ــ ماذا تعني ؟..

ــ لقد كان امل حياتي كلها ان القي القبض على الكونت دي لاروش ، وقد ظننت انه وقع في ايدينا هذه المرة ، ولكن ... اما الان فان الادلة ضده ليست بنفس القوة .

وحك مسيو كاريج انفه ، وقال بحذر :

ــ لو اخطانا فسيكون موقفنا في غاية الحرج ، فمسيو كترنج من الطبقة الارستقراطية ، وسينشر الموضوع في الصحف ، ولو اخطانا ... وهز كتفيه متوجسا ، وقال المفتش :

ــ والمجوهرات ؟.. ماذا تظنه قد فعل بها ؟..

وقال مسيو كاريج :

ــ بالطبع حاول ان يخفيها ... ولا بد انها سبب له المتاعب ، فمن الصعب ان يتخلص منها .

وابتسم بوارو وقال :

ــ لي راي فيما يتعلق بموضوع المجوهرات . ماذا تعرفون عن رجل يدعى الماركيز ؟

ومال المفتش الى الامام بانفعال وقال :

ــ الماركيز ؟! الماركيز ؟! اتعتقد ان له دخلا في هذا الموضوع يا مسيو بوارو ؟..

ــ لقد سالتك عما تعرفه عنه .

فرد المفتش باسف :

ــ ليس بالقدر الذي تود ان تعرفه . فهو يعمل من وراء الستار ، ولديه من يقومون بالاعمال القذرة نيابة عنه ، ولكنه شخص ذو مركز ، فنحن واثقون من هذا . فهو لا يتحدر من طبقة المجرمين .

ــ اهو فرنسي ؟..

ــ نعم . او على الاقل هذا ما نعتقده . وان كنا غير واثقين . وقد عمل في فرنسا وانجلترا وامريكا ، وقد حدثت في سويسرا في الخريف الماضي سلسلة من السرقات نسبت اليه ، ولكنه على اي حال شخصية كبيرة ، ويتحدث الفرنسية والانجليزية بطلاقة . ولكن اصله ما زال لغزا .

ودوما بوارو براسه ونهض مستاذنا في الانصراف ، وساله المفتش :

ــ امكن ان نضيف جديدا الى معلوماتنا يا مسيو بوارو ؟..

ــ في الوقت الحالي لا . ولكن قد اجد بعض المعلومات في انتظاري

بالفندق .

وبدا عدم الارتياح على وجه مسيو كاريج ، وقال :

ــ لو كان الماركيز له دخل بهذه القضية ...

ثم توقف ، وقال مسيو كو :

ــ ان هذا يقلب افكارنا راسا على عقب .

فرد بوارو :

ــ ولكنه لا يقلب افكاري انا ، بالعكس فهو يتفق معها تمام الاتفاق ، الى اللقاء ايها السادة ، واذا وصلتني بعض المعلومات سانقلها لكـــم في الحال .

وسار عائدا الى فندقه وعلى وجهه علامات الجد ، وقد وصلته برقية اثناء غيابه ، ففضها ، كانت برقية طويلة قراها مرتين قبل ان يضعها في جيبه ، وعندما صعد الى اعلى وجد جورج في انتظاره ، فقال له :

ــ انني متعب يا جورج ، في غاية من التعب ، فهلا طلبت لي قدحا صغيرا من الشاي .

ووصل الشاي ، ووضـــع جورج القدح على المنضدة الصغـــيرة قريبا من سيده ، واذ هو يستعد للانصراف تكلم بوارو :

ــ اعتقد يا جورج انك تعلم الكثـــير عن الطبقة الارستقراطيـــة الانجليزية .

فابتسم جورج ، وقال :

ــ اعتقد ذلك يا سيدي .

ــ اظن انك ترى ان المجرمين ينحدرون من الطبقات الدنيا ؟

ــ ليس دائما يا سيدي ، فقد سبب ابن دوق ديفايز الكثير من المتاعب ، اذ ترك كلية ايتون في ظروف غامضة ، وبعد ذلك سبب كثيرا من المتاعب في مناسبات عدة ، ولم يقبل البوليس الراي الذي كان يقول بانه يعاني من مرض السرقة ، كان شابا في غاية الذكاء ، ولكنه شرير الى اقصى حد ، وارسله والده الى استراليا ، وقد بلغني انه ادين هناك بعد ان غير اسمه ، شيء غريب يا سيدي ، ولكن هذا هو ، ولا حاجة الى القول طبعا بان الشاب لم يكن في حاجة الى المال .

فقال بوارو بنوذة :

ــ حب المغامرة ، وبعض التفوذ العقلي ، ترى ...

واخرج البرقية من جيبه وقراها مرة اخرى ، واستطرد التابع يروي ذكرياته :

ــ وهناك ايضا ابنة ليدي ماري فوكس ، التي كانت تحتال علـــى التجار ، وازعجت الكثير من العائلات المعروفة ، وهناك كثير من مثل هذه الحالات الغريبة .

وقال بوارو :

— ان لك تجارب واسعة يا جورج ، وكثيرا ما سألت نفسي ، مـا دمت قد عشت زمنا طويلا بين هذه العائلات العريقة ، فكيف رضيت بأن تحط من قدرك وتعمل تابعا لي ؟.. اني ارجع هذا الى حبك للمغامرات .

— ليس تماما يا سيدي، فقد حدث ان قرأت خبرا في صفحة المجتمع انك استقبلت رسميا في قصر بكنجهام ، وان جلالة الملك لاطفك وعبر عن تقديره لمواهبك ، وقد حدث هذا في وقت كنت ابحث فيه عن عمـل جديد .

فقال بوارو :

— ان المرء يحب ان يعرف احيانا سببا لبعض التصرفات .

وظل مستغرقا في التفكير فترة ، ثم قال :

— هل اتصلت تليفونيا بالآنسة بابيوبولوس ؟..

— نعم يا سيدي .. ويسعدها هي ووالدها ان يتناولا العشاء معـك الليلة .

فرد بوارو وهو مستغرق في التفكير :

— آه ...

وهمس لنفسه : ان السنجاب يجمع البندق ، ويخزنه في الخريف عله ينتفع به فيما بعد ، وقد قمت بدور السنجاب ، فاختزنت حقيقة من هنا وأخرى من هناك ، والآن اعود الى مخزني ، والتقط بندقة بعينها ، بندقة اختزنها سبعة عشر عاما ..؟

***

بوارو يقوم بدور السنجاب

خرج بوارو قبل موعد العشاء بثلاثة ارباع الساعة ، وكان له هدف معين ، لم تحمله السيارة الى مونت كارلو مباشرة بل عرج على منـزل ليدي تامبلين في كاب مارتان .. حيث سأل عن مس جيراي .. ودخل بوارو الى صالون صغير ينتظر .. وبعد حوالي ثلاث او اربع دقائق اقبلت لينوكس تامبلين .. وقالت :

— ان كاترين لم تفرغ من ارتداء ملابسها بعد .. هل احمل لها رسالة .. او تفضل ان تنتظرها حتى تحضر ؟..

نظر اليها بوارو وهو يفكر مليا .. وصمت دقيقة او اثنتين قبل ان يجيب .. وكان شيئا خطيرا معلق على قراره .. كان واضحا ان الاجابة

عن هذا السؤال لها اهميتها .

واخيرا قال :

— كلا .. لا اظن انه من الضروري ان انتظر لارى الآنسة كاترين اظن انه من الافضل الا انتظر ، فمثل هذه الامور صعبة ..

وانتظرت لينوكس بأدب .. وقد ارتفع حاجباها قليلا .

واستطرد بوارو :

— لدي خبر .. ربما تكرمت بنقله الى صديقتك .. لقد قبض على مسيو كترنج الليلة بتهمة قتل زوجته .

وسألته لينوكس :

— اتريدني ان اخبر كاترين بهذا ؟..

وجعلت تلهث كما لو كانت قد جرت مسافة طويلة .. وبدا وجهها.. شاحبا .. متقلصا .. بشكل ملحوظ .

— لو سمحت يا آنسة .

— لماذا ؟.. هل تعتقد ان كاترين ستحزن لهذا الخبر ؟.. اتعتقد انها تهتم به ؟..

— لا ادري يا آنسة ، انني اعترف بصراحة .. انا الذي اعرف كـل شيء عادة .. لا اعلم هذا ، وربما كنت انت تعرفين عن هذا الموضوع اكثر مما اعرف انا .

— نعم .. اعرف .. ولكني لن اقول لك شيئا .

وامسكت عن الكلام برهة .. وقد عقدت حاجبيها ، ثم سألته فجأة:

— اتظن انه قتلها ؟..

فهز بوارو كتفيه وقال :

— هكذا يقول البوليس .

— اراك تروغ من الاجابة .. اذن فان هناك ما يحملك على هذا ، ومرة اخرى .. صمتت .. وقد عبست ، وقال بوارو برقة :

— لقد عرفت ديرك كترنج منذ فترة طويلة .. أليس كذلك ؟

فردت قائلة بخشونة :

— منذ ان كنت صغيرة .

فاومأ برأسه عدة مرات .. دون ان يتكلم .

وبحركة مفاجئة .. جذبت لينوكس مقعدا .. وجلست عليه وقد وضعت مرفقيها على المنضدة واسندت وجهها الى كفيها ، ثم نظرت الى بوارو .. وقالت :

— وما الذي يستندون اليه ؟.. الدافع .. على ما اظن .. مـن المحتمل انه ورث مبلغا كبيرا بوفاتها .

— لقد ورث ملبوني جنيه .

— ولو انها لم تمت .. لكان قد افلس ؟..

ـ نعم ..

وقالت ليتوكس باصرار :

ـ ولكن يجب ان يكون في الامر اكثر من هذا .. لقد سافر بنفس القطار .. ولكن ليس هذا وجده كافيا .

ـ لقد وجدوا في المقصورة الخاصة بها علبة سجائر عليها حرف «ك» ولكنها ليست علبة مسز كترنج .. وهناك ايضا شخصان رأياه يدخل الى مقصورتها ويخرج منها قبل ان يصل القطار الى محطة ليون مباشرة .

ـ من هما ؟..

ـ كانت صديقتك مس جراي احداهما ، وكانت الاخرى الانسة ميراي .. الراقصة .

ـ وهو .. ماذا قال ؟..

ـ لقد انكر انه دخل مقصورة زوجته اطلاقا .

فردت ليتوكس بحدة وهي منجهمة :

ـ مغفل .. اقول قبل ان يصل القطار الى ليون مباشرة ؟.. وهل يعرف احد متى حدثت الوفاة ؟..

فرد بوارو قائلا :

ـ ان شهادة الاطباء ليست محددة تماما ، فهم يميلون الى الاعتقاد بان الوفاة حدثت بعد ان غادر القطار محطة ليون ، ونعرف ايضا ان بعد نصف دقائق من مغادرة القطار لمحطة ليون كانت مسز كترنج قد ماتت .

ـ وكيف عرفت هذا ؟..

ـ لقد دخل احدهم المقصورة فوجدها ميتة .

ـ ولم يقيموا الدنيا ويقعدوها ؟

ـ كلا ..

ـ ولماذا ؟..

ـ لا شك انه كانت لديهم الاسباب لهذا التصرف .

فنظرت اليه ليتوكس بحدة وقالت :

ـ وهل تعرف السبب ؟..

ـ نعم ..

وجلست ليتوكس وهي تدبر الامر كله في راسها ، واخذ بوارو يراقبها في صمت ، واخيرا رفعت راسها ، وعاد الدم الى وجهها وتالقت عيناها :

ـ انك تعتقد ان احد ركاب القطار هو الذي قتلها ، ولكن هذا ليس ضروريا اطلاقا . فما الذي يمنع من ان يتسلل اي شخص الى القطار عندما تتوقف في ليون ، ويذهب مباشرة الى مقصورتها ويخنقها ، ويأخذ الجوهرات ، ثم يغادر القطار دون ان يلحظ احد شيئا ، وربما تكون قد ذهبت هذا بينما القطار يقف في محطة ليون ، وعندئذ يكون الامر هكذا ..

حين دخل ديرك ، كانت ما زالت حية ، وحين دخل الشخص الاخر ، كانت قد فارقت الحياة .

واستند بوارو الى كرسيه ، واخذ نفسا طويلا ، ونظر الى الفتاة واومأ براسه ثلاث مرات ، ثم زفر وقال :

ـ يا آنسة .. ان ما قلته الان صحيح تماما . لقد كنت اتخبط في الظلام فبعثت انت بصبصا من الضوء ليهديني . فقد كانت هذه المسالة تحيرني ، ولكنك اوضحتها تماما .

ونهض واقفا ، وسالت ليتوكس :

ـ وماذا عن ديرك ؟..

فقال بوارو وهو يهز كتفه :

ـ من يدري .. ولكني سأقول لك شيئا ، انني لست راضيا كلا .. انا هيركيول بوارو لست راضيا بعد ، وربما عرفت شيئا جديدا هذه الليلة ، على الاقل ، هذا ما سامضي من اجله .

ـ هل ستقابل شخصا ؟..

ـ نعم ..

ـ شخصا يعرف شيئا ؟..

ـ شخصا قد يعرف شيئا ، ففي مثل هذه الظروف ، لا بد الا يهمل الانسان صغيرة او كبيرة ، وداعا يا آنسة .

ورافقته ليتوكس الى الباب ، ثم سالت :

ـ ترى هل ساعدتك ؟..

ولاحت قسمات وجه بوارو وهو ينظر اليها وقد وقفت على عتبة الباب :

ـ نعم .. يا آنسة ، لقد ساعدتني . واذا تعقدت الامور فتذكري هذا جيدا .

وعندما انطلقت السيارة ، استغرق في التفكير ، وقد شع من عينيه ذلك الضوء الغريب الذي يسبق كل انتصار تحققه .

ووصل متاخرا عن موعده قليلا ، فوجد مسيو بابوبولوس وابنته قد وصلا قبله ، فاعتذر ، وكان كالعهد به دائما مهذبا لطيفا ، وكانت تبدو على الرجل اليوناني ملامح الطيبة والنبل . فبدا كطبرك نحلا حياة لا غبار عليها ، وكانت زيا تبدو جميلة مرحة ، كما كان العشاء جيدا ، وبدا بوارو في احسن حالاته ، فجعل يروي النكت ، ويجامل زيا بابوبولوس ويروي الكثير من طرائف مهنته ، وكانت اصناف الطعام متقنة ، كما كانت الخمر ممتازة ، وفي نهاية العشاء قال بابوبولوس بادب :

ـ وماذا عن المعلومات التي قلتها لك ؟... هل استفسرت عن الحصان ؟..

فرد بوارو :

ـ انني اجري اتصالات مع مكتب المراهنات .

والتفت عينا الرجلين ، وقال بابوبولوس :

ـ ترى اهو حصان معروف ؟..

ـ كلا ، انه كما يقول اصدقاؤنا الانجليز حصان غامض .

فرد مسيو بابوبولوس قائلا :

ـ آه ..

وصاح بوارو بمرح :

ـ هيا لندخل الكازينو ، ونكمل حديثنا حول مائدة الروليت .

وغرقت المجموعة في الكازينو . ولازم بوارو زيا ، بينما انسل بابوبولوس بعيدا .

ولم يكن بوارو محظوظا في الروليت . بعكس زيا التي سرعان ما ربحت بضعة الاف من الفرنكات ، ثم قالت :

ـ يحسن ان اتوقف الان .

والتمعت عينا بوارو :

ـ شيء رائع .. انك ابنة ابيك . تماما يا آنسة زيا . ان تعرفي متى تتوقفين ، هذا هو الفن .

ودار ببصره حول القاعة . وقال بلا اكتراث :

ـ انني لا ارى والدك هنا . سأذهب لاحضر معطفك يا انسة . حتى نخرج الى الحديقة .

ولكنه لم يذهب مباشرة الى غرفة الملابس . فقد كان يريد ان يعرف اين ذهب اليوناني الماكر .

ورآه في القاعة الكبيرة الموجودة في المدخل . كان واقفا بجوار احد الاعمدة يتحدث مع سيدة وصلت لتوها ، وكانت السيدة هي ميراي . ودار بوارو دون ان يلحظ احد حول القاعة حتى وصل الى الناحية الاخرى من العمود . ودون ان يلحظه الاثنان اللذان كانا يتحدثان بانفعال ، او على الاصح كانت الراقصة تتحدث ، بينما يرد بابوبولوس بين الحين والحين بكلمة قصيرة ، وكثير من الاشارات ، كانت الراقصة تقول :

ـ يجب ان يتحقق الوقت الكافي . ولو فعلت فسأحصل على المال .

وقال اليوناني وهو يهز كتفه :

ـ الانتظار سيجعل الموقف حرجا .

وتوسلت اليه قائلة :

ـ فقط لفترة قصيرة . ولكن يجب ان تنتظر اسبوعا او عشرة ايام . كل ما اطلبه ، ولنطمئن الى ان المال سيأتي .

ودار بابوبولوس سواء عن قصد او دون قصد على مقربة منه ووجهه وقال :

اذهب يا مسيو بابوبولوس . لقد طلب ايجب عندك . هل تسمع

لي بان اصحب الانسة زيا لجولة في الحديقة ، ثم اتحنى لميراي ، وقال :

ـ مساء الخير يا آنسة ، آسف اذ لم ارك من قبل .

وتلفت الراقصة تحيته بصبر نافد ، كان من الواضح انها استاءت من قطع حديثها مع بابوبولوس ، ولاحظ بوارو ذلك ، فانسحب بعد ان اذن له بابوبولوس بما اراد .

وذهب فأحضر معطف زيا ، وخرجا يتمشيان في الحديقة وقالت زيا :

ـ هذا هو المكان الذي ترتكب فيه حوادث الانتحار .

فهز بوارو كتفه وقال :

ـ هكذا يقولون . أليس الرجال اغبياء يا آنسة ؟ انه لشيء رائع ان نأكل ونشرب ونتنفس الهواء النقي . ولكن بعض الناس يبلغ بهم الغباء ان يضحوا بكل هذا ببساطة ، لمجرد انهم لا يملكون المال ، او بسبب الحب . لكم يسبب الحب من متاعب . أليس كذلك ؟..

وضحكت زيا ، فقال لها بوارو وهو يلوح بسبابته بشدة :

ـ يجب الا تسخري من الحب يا آنسة ، فانت صغيرة وجميلة .

فردت زيا :

ـ ليس تماما . فانت تنسى انني في الثالثة والثلاثين يا مسيو بوارو، انني ضريحة معك . فلا فائدة من الكذب ، وكما قلت لوالدي . لقد مرت سبعة عشر عاما منذ قدمت لنا يد المساعدة في باريس تلك المرة .

فقال بوارو بتهمة :

ـ حينما انظر اليك يبدو وكان لم تمض على ذلك الا فترة بسيطة ، كنت عندئذ كما انت الان ، الا انك كنت انحف قليلا ، واكثر شحوبا ، واكثر جدية ، كنت في السادسة عشرة . وقد انتهيت من دراستك ، لم تعودي للمدة صغيرة ، ولم تصيري امرأة ناضجة ، بل كنت جذابة ساحرة . يا آنسة زيا . وكان بعضهم يظن ذلك ايضا .

فقالت زيا :

ـ في السادسة عشرة تكون الفتاة بسيطة وطائشة .

فرد بوارو بقوله :

ـ ربما كان هذا صحيحا ، ففي سن السادسة عشرة يكون المرء سريع التصديق لكل ما يقال ، أليس كذلك ؟..

واذا كان بوارو قد رأى النظرة الجانبية التي رمقته بها الفتاة ، فانه تظاهر بغير ذلك . بل استطرد بقول بلهجة حالمة :

ـ لقد كانت مسألة غريبة تلك التي حدثت ، ولم يقدر لوالدك ان يعرف ما حدث تماما .

ـ اصحيح ما تقول ؟..

ـ حين سألني عن التفاصيل قلت له : «دون اثارة اية فضائح لقد

اعدت اليك ما فقدته ، فلا تسأل اي سؤال» . اتعرفين يا آنسة لماذا قلت هذا ؟

فردت الفتاة بهدوء :

ـ ليست لدي ادنى فكرة .

ـ كان هذا لاني كنت احمل في قلبي شيئا لفتاة شاحبة نحيلة جادة .

وصاحت زبا بغضب :

ـ انني لا افهم عم تتحدث ..

ـ حقا يا آنسة ؟ هل نسيت انتونيو بيريرو ؟

وسمع شهقتها ، واستطرد يقول :

ـ لقد حضر ليعمل مساعدا في محل والدك ، ولكن هذا الوضع لم يكن ليتيح له الفرصة ليأخذ ما يريد ، اذن فليبطلـــع الى ابنة صاحب العمل ، اليس كذلك ؟ خاصة اذا كان شابا وسيما طلق اللسان ، ولما كانا لا يستطيعان تبادل الحب طول الوقت ، فقد كانا يتحدثان عن اهتماماتهما المشتركة ، مثل ذلك الشيء الرائع الذي كان في حوزة مسيو بابوبولوس في تلك الغترة ، ولما كان الشباب كما تقولين يا آنسة يتميز بالطيش وسرعة التصديق ، كان من السهل تصديقه واعطاؤه الفرصة ليلقي نظرة على ذلك الشيء ، واخباره بالمكان الذي يحفظ فيه ، بعد ذلك حين اختفى ، وحين وقعت الكارثة التي يصعب تصديقها ، كانت الفتاة الصغيرة المسكينة في مأزق عصيب ، كانت خائفة ، اتكلم ، ام تسكت ؟.. بعدئذ حضر ذلك الشخص الرائع المدعو هيركيول بوارو ، لا بد ان الامر كان معجزة ، وعاد الارث دون اية اسئلة محرجة .

واستدارت زبا نحوه قائلة بشراسة :

ـ اذن كنت تعرف طول الوقت من الذي اخبرك ؟ اهو انتونيو ؟

فهز بوارو راسه نفيا ، ورد بهدوء :

ـ الم يقل لي احد شيئا ، لقد خمنت ، وصدق حدسي ، اليس كذلك يا آنسة ؟ فكما ترين ما لم يكن الشخص صادقا في تخمينه فلا فائدة من عمله كمخبر .

وسارت الفتاة الى جانبه فترة وهي صامتة ، ثم قالت بصوت قاس:

ـ حسنا .. ماذا تنوي ان تفعل ـ ازمع اطلاع والدي على الامر .

ولكن بوارو رد بحدة :

ـ كلا ، بكل تاكيد .

ونظرت اليه في دهشة :

ـ اذن فانت تريد شيئا مني أ..

ـ اريد مساعدتك يا آنسة ..

ـ ولماذا تعتقد اني ساساعدك ؟..

ـ انني لا اعتقد شيئا .. انني فقط آمل .

ـ واذا لم اساعدك ، ترى هل ستخبر والدي ؟..

ـ كلا ، كلا ، انزعي من راسك هذه الفكرة يا آنسة . فانا لست مبتزا ، اسلط سرك على راسك فاهددك به .

ـ واذا رفضت ان اساعدك ...

ـ اذا رفضت ، فليكن ...

ـ اذن لماذا ...

وسكتت ..

ـ اسمعي ، سأقول لك لماذا ، ان النساء يا آنسة كريمات . فاذا كان في مقدورهن ان يؤدين خدمة الى شخص سبق ان ادى لهن خدمة، فسيفعلن ، وقد كنت كريما معك يا آنسة ذات مرة ، وحين كان في امكاني ان اتكلم امسكت لساني .

وتلت ذلك فترة صمت ، ثم قالت الفتاة :

ـ لقد اخبرك والدي ببعض المعلومات في ذلك اليوم .

ـ لقد كان كرما منه ان يفعل .

وقالت زبا متمهلة :

ـ لا اعتقد ان لدي ما اضيفه .

وسواء اكان هذا مخيبا لامال بوارو ام لا ، فانه لم يظهر شيئا . ولم تتغير ملامحه اطلاقا ، بل قال بمرح :

ـ اذن فلننتقل الى موضوع اخر .

وجعل يثرثر بمرح ، ولكن الفتاة كانت مشتتة الذهـــن . وجاءت اجاباتها بطريقة آلية ، وعندما اقتربنا من الكازينو مرة اخرى . كانت قد اتخذت قرارا ، وقالت :

ـ مسيو بوارو .

ـ نعم يا آنسة .

ـ اود ان اساعدك اذا كان هذا في استطاعتي .

ـ انه لكرم منك ان تفعلي يا آنسة ، كرم عظيم .

وتلت ذلك فترة صمت اخرى ، ولم يتعجلها بوارو في الحديث ، كان راضيا بالانتظار ، وبمنحها حرية اختيار الوقت الذي تتكلم فيه .

وقالت زبا :

ـ ورغم كل شيء ـ لماذا لا اخبرك ؟ ان والدي شديد الحذر . دائما شديد الحذر في كل ما يقول ، ولكني اعلم ان هذا ليس ضروريا معك . فقد اخبرتنا بانك تبحث عن القاتل ، وان امر المجوهرات لا يعنيك ، وانا اصدقك ، لقد اصبت حين خمنت اننا جئنا الى نيس من اجل احجـار الياقوت ، فقد سلمت هنا طبقا لخطة موضوعة ، وهي الان في حوزة ابي، وقد الملح لك من قبل عن شخصية العميل الغامض ..

فسأل بوارو هامسا :

ـ الماركيز أ..
ـ نعم .. الماركيز ..
ـ هل سبق لك ان رايت الماركيز يا آنسة زيا أ..
فردت الفتاة :
ـ مرة واحدة ..
ثم اضافت :
ـ ولكني لم اره جيدا ، اذ كان ذلك من خلال ثقب المفتاح .
فقال بوارو :
ـ ان هذا يبدو صعبا ، ولكنك على اية حال رايتـــه ، اتستطيعين التعرف عليه أ..
فهزت راسها نفيا ، وقالت :
ـ لقد كان يرتدي قناعا .
ـ اشاب هو ام متقدم في السن أ..
ـ كان شعره ابيض ، قد يكون ذلك شعرا مستعارا ، وقد لا يكون ، ولكنه كان يناسبه تماما ، وان كنت اظن انه ليس عجوزا ، كانت مشيته تدل على شبابه ، وكذلك كان صوته ...
ـ صوته أ.. اتستطيعين التعرف عليه مرة اخرى يا آنسة أ..
ـ ربما ...
ـ هل كنت مهتمة به أ فكان هذا الاهتمام هو ما حملك على النظر من خلال ثقب المفتاح أ..
وأومأت زيا برأسها قائلة :
ـ نعم ، نعم ، كنت اشعر بالفضول ، فقد سمعت عنه الكثير لم يكن لصا عاديا ، بل كان يبدو كشخصية تاريخية او خيالية .
وقال بوارو وهو مستغرق في افكاره :
ـ نعم .. نعم .. ربما كان كذلك .
وردت زيا :
ـ ولكن ليس هذا ما اردت ان اقضي اليك به ، انما اردت ان اخبرك بحقيقة اخرى اعتقد انها قد تساعدك .
فقال لها بوارو مشجعا :
ـ نعم أ..
ـ لقد سلمت احجار الياقوت الى ابي هنا في نيس ولم ار الشخص الذي سلمها ولكنه ...
ـ نعم أ..
ـ شيء واحد عرفته ، لقد كانت امراة .

***

قالت لينوكس : هالو كاترين .. اريد ان اقول ما بالك أ..
فردت كاترين وهي تمسك بخطاب من مس فانتز وتدفعه الى داخل حقيبتها :
ـ لا شيء ..
فقالت لينوكس :
ـ لقد كان شكلك يبدو غريبا ، اقول وارجو الا يزعجك كلامي هذا اني قد اتصلت بصديقك المحتر وطلبت منه ان يقبل دعوتنا له على الغداء في نيس . وقلت له انك تودين رؤيته ، اذ ظننت انه لن يحضر من اجلي.
فسالتها كاترين :
ـ وهل اردت رؤيته أ..
فردت لينوكس :
ـ نعم .. فقد وقعت في حبه. فلم ار في حياتي رجلا عيناه خضراوان كعيني القط مثله .
وقالت كاترين :
ـ لا بأس ..
كانت تتحدث وهي شاردة .. فقد كانت الايام القليلة الماضية بمثابة اختبار لقوة تحملها ، وكان القاء القبض على دبرك كنرنج موضوع السامة، كما كانت جريمة القطار الازرق مثار كل حديث .
وقالت لينوكس :
ـ لقد طلبت السيارة ، وكذبت على امي ، وان كنت لا اذكر للاسف ماذا قلت لها بالضبط . ولكن هذا لا يهم فهي لا تتذكر اي شيء ، ولو انها عرفت بهدفنا لارادت الذهاب معنا لتستغبل مسيو بوارو .
ووصلت الفتاتان الى النجرسكو لتجدا بوارو في انتظارهما .
وكان هو مهذبا كعادته فاخذ يمطرهما بالمجاملات حتى استغرقتا في الضحك ، ورغم هذا كله فان الغداء لم يمض في جو مرح ، اذ كانت كاترين شاردة مشتتة ، وكانت لينوكس تتفجر في الحديث لم تتوقف ، وبينما كانوا يجلسون في الشرفة يحتسون القهوة ، سالت بوارو فجاة :
ـ كيف تسير الامور أ.. انت تعلم ما الذي اعنيه أ..
فهز كتفيه وقال :
ـ ان كل شيء ياخذ مجراه .
ـ وهل تترك كل شيء يسير في مجراه أ..
فنظر اليها بحزن ، وقال :
ـ انك صغيرة يا آنسة ، ولكن هناك ثلاثة اشياء لا يمكن ان نتعجلها

... الله والطبيعة والعجائز .

وصاحت لينوكس :

ـ كلام فارغ . انك لست عجوزا .

ـ جميل منك ان تقولي هذا .

وقالت لينوكس :

ـ ها هو ماجور نايتون . انه مع مستر فان اولدين . هناك شيء اود ان اسأل عنه ماجور نايتون . عن اذنكما دقيقة .

والآن وقد تركا وخدهما مال بوارو وهمس الى كاترين :

ـ انك مشتبهة يا آنسة . فافكارك بعيدة . بعيدة . أليس كذلك ؟

ـ لقد وصلت بأفكاري الى انجلترا لا ابعد منها .

وبهاتف مفاجيء اخذت الخطاب الذي تلقته ذلك الصباح من حقيبتها وناولته الى بوارو ليقرأه . وقالت :

ـ انها اول كلمات تصلني من الماضي . وقد المتني بطريقة او بأخرى.

فقرأ الخطاب ثم اعاده اليها وهو يسأل :

ـ اذن فستعودين الى سانت ماري مبد ؟..

فردت كاترين بقولها :

ـ كلا . لن اعود . ولماذا اعود ؟..

ـ عفوا . لقد اخطأت . عن اذنك دقيقة واحدة .

ومضى الى حيث كانت لينوكس تاميلين تتحدث مع فان اولدين ونايتون . وكان الامريكي يبدو عجوزا محطما . واكتفى بأن حيا بوارو بايماءة مقتضبة . وعندما التفت ليجيب على ملاحظة ادلتها لينوكس ، جذب بوارو نايتون جانبا وقال :

ـ ان مستر فان اولدين يبدو مريضا .

فساله نايتون :

ـ وهل في هذا شيء غريب ؟ فقد طعنت فضيحة الفيض على دربك كترنح على كل شيء . حتى انه ليأسف الان اذا طلب منك ان تكتشف الحقيقة .

فقال بوارو :

ـ يجب ان يعود الى انجلترا .

ـ سنعود بعد غد .

ـ هذا نبأ سار ...

وتردد . ثم نظر عبر الشرفة الى حيث كانت تجلس كاترين وهمس قائلا :

ـ وددت لو انك اخبرت مس جراي بهذا .

ـ اخبرتها بماذا ؟..

ـ بأنك .. اعني ان مستر فان اولدين سيعود الى انكلترا . وبدت

الحيرة على وجه نايتون ولكنه ذهب الى كاترين وبدا بوارو راضيا عن هذه الخطوة ، وقفل راجعا ، فانضم الى لينوكس والمليونير الامريكي ، وبعد فترة انضموا الى الاخرين ، ودار الحديث عاما بضع دقائق ، ثم استأذن المليونير وسكرتيره ، واستعد بوارو ايضا للانصراف ، وقال :

ـ شكرا على كرمكما يا آنستين ، فقد كان غداء رائعا ، وكنت في اشد الحاجة اليه .

ثم نفخ صدره واشار اليه بابهامه :

ـ اشعر الان كما لو كنت اسدا ـ عملاقا ، آه يا آنسة كاترين ، انك لم تريني كما يجب ، لقد رأيت هيركيول بوارو الرقيق الهادىء ولكن هناك هيركيول بوارو اخر ، سأذهب الان لارغي وازبد ، وأهدر واتوعد ، وابعث بالرعب الى قلوب اولئك الذين سأتحدث اليهم .

ونظر اليهما باعتداد ، وبدا وقع كلامه عليهما ، رغم ان لينوكس كانت تعض شفتها السفلى ، ولاح بعض الشك على وجه كاترين .

وقال بوارو بجدية :

ـ سأفعل ، نعم ، وسأنجح .

وكان قد ابتعد بضع خطوات حين وصل صوت كاترين وهي تقول :

ـ مسيو بوارو ، اود ان اقول لك شيئا ، اعتقد انك كنت على صواب فيما قلت ، سأعود الى انجلترا بسرعة .

وحدق فيها بوارو فاحمر وجهها ، وقال بجدية :

ـ لقد فهمت ..

فقالت كاترين :

ـ انني لا اصدق ..

فرد عليها بهدوء :

ـ انني اعلم اكثر مما تظنين يا آنسة .

وتركها وعلى شفتيه ابتسامة غريبة ، ثم ركب سيارة ومضى الى اتشيب .

كان هيبوليت خادم الكونت دي لاروش ذو الوجه الجامد مشغولا بتلميع طاقم الكريستال الخاص بسيده في فيللا ماربنا ، وكان الكونت دي لاروش نفسه ، قد ذهب الى مونت كارلو ليقضي اليوم ، وحدث ان نظر هيبوليت من النافذة فاكتشف زائرا يسير بسرعة متجها الى باب الردهة ، ذا طابع غير عادي ، لم يستطع هيبوليت ان يحدد صفته رغم خبرته ، فنادى زوجته ماري التي كانت مشغولة في المطبخ ولفت نظرها الى الزائر الغريب ، فتساءلت ماري بقلق :

ـ ايكون البوليس مرة اخرى ؟..

فرد هيبوليت :

ـ انظري بنفسك .

ونظرت ماري وقالت :

ـ كلا ، مؤكد ليس من البوليس ، الحمد لله .

ـ في الواقع انهم لم يزعجونا كثيرا . ولولا تحذير سيدي الكونت لما استطعت ابدا ان اخمن شخصية الشخص الغريب الذي كان في محل بيع المشروبات .

ودق جرس الباب ، ومضى هيبوليت يفتح ، وقال :

ـ ان سيدي الكونت ليس موجودا للاسف .

فقال الرجل القصير ذو الشارب الكثير بهدوء :

ـ اعلم هذا ، انت هيبوليت فلافيل .. اليس كذلك أ..

ـ نعم يا سيدي ، هذا هو اسمي .

ـ وزوجتك تدعى ماري فلافيل أ..

ـ نعم يا سيدي ولكن ...

ـ انني ارغب في ان اراكما ..

وخطا الغريب الى داخل الردهة ، وقال :

ـ لا شك ان زوجتك موجودة في المطبخ ، سأذهب الى هناك .

وقبل ان يفيق هيبوليت من دهشته كان الاخر قد دخل من الباب المؤدي الى ممر الى المطبخ حيث وقفت ماري تنظر اليه في دهشة بالغة، وقد فغرت فاها .

وقال الغريب وهو يجلس على مقعد خشبي :

ـ انا هيركيول بوارو ..

ـ من أ..

ـ الا تعرف من هو هيركيول بوارو أ..

فقال هيبوليت :

ـ لم اسمع به اطلاقا .

ـ اسمح لي ان اقول انهم لم يحسنوا تعليمك ، انه اسم واحد من اعظم الرجال في هذا العالم .

وتنهد وعقد ذراعيه على صدره .

كان هيبوليت وماري ينظران اليه بقلق . وكانا لا يدريان ما يمكن ان يفعلاه مع مثل هذا الزائر غير المتوقع ، الغريب الاطوار . وتمتم هيبوليت بطريقة آلية :

ـ هل يرغب سيدي أ..

ـ ارغب ان اعرف لماذا كذبت على البوليس أ..

وصاح هيبوليت :

ـ سيدي .. انا كذبت على البوليس ؟ لم افعل هذا ابدا .

فهز مسيو بوارو راسه وقال :

ـ انك مخطىء .. لقد فعلتها في مناسبات عدة . دعني ارى . نعم

اخرج مفكرة صغيرة من جيبه ورجع اليها ، ثم قال :

ـ نعم ، لقد كذبت على البوليس في سبع مناسبات على الاقل ، سأعددها لك .

وبصوت هادىء وبلا انفعال جعل يذكر المناسبات السبع .

وبوغت هيبوليت ، واستطرد بوارو يقول :

ـ ولكني لا ارغب في الحديث عما مضى ، ولكن لا تظن يا صديقي العزيز انك ذكي ، واصل الان الى كذبة معينة يهمني امرها ... عندما قدرت ان الكونت دي لاروش عاد الى هذه الفيلا صباح يوم ١٤ يناير . ـ ولكن هذا لم يكن كذبا ، لقد كانت الحقيقة اذ عاد سيدي الى هنا صباح الثلاثاء الرابع عشر ، اليس كذلك يا ماري أ..

وردت ماري بلهفة :

ـ نعم ، نعم ، هذا صحيح ، اذكره تماما . .

وقال بوارو :

ـ وماذا قدمت له من افطار في ذلك اليوم أ..

ـ انا ..؟

وسكتت ماري في محاولة لتجمع شتات فكرها ، وقال بوارو :

ـ شيء غريب ان يذكر المرء شيئا وينسى شيئا اخر .

ثم مال الى الامام ، وضرب المنضدة بقبضة يده ، وقد استشاطت عيناه غضبا :

ـ نعم ، نعم ، ان الامر كما تقول ، انك تكذب وتظن ان احدا لا يعلم، ولكن اثنين فقط يعلمان ، نعم ، اثنين ، واحد هو الله .

ورفع يده الى السماء ثم اعتدل في كرسيه واغمض عينيه وقال بهدوء:

ـ والثاني هو هيركيول بوارو .

ـ اؤكد لك يا سيدي انك مخطىء تماما ، فان سيدي الكونت قد غادر باريس مساء الاثنين ...

فقال بوارو :

ـ هذا صحيح ، بالقطار السريع ، ولا اعلم اين قطع رحلته ، وربما كنت انت ايضا لا تعلم هذا ، ولكن ما اعلمه تماما هو انه عاد الى هنا صباح الاربعاء لا صباح الثلاثاء .

وقالت ماري ببلاهة :

ـ لقد اخطأت يا سيدي .

فنهض بوارو واقفا ، وقال :

ـ اذن يجب ان تأخذ العدالة مجراها ، هذا مؤسف .

وتساءلت ماري بحدة :

ـ ماذا تعني يا سيدي أ..

ـ سيلقى القبض عليكما بتهمة الاشتراك في قتل مسز كنرنج، السيدة

الانجليزية التي لقيت مصرعها .

ـ قتل ؟!

وغاض الدم في وجه هيبوليت ، وارتعشت ركبتاه ، بينما انفجرت ماري في البكاء .

ـ ولكن هذا مستحيل ، مستحيل ، كنت اظن ..

ـ ما دمت مصمما على قصتك فليس لدي ما اقوله . واعتقد انكما في غاية الغباء .

وكان يستدير ليتجه ناحية الباب ، حين سمع صوتا مرتعشا يقول :

ـ سيدي ، سيدي . لحظة واحدة . لم تكن لدي فكرة عن الموضوع اذ كنت اعتقد ان الامر منعلق بسيدة ، فقد لاحينا بعض المتاعب من البوليس بسبب سيدات من قبل، ولكن ان يكون في الامر جريمة قتل... فهذا مختلف تماما .

فصاح بوارو :

ـ لقد نفد صبري .

ثم استدار نحوهما وهو يلوح بقبعته امام وجه هيبوليت ويقول :

ـ هل سابقى هنا طول اليوم اجادل زوجا من البلهاء ؟.. انني اريد الحقيقة فاذا لم تقلها لي فحذار ، وللمرة الاخيرة اسالك ، عندما عاد الكونت الى فيللا ماربنا، هل كان ذلك صباح الثلاثاء او صباح الاربعاء؟..

فقال الرجل وهو يلهث :

ـ الاربعاء .

ووقفت خلفه ماري وهي تومىء براسها مؤيدة كلامه .

فقال بوارو بهدوء :

ـ انكما عاقلان ، لقد كنتما على وشك مواجهة متاعب خطيرة .

وغادر فيللا ماربنا وهو يبتسم لنفسه ويقول :

ـ ها قد تاكد حدسي الاول .. نرى الثاني .

كانت الساعة السادسة حين وصلت ميراي بطاقة تحمل اسم مسيو هيركيول بوارو ، وحدقت فيها لحظة ثم اومات براسها ، وعندما دخل بوارو وجدها تدرع الغرفة جيئة وذهابا وهي كالمحمومة ، ثم استدارت اليه بغضب وصاحت :

ـ حسنا ، ماذا تريد الان .. الم تعذبوني بما يكفي ؟ كلكم .. الم تدفعوا بي الى خيانة دبرك المسكين ؟ ماذا تريد اكثر من هذا ؟

ـ سؤال واحد صغير يا آنسة ، بعد ان غادر القطار محطة ليون ودخلت مقصورة مسز كترنج .

ـ ماذا تقول ؟..

فنظر اليها بوارو نظرة عتاب وبدا العبارة مرة اخرى :

ـ اقول عندما دخلت مقصورة مسز كترنج ...؟

ـ لم افعل ابدا ..

ـ وجدتها ...؟

ـ لم افعل ابدا ..

ـ قد ماتت ؟..

واستدار نحوها في غضب هائل واخذ يصيح بطريقة جعلتها تجفل :

ـ هل ستكذبين علي ؟ اني اقول لك اني اعلم ما حدث تماما كما لو كنت موجودا ، لقد دخلت المقصورة ووجدتها ميتة . اقول لك اني اعلم هذا . اما ان تكذبي علي فهذا امر خطير ، حذار يا آنسة ميراي .

وارتعشت عيناها تحت وقع نظرته . واخذت تقول :

ـ انني ... انني لم ...

وتوقفت . ومضى بوارو يسال :

ـ هناك شيء واحد فقط اريد معرفته . ترى هل وجـــدت ما كنت تبحثين عنه ام ...؟

ـ ام ماذا ؟..

ـ ام سبقك اليه شخص اخر ؟..

وصاحت الراقصة :

ـ لن اجيب عن اسئلة اخرى ..

وانتزعت نفسها بعيدا عن قبضته ، والقت بنفسها على الارض واخذت تبكي وتصيح ، ودخلت الخادمة مذعورة .

ولكن هيركيول بوارو هز كتفيه ورفع حاجبيه ثم غادر الغرفة فـــي هـــدوء .

كان يبدو راضيا .

***

مستر آروتر يتناول الغداء

اخذ مستر جوزيف آروتر يتناول غداءه بشهية كبيرة . رشف رشفة طويلة من كاسه ، ثم وضعها ومسح فمه . وابتسم وهو ينظر الى مضيفه مسيو هيركيول بوارو .

وقال مستر آروتر :

ـ لقد تحدثت عن مهمة صغيرة يا مسيو بوارو . وسعدني ان اقدم لك اي مساعدة ما دام ذلك في استطاعتي .

فقال بوارو :

ـ كم هو لطيف منك هذا ، لقد قلت لنفسي .. اذا كنت تريد ان تعرف اي شيء عن مهنة التمثيل فهناك شخص واحد فقط يعرف عنها كل شيء ، وهو صديقي القديم مستر جوزيف آرونز .

فرد مستر آرونز بارتياح يقوله :

ـ لم يخب ظنك ، فسواء كان الامر يتعلق بالماضي ام الحاضر ام المستقبل ، فان جو آرونز يعرف كل ما تريد .

ـ تماما ، والان اريد ان اسالك يا مسيو آرونز ، ما الذي تعرفه عن شابة تدعى كيد ؟..

ـ كيد ؟.. كيتي كيد ؟

ـ نعم .. كيتي كيد ..

ـ لقد كانت انيقة، كما كانت مغنية ورافصة، كما تقوم بادوار الرجال، اهذه هي التي تعنيها ؟

ـ نعم .. هي .

ـ لقد كانت انيقة جدا ، كما كانت تكسب كثيرا ، ولم تتعطل عن العمل ابدا ، وكانت اغلب ما تقوم به ادوار الرجال . وكانت تجيد التمثيل.

فقال بوارو :

ـ هذا ما سمعته ، ولكنها لم تظهر كثيرا في الفترة الاخيرة ، اليس كذلك ؟..

ـ كلا ، فقد اختفت فجاة ، وذهبت الى فرنسا ، وصادفت رجلا ثريا هناك ، وتركت المسرح الى الابد على ما اظن .

ـ ومتى حدث ذلك ؟..

ـ دعني اتذكر . منذ ثلاث سنوات ، وقد كان اختفاؤها خسارة حقيقية .

ـ الا تعرف اسم الرجل الذي صادفته في باريس ؟..

ـ كان رجلا ثريا ، كونت او ماركيز . اعتقد انه كان ماركيزا .

ـ الم تعلم عنها شيئا بعد ذلك ؟..

ـ كلا ، ولم ارها حتى ولو بالصدفة ، واغلب الظن انها الان تقوم بجولة في بلاد العالم ما دامت قد اصبحت ماركيزة ..

فقال بوارو وهو مستغرق في التفكير :

ـ فهمت ..

فرد الاخر :

ـ يؤسفني الا استطيع ان اخبرك باكثر من هذا يا مسيو بوارو ، فلكم اود ان اقدم لك اية خدمة ، فقد ادين لي خدمة ذات مرة .

ـ ولكنك ايضا ادين لي خدمة .

فرد مستر آرونز :

ـ انها في مجموعها لا بأس بها . واذا نظرنا الى الامر في مجموعه

فالاحوال تسير على ما يرام الان ، ولكن يجب على المرء ان يفتح عينيه جيدا ، فهو لا يعلم ما الذي يريده الجمهور في المرة القادمة .

وقال بوارو :

ـ لقد تقدم الرقص كثيرا في السنوات القليلة الماضية .

ـ انني لا اجد شيئا يستحق المشاهدة في البالية الروسي ، ولكن الناس يحبونه ، انه اعلى من مستواي .

ـ لقد التقيت باحدى الراقصات في الريفييرا ، الانسة ميراي .

ـ ميراي ! انها تتميز بالحذر والمال يجري من حولها ، وهي تجيد الرقص ، لقد رايتها وانا لا ادري بما اقول ، ورغم اني لم احتك بها ابدا ، الا انني اسمع ان التعامل معها مخيف ، فهي متقلبة الاحوال حادة المزاج.

ـ نعم ، نعم ، استطيع ان اتخيل هذا .

ـ المزاج ، المزاج ، هذا ما يرددونه دائما ، لقد كانت زوجتي راقصة قبل ان نتزوج ، ولكني احمد الله انها لم تحتد علي ابدا .

فما من رجل يحب العراك في المنزل يا مسيو بوارو .

ـ انني اوافقك يا صديقي ، فليس هذا مكانه .

وقال مستر آرونز :

ـ يجب ان تكون المراة هادئة عطوفة وطباخة ماهرة .

وسأل مسيو بوارو :

ـ وهل ظهرت ميراي منذ وقت طويل ؟..

فرد مستر آرونز :

ـ منذ حوالي سنتين ونصف فقط ، وقد قدمها دوق فرنسي ، وسمعت الان انها صديقة لرئيس وزراء اليونان السابق ، فهذا النوع من الناس هم الذين يدفعون كثيرا .

وقال بوارو :

ـ هذه اخبار جديدة بالنسبة لي .

ـ انها ليست من النوع الذي يحتمل الحياة الخشنة ، ويقولون ان كترنج الصغير قتل زوجته بسببها ، ولكني لا اعلم على وجه التحديد ، على اي حال هو الان في السجن ، وكان عليها ان ترعى نفسها ، وقد اثبتت ذكاءها في ذلك . ويقولون ايضا انها تتحلى ببياقوتة في حجم بيضة الحمامة ، وان كنت لم ار في حياتي بيضة حمامة ، ولكن هذا هو وصف الذي يرد دائما في الكتب .

وقال بوارو :

ـ باقوتة في حجم بيضة الحمامة ؟!

واتسعت عيناه الخضراوان كعيني القط :

ـ انه لشيء ممتع .

فرد مستر آرونز :

ـ لقد سمعت هذا من صديق ، ولكن حسب معلوماتي ، ربما كانت زجاجا ملونا ، فكل النساء سواء ، ولا يكففن عن سرد القصص الطويلة عن مجوهراتهن ، وتقول ميراي في كل مكان ان هذه الياقوتة قد حلت عليها اللعنة ، وتطلق عليها اسم «قلب من نار» .

فقال بوارو :

ـ اذا لم تخني الذاكرة ، فالياقوتة التي تدعى «قلب من نار» ، تقع في منتصف عقد .

ـ الم اقل لك انه لا حد للاكاذيب التي تروبها النساء عن مجوهراتهن؟. فهذه الياقوتة وحيدة وتتدلى من سلسلة من البلاتين حول عنقها ، ولكن كما قلت لك من قبل اني اراهن عشرة الى واحد انها قطعة من الزجاج الملون .

فقال بوارو برقة :

ـ كلا .. كلا .. يخيل الي انها ليست قطعة من الزجاج الملون .

***

كاترين وبوارو يطابقان معلوماتهما

قال بوارو فجأة :

ـ لقد تغيرت يا آنسة .

كان يجلس هو وكاترين متقابلين على مائدة صغيرة في فندق سانوي، واستطرد يقول :

ـ نعم ، لقد تغيرت .

ـ في اي شيء ؟..

ـ يا آنسة ، هذه الاشياء يصعب التعبير عنها .

ـ لقد كبرت ..

ـ نعم ، لقد كبرت ، وانا لا اعني بهذا ان التجاعيد بدأت تظهر في وجهك ، ولكن عندما رايتك اول مرة ، كنت تقفين متفرجة على الحياة ، وكنت تبدين هادئة مستمتعة كمن يرقب رواية تقدم امامه .

ـ والان ؟..

ـ الان .. انت لا ترقبين المشاهد . وقد يكون ما سأقوله مضحكا ، ولكن تبدو عليك نظرة الحرص التي تبدو على وجه مقاتل يقوم بلعبة صعبة .

فقالت كاترين وهي تبتسم :

ـ ان سيدتي العجوز صعبة المراس احيانا ، ولكني لا ادخل في مجادلات معها ، ويجب ان تحضر يوما وتراها يا مسيو بوارو ، فاني اعتقد انك واحد من الناس الذين سيحبون جراتها وروحها .

ونلت ذلك فترة صمت حتى فرغ الجرسون من تقديم الدجاج ، وعندما انصرف ، قال بوارو :

ـ هل سمعتني اتحدث عن صديقي هاستنجز ذلك الذي قال عني اني قوقعة آدمية ؟.. حسنا يا آنستي لقد وجدت ندا لي في شخصك ، فانت اكثر وحدة مني ..

فقالت كاترين ببساطة :

ـ كلام فارغ .

ـ ان هيركيول بوارو لا يتكلم كلاما فارغا ابدا ، فالامر كما قلت .

ونلت ذلك فترة صمت اخرى ، وقاطعها بوارو بقوله :

ـ هل رايت ايا من اصدقائنا في الريفييرا منذ عودتك يا آنسة ؟

ـ لقد رايت ميجور نايتون .

ـ آه .. حقا ؟

شيء ما في عيني بوارو المتألقتين جعل كاترين تغض بصرها :

ـ اذن فمستر فان اولدين في لندن ؟

ـ نعم ..

ـ اذن يجب ان اراه غدا او بعد غد .

ـ الديك اخبار له ؟..

ـ لا الذي يجعلك تظنين هذا ؟..

ـ لقد كنت اسأل ، هذا كل ما في الامر .

ونظر بوارو اليها بعينيه اللتين كانتا تلمعان .

ـ والان يا آنسة ، اشعر ان لديك الكثير تريدين الاستفسار عنه . ولم لا ؟.. اليست جريمة القطار الازرق هي قضيتنا البوليسية ؟..

ـ نعم ، هناك بعض الاشياء اود ان اسألك عنها .

ـ حسنا ..

ورفعت كاترين راسها فجأة وسألته بحزم :

ـ ما الذي كنت تفعله في باريس يا مسيو بوارو ؟..

وابتسم بوارو ابتسامة خفيفة وقال :

ـ لقد قمت بزيارة السفارة الروسية .

ـ آه ..

ـ هذا لا يضيف الى معلوماتك جديدا . ولكني لن اكون قوقعة بشرية . سأكشف لك عن اوراقي ، وهو ما لا تفعله القواقع ابدا ، انت تشكين في اني لست مقتنعا تماما بالاتهام الموجه ضد دبرك كتريج . اليس كذلك ؟..

ـ هذا ما كنت اعجب له . فقد اعتقدت ونحن في نيس انك قد

THE GHOST92

اتهمت من هذه القضية .

ـ انك لا تقولين كل ما تعنيه يا آنسة ، ولكني اصرح بكل شيء ، لقد كنت انا ، او على الاصح تصريحاتي ، هي التي وضعت دبرك كترنج حيث هو الان ، ولولاي لكان المجلق يحاول الصاق التهمة بالكونت دي لاروش بلا فائدة ، والان يا آنسة انني لست نادما على ما فعلت ، وكان علي واجب واحد فقط هو ان اكتشف الحقيقة ، لقد قادني هذا الطريق مباشرة الى دبرك كترنج ، ولكن هل انتهى هناك ؟ ان البوليس يقول نعم .. ولكن هيركيول بوارو ـ لست مقتنعا .

وتوقف فجأة عن الكلام ، ثم قال :

ـ اخبريني يا آنسة .. الم تسمعي عن الانسة ليتوكس اخيرا ؟

ـ لقد وصلتني منها رسالة قصيرة جدا ، فقد ضايقتها على ما اظن عودتي الى انجلترا .

وأومأ بوارو :

ـ لقد كان لي حديث معها في الليلة التي القي فيها القبض على مستر كترنج ، وقد كان حديثا ممتعا لاكثر من سبب .

ومرة اخرى صمت ، ولم تقطع كاترين سلسلة افكاره ، واخيرا تكلم:

ـ يا آنسة ، اشعر الان اني اقترب من موضوع حساس ، ولكني سأخبرك ، فهناك شخص يحب مسيو كترنج ـ رديني الى الصواب اذا اخطأت ـ ومن اجلها ـ نعم من اجلها اتمنى ان اكون انا على صواب ، ويكون البوليس هو المخطيء . اتعلمين من هو هذا الشخص ؟

ونلت ذلك فترة صمت ، ثم قالت كاترين :

ـ نعم ، اعتقد اني اعلم .

ومال بوارو اليها وقال :

ـ انني لست مقتنعا يا آنسة ، كلا لست مقتنعا ، لقد قادتنا الحقائق مباشرة الى مسيو كترنج ، ولكن هناك شيئا واحدا لم يؤخذ في الاعتبار .

ـ ما هو ؟..

ـ انه وجه الضحية المشوه ، وقد ساءلت نفسي مائة مرة : هل كان دبرك كترنج من ذلك النوع الذي يصوب اليها هذه الضربة الساحقة بعد ان قتلها ، ولاي هدف يفعل هذا ؟ وهل من طبيعة شخص مثل لترنج ان يفعل مثل هذا ؟ وكان الرد على هذه الاسئلة يا آنسة غير مقنع تماما ، واجدني اعود المرة تلو الاخرى الى هذه النقطة واتساءل : لماذا ؟ وكل ما اتوصل اليه كحل لهذه المشكلة كالاتي :

وأخرج مفكرته ثم التقط منها شيئا وضعه بين اصابعه ..

ـ انظرين يا آنسة ؟ لقد رايتني آخذ هذه الشعرات من على البطانية في عربة القطار .

وانحنت كاترين الى الامام وهي تحدق في الشعرات ، فاومأ بوارو براسه عدة مرات ، ثم قال :

ـ قد لا توحي هذه الشعرات اليك بشيء كما ارى ، ولكن رغم ذلك اظن انك ترين فيها الكثير .

فقالت كاترين ببطء :

ـ لقد راودتني افكار غريبة ، ولهذا السبب سألتك .. ما الذي كنت تفعله في باريس يا مسيو بوارو ؟..

ـ عندما كتبت اليك ...

ـ من الريتز ؟..

وتلاعبت ابتسامة غريبة على وجه بوارو ، وقال :

ـ نعم ، كما تقولين .. من الريتز .. فانا رجل احب الشرف احيانا حين يقوم مليونير بدفع الحساب .

وقالت كاترين وهي تعبس :

ـ والسفارة الروسية ؟ لا ، لا استطيع ان ارى لها دخلا في الموضوع .

ـ ليس لها دخل مباشر يا آنسة ، ولكني ذهبت الى هناك لاحصل على معلومات معينة ، وقابلت شخصا معينا ، وهددته ، نعم يا آنسة انا هيركيول بوارو هددته .

ـ هددته بالبوليس ؟..

ـ كلا ، بالصحافة ، وهي سلاح امضى من البوليس كثيرا .

ونظر الى كاترين ، فابتسمت له وهي تهز راسها :

ـ الا ترى انك عدت الى طبيعة الوقائع يا مسيو بوارو ؟..

ـ كلا ، كلا ، فانا لا اريد العثرا ، اسمعي ، سأقول لك كل شيء ، انني اشك في هذا الرجل وفي قيامه بدور فعال في صفقة المجوهرات التي اشتراها مسيو فان اولدين ، وقد اتهمته بها ، وفي النهاية عرفت منه الحقيقة كلها ، وعرفت اين سلمت المجوهرات ، وعرفت ايضا من الرجل الذي كان يدرج الطريق ذهابا وايابا ...

رجل ذو شعر اشيب وقور ، ولكنه يسير بخطى خفيفة سريعة ، خطوات شاب ، ولقد اطلقت على هذا الرجل اسم الماركيز .

ـ والان ، حضرت الى لندن لترى مسيو فان اولدين ؟

ـ ليس تماما لهذا السبب ، فلدي عمل اخر اقوم به ، ومنذ حضرت الى لندن حيث التقيت بشخصين اخرين .. وكيل فني ومطيب في شارع هارلي ، ومن كل منهما حصلت على بعض المعلومات ، فاجمعي كل هذه المعلومات معا يا آنسة ، لترى هل تستطعين الخروج منها بما خرجت به انا .

ـ انا ؟..

ـ نعم ، انت ، وساخبرك بشيء واحد ، لقد كنت دائما اشك فيما

اذا كانت جريمة السرقة وجريمة القتل قد ارتكبهما شخص واحد ، وبقيت فترة طويلة غير واثق .. والان ؟

ـ والان انا اعرف .

وتلت ذلك فترة صمت ، ثم رفعت كاترين راسها وقد التمعت عيناها، وقالت :

ـ انني لست ذكية مثلك يا مسيو بوارو ، ولكن ما قلته لي لا يشير الى اي اتجاه ، والافكار التي تسابقت الى راسي اتت من زاوية مخالفة تماما .

فقال مسيو بوارو بهدوء :

ـ ولكن هذا يحدث دائما ، فالمرآة ترينا الحقيقة ، ولكن كل واحد يقف في مكان مختلف حين ينظر الى المرآة .

ـ ان افكاري تبدو مثيرة للضحك ، وقد تختلف تماما عن افكارك ، ولكن ...

ـ نعم ؟..

ـ اخبرني ، هل تساعدك هذه القصاصة في شيء ؟

واخذ قصاصة من صحيفة من يدها التي مدتها اليه ، وقراها ثم رفع راسه واومأ بجدية ، وقال :

ـ كما قلت لك يا آنسة ، كل فرد يقف في زاوية مختلفة لينظر الى المرآة ، ولكنها نفس المرآة ونفس الحقائق تنعكس عليها .

ونهضت كاترين وقالت :

ـ يجب ان اسرع فلدي من الوقت ما يكاد يكفيني للحق بالقطار ، مسيو بوارو ...

ـ نعم يا آنسة ؟..

ـ يجب .. يجب الا يتاخر الامر كثيرا ، انفهمني ؟ فانا ... فانا لا استطيع ان استمر هكذا .

وربت بوارو على يدها مطمئنا وهو يقول :

ـ تشجعي يا آنسة .. فالنهاية قد اصبحت وشيكة جدا .

***

نظرة جديدة

ـ مسيو بوارو يريد ان يتحدث اليك يا سيدي .

وصاح فان اولدين :

ـ عليه اللعنة .

وبقي نايتون صامتا .

ثم نهض فان اولدين من مقعده وجعل يذرع الغرفة جيئة وذهابا ... ثم قال :

ـ اظن انك قد رايت الصحف اللعينة اليوم ؟

ـ لقد القيت عليها نظرة يا سيدي .

ـ اما زالت تنطنن بالاخبار ؟

ـ اعتقد ذلك يا سيدي .

وجلس المليونير مرة اخرى وقد اخذ يضغط بيده على جبهته .

ـ لو كانت لدي ادنى فكرة عما سيحدث .. لتمنيت على الله الا يصل هذا البلجيكي القصير الى لب الحقيقة .. لقد كان كل همي ان يكتشف قاتل روث .

ـ اكنت تريد ان يبقى زوج ابنتك حرا طليقا ؟

وتنهد فان اولدين :

ـ كنت اود لو استطعت ان اقتص منه بنفسي .

ـ لا اظن ان هذا يكون تصرفا سليما .

ـ لا عليك .. اواثق انت من انه يريد ان يراني ؟..

ـ نعم يا مستر فان اولدين ، انه متلهف على لقائك .

ـ اذن ليكن له ما اراد .. دعه يحضر هذا الصباح اذا شاء .

دخل بوارو .. وهو يتالق بشرا وسعادة .. ولم يبد عليه انه لاحظ فتورا في استقبال المليونير له .. فاخذ يثرثر في موضوعات شتى ، قال انه قد ذهب الى لندن ليستشير طبيبه .. وذكر اسم احد كبار الجراحين، فقال فان اولدين :

ـ لا .. لا .. لا اريد ان اتذكر الحرب ولا الايام التي قضيتها في قوات البوليس .. ولا الرصاصة التي اصابتني .

ووضع يده على كتفه الايسر .. وبدا كمن يتالم حقا .

ـ انني اعتبرك دائما محظوظا يا مستر فان اولدين ، فانت لست كالصورة التي نرسمها في خيالنا لاصحاب الملايين الامريكيين الذين يعانون دائما من عسر الهضم .

ـ انني اتمتع بصحة جيدة ، لانني اعيش حياة بسيطة كما تعلم ، وطعامي ايضا بسيط ، كما اني لست اكولا .

وقال بوارو موجها حديثه الى السكرتير .. ببراءة :

ـ هل رايت مس جراي ؟..

ـ انا ... نعم رايتها مرة .. او مرتين .

وتصاعد الدم الى وجهه .. فصاح فان اولدين في دهشة :

ـ غريب .. انك لم تذكر ذلك امامي ابدا يا نايتون .

ـ ظننت ان الامر لا يهمك .
ـ انني احب هذه الفتاة كثيرا .
فقال بوارو :
ـ من المؤسف انها عادت لتدفن نفسها مرة اخرى في سانت ماري‌ميد.
فقال نايتون بحرارة :
ـ جميل منها ان تفعل هذا .. فقليل من الناس من يقبل ان يدفن نفسه هناك ليعنى بأمر سيدة عجوز مشاغبة لا تربطه بها اية صلة .
فقال بوارو وعيناه تلمعان قليلا :
ـ ان اعلق بشيء .. ولكني اكرر انه لامر مؤسف .. والان ايها السادة .. هيا الى العمل .
فنظر اليه الرجلان في شيء من الدهشة .. واستطرد هو يقول :
ـ يجب الا تنزعجا لما سأقول .. لنفرض يا مستر فان اولدين ان مسيو ديرك كترنج لم يقتل زوجته ؟
ـ ماذا تقول ؟
وحدق فيه الرجلان بدهشة بالغة .
ـ اقول .. لنفرض ان مسيو كترنج لم يقتل زوجته .
ـ هل جننت يا مسيو بوارو ؟..
كان ذلك هو فان اولدين .
ورد بوارو :
ـ كلا .. لست مجنونا .. قد اكون شخصا غريب الاطوار ـ او هذا ما يظنه بعض الناس .. ولكن فيما يخصني بعملي فأنا كما يقول المثل .. اعيش فيه بكياني كله ، والان .. اوجه اليك هذا السؤال يا مسيو فان اولدين .. هل سيسعدك هذا ام لا ؟
وحملق فيه فان اولدين دهشا .. ثم قال اخيرا :
ـ ساسر لذلك طبعا .. ولكن يا مسيو بوارو .. اهذا اختبار ذكاء .. ام .. ان هناك حقائق تؤيده ؟
ونظر بوارو الى السقف .. ثم قال بهدوء :
ـ هناك احتمال بعيد بأن الفاعل قد يكون الكونت دي لاروش فقد نجحت في زعزعة ادعائه بأنه كان بعيدا عن مكان الجريمة .
ـ وكيف تأتى لك هذا ؟..
فهز بوارو كتفيه بتواضع وقال :
ـ لدي وسائلي الخاصة .. بشيء من اللباقة .. والذكاء .. وصلت الى ما اردته .
وقال فان اولدين :
ـ ولكن ماذا من أمر المجوهرات ؟ ان تلك التي كانت في حوزته مقلدة.
ـ ومن الواضح انه لم يكن ليفعلها الا من اجل الياقوت ، ولكنك تغفل

شيئا واحدا يا مسيو فان اولدين .. فيما يتعلق بالياقوت .. قد يكون شخص اخر قد سبقه اليه .
ثم قال بوارو بهدوء :
ـ ان الدليل لم يقم بعد على اي شيء .. فهي مجرد نظرية .. ولكني اقول لك شيئا يا مسيو فان اولدين .. ان الامر جدير بالبحث .. ويجب ان تذهب معي الى جنوب فرنسا وتفحص الحادث في مكان حدوثه .
وكان صوته يحمل نبرة عتاب .. لم تخف على الاخر .. فقال :
ـ نعم .. نعم .. بالطبع . متى تريد ان نبدأ يا مسيو بوارو ؟..
وهمس نايتون :
ـ ولكنك مشغول للغاية في الوقت الحاضر .
ولكن المليونير كان قد استقر رأيه .. فقال :
ـ اعتقد ان هذا الامر له الاولوية ، حسنا يا مسيو بوارو .. اي قطار ستأخذ ؟
فرد بوارو .. وهو يبتسم :
ـ اعتقد اننا سنذهب .. بالقطار الازرق .

***

القطار الازرق ـ مرة اخرى

اندفع القطار الازرق ـ او كما يسمونه «قطار اصحاب الملايين» عبر منحنى في الطريق بسرعة جنونية ، وكان فان اولدين ونايتون وبوارو يجلسون في صمت ، وكان نايتون وفان اولدين يحتلان مقصورتين يفصل بينهما باب .. كما كان الحال عندما قامت روث كترنج ووصيفتها في تلك الرحلة المشئومة ، وكانت مقصورة بوارو بعيدة عنهما .
كانت رحلة مثيرة لاشجان فان اولدين .. ايقظت في نفسه كل الذكريات المؤلمة .. وتبادل بوارو ونايتون الحديث احيانا بصوت خفيض حتى لا يزعجاه .
وعندما انهى القطار رحلته البطيئة ووصل الى محطة ليون ، اصبح بوارو فجأة شعلة متقدة من النشاط ، وادرك فان اولدين ان احد اهدافه من السفر بالقطار هو ان يعيد تصوير الجريمة ، وكان بوارو نفسه يقوم بكل الادوار .. فقام بدور الوصيفة وقد اغلق عليها باب مقصورتها .. ومسز كترنج وقد بدا على وجهها المفاجأة والقلق عندما رأت زوجها .. وديرك كترنج عندما اكتشف ان زوجته تسافر على نفس القطار ، واخذ

بوارو يقلب كل الاحتمالات .. مثل افضل طريقة يستطيع بها الشخص ان يخفي نفسه عن الانظار داخل المقصورة الثانية .

وفجأة .. بدا ان فكرة ما قد داهمته .. فامسك بذراع فان اولدين وصرخ قائلا :

ـ يا الهي !.. هذا شيء لم افكر فيه ابدا .. يجب ان نقطع رحلتنا في باريس . هيا .. اسرعا .. يجب ان تنزل حالا .

واسرع يغادر القطار وهو يمسك بالحقائب في يده ، وتبعه فان اولدين وناينون .. حائرين .. ولكن دون اية معارضة .. وكان عسيرا على فان اولدين ان يغير من رأيه الذي عرفه عن بوارو .. وعند البوابة.. توقعوا ، اذ كانت تذاكرهم مع محصل القطار ، وهي حقيقة اغفلها الجميع .

وحاول بوارو ان يشرح لهم الامر بسرعة .. وطلاقة .. واتعفال .. ولكن كل ذلك لم يفد شيئا ، فقال فان اولدين :

ـ دعك من هذا كله .. اعتقد انك في عجلة من امرك يا مسيو بوارو .. فلندفع اجرة القطار مرة اخرى من كالين ولنواصل رحلتنا كما تريد.

ولكن بوارو توقف فجأة عن الكلام .. وبدا كالتمثال .. وظلت يده التي كان يشير بها في حديثه على حالها كما لو كانت قد اصيبت بالشلل.. وقال ببساطة :

ـ كم كنت مغفلا .. انني افقد رشدي كثيرا هذه الايام ، هيا بنا نعود الى القطار ونواصل رحلتنا في هدوء .. ولحسن الحظ ان القطار لم يتحرك بعد .

وعادوا قبل ان يتحرك القطار مباشرة .. بل ان ناينون القى بنفسه داخله وهو يتحرك ومعه حقيبة .

واخذ المحصل يحتج على تصرفهم هذا منفعلا .. وساعدهم على حمل حقائبهم مرة اخرى الى مقصورتهم [illegible] ولدين [illegible] ولكن كان يبدو مستاء [illegible]

لحظة ، قال :

ـ يا لها من مطاردة !.. لقد فقد الرجل سيطرته على نفسه .. لقد توقف عقله عند نقطة معينة .. واي رجل يحدث له مثل هذا .. فياخذ في الجري كالارنب المدعور لا فائدة منه .

ودخل بوارو .. يقدم اعتذاره في خجل .. وتقبل فان اولدين كلماته بصرامة .. ولكنه نجح في ان يكتم تعليقاته اللاذعة في صدره .

وتناولوا عشاءهم في القطار .. وبعد ذلك .. لدهشة الاخرين .. اقترح بوارو ان يجلسوا جميعا في مقصورة فان اولدين .

ونظر اليه الملبونير دهشا .. وساله :

ـ اهناك شيء تخفيه عنا يا مسيو بوارو ؟..

ـ انا ؟..

وفتح بوارو عينيه في دهشة وبراءة .. ثم قال :

ـ يا لها من فكرة !

ولم يرد فان اولدين .. ولكنه بدا غير راض ، وظلب الى المحصل الا يعد الاسرة .. ولكن دهشته زالت عندما منحه فان اولدين مبلغا كبيرا..

وجلس الثلاثة في صمت .. وتململ بوارو في جلسته وبدا قلقا .. ثم استدار الى ناينون وقال :

ـ ماجور ناينون .. ترى هل باب مقصورتك مغلق ؟.. اقصد الباب المؤدي الى الممر ؟..

ـ نعم .. لقد اغلقته بالمزلاج بنفسي الان .

ـ اواثق انت ؟

ومضى بوارو خلال الباب الذي يفصل بين المقصورتين وعاد بعد ثانية او اثنتين وهو يومىء برأسه ويقول :

ـ نعم .. نعم .. لقد كنت على حق .. ارجو ان تغفر لرجل عجوز اخطاءه .

ثم اغلق الباب الفاصل بين المقصورتين .. واتخذ مكانه كما لو كان في الركن الايمن .

ومرت الساعات .. وبين الغينة والغينة كان بوارو ينظر الى ساعته .. ثم يومىء برأسه ويسلم نفسه للنعاس مرة اخرى ، وفي مرة .. نهض واقفا .. دفع الباب الذي يفصل بين المقصورتين .. وجال ببصره في المقصورة المجاورة .. ثم عاد الى مقعده وهو يهز برأسه .

وتثاءب ناينون ثم همس :

ـ يا لها من رحلة متعبة .. اظنك تعلم ما انت فاعل يا مسيو بوارو .

واعتدل في جلسته علة يصيب شيئا من الراحة .. واستسلم هو [illegible] ثم

[illegible]

ـ بعد حوالي خمس او عشر دقائق سنصل الى ليون .

ـ يا الهي !..

وامتقع وجه فان اولدين .. ثم قال :

ـ لا بد وان المسكينة روث قد قتلت في مثل هذا الوقت .

وجلس يحدق فيما امامه ، وقد ارتجفت شفتاه قليلا .. وعقله يستعيد المأساة الدامية التي احالت حياته الى حزن مرير .

وتناهى الى اسماعهم صوت القرامل .. وابطأ القطار من سرعته ثم توقف في محطة ليون ، وفتح فان اولدين النافذة ونظر الى الخارج .. وقال :

WWW.LILAS.COM/VB3

ـ اذا لم يكن دبرك هو الفاعل .. وكانت نظريتك الجديدة صحيحة .. يكون الرجل قد غادر القطار هنا !

ولدهشته .. هز بوارو رأسه وقال وهو يفكر :

ـ كلا .. لم يغادر القطار رجل ولكن امرأة على ما اعتقد .

وشهق نايتون :

وتساءل فان اولدين بحدة :

ـ امرأة ؟..

واومأ بوارو برأسه وهو يقول :

ـ نعم .. امرأة .. قد لا تتذكر يا مسيو فان اولدين ان مس جراي قد ذكرت في شهادتها ان صبيا يرتدي كابا ومعطفا نزل الى الرصيف متظاهرا بانه يتمشى قليلا ، اما انا .. فاغلب ظني ان هذا الصبي كان امرأة .

ـ ولكن .. من هي ؟..

وبدا على وجه فان اولدين عدم التصديق .. ولكن بوارو اجابه جادا:

ـ ان اسمها .. او الاسم الذي عرفت به سنين طويلة هو كيتي كيد.. ولكنك يا مسترفان اولدين كنت تعرفها باسم اخر آدامسون .

وقفز نايتون واقفا .. وصاح :

ـ ماذا ؟..

والتفت اليه بوارو ، وقال :

ـ آه .. قبل ان انسى ...

واخرج شيئا من جيبه ومد يده وهو يقول :

ـ اسمح لي ان اقدم لك سيجارة .. من علبة سجائرك ، لقد كان اهمالا منك ان تسقطها عندما صعدت الى القطار في باريس، ووقف نايتون يحملق فيه كمن شلت المفاجأة تفكيره . ثم مد يده .. ولكن بوارو سحب يده بالعلبة .. محذرا :

ـ كلا .. لا تتحرك .. ان الباب المؤدي الى المقصورة المجاورة مفتوح وانت على مرمى رصاص البوليس في هذه اللحظة .. لقد فتحت المزلاج المؤدي الى الممر عندما غادر القطار باريس .. وطلبت الى اصدقائنا من رجال البوليس ان يتخذوا مكانهم هناك .. ولعلـك تعلم ان البوليس الفرنسي يجد في طلبك يا ماجور نايتون ـ او هل اقول ـ يا سيدي المارکيز ؟..

***

تفسير الاحداث

ـ كيف تفسر ما حدث ؟

وابتسم بوارو .. كان يجلس قبالة المليونير على مائدة الغداء في جناحه في النجرسكو ، وكان فان اولدين مرتاحا لما توصلوا اليه من نتائج ولكنه كان في نفس الوقت في حيرة من امره ، واعتدل في كرسيه واشعل سيجارة .. واخذ ينظر الى السقف وهو يقول :

ـ فلنفرض .. مجرد فرض ، انها كانت علبة سجائره هي تلك التي حيرتني اتعلم ما هي ؟.. الوجه المشوه، وهي ليست شيئا نادر الحدوث.. وتثير سؤالا مباشرا .. عن شخصية الضحية ، وكانت مسالة شخصية الضحية هي اول ما واجهني .. هل كانت مسز كنرنج فعلا ؟.. ولكن سرعان ما وضعت شهادة جراي حدا للتساؤل .. كانت واثقة من انها فعلا مسز كنرنج .. ولذلك تحيت اي احتمال اخر جانبا .. اذ كانت القتيلة هي مسز كنرنج بلا جدال .

ـ ومتى بدات تشك في الوصيفة ؟..

ـ لقد شد انتباهي شيء صغير .. ذلك هو علبة السجائر التي وجدت في العربة والتي اخبرتني بان مسز كنرنج كانت قد اهدتها لزوجها .. وكان هذا احتمالا بعيدا اذا نظرنا الى الظروف التي كانا يعيشان فيها .. واشعل ذلك نار الشك في نفسي وامتد شكي الى اقوال آدامسون بصفة عامة ، وكانت ايضا هناك حقيقة اخرى .. ان الوصيفة لم تلتحق بهذا العمل الا منذ شهرين .. وكانت تبدو بعيدة الصلة بالجريمة ما دامت قد تخلفت في باريس كما ان مسز كنرنج قد شوهدت بعد ذلك على قيد الحياة .. ولكن !

ومال بوارو الى الامام .. ولوح بسيجارته مؤكدا حديثه لفان اولدين:

ـ ولكني مخبر ممتاز .. فانا اشك .. فما من شيء .. وما من شخص لا اشك فيه .. ولا اصدق اي شيء يقال لي .. قلت لنفسي : كيف عرفنا ان آدامسون قد تخلفت في باريس ؟.. وفي بادئ الامر .. بدت الاجابة عن هذا السؤال مقنعة تماما .. فهناك شهادة سكرتيرك .. ماجور نايتون .. وهو شخص بعيد عن الموضوع ومفروض ان شهادته محايدة تماما ، وهناك ايضا الكلمات التي قالتها القتيلة نفسها الى محصل القطار ، ولكني اضع النقطة الاخيرة جانبا .. في الوقت الحاضر .. لان فكرة في غاية الغرابة .. ربما كانت فكرة خيالية .. مستحيلة الحدوث ـ بدات تراودني . ولو صحت هذه الفكرة لما كان لهذه الشهادة اية قيمة .

وركزت اهتمامي على المسالة التي كانت تقف حجر عثرة في سبيل صحة نظريتي وهي شهادة ماجور نايتون بانه راى آدامسون في فندق الريتز بعد ان غادر القطار الازرق باريس ، وبدا الامر بهذه الصورة لا جدال فيه ، ولكن عند بحث الحقائق لاحظت شيئين : اولا ، كان هو ايضا قد دخل خدمتك منذ شهرين تماما ، صدفة غريبة ، وثانيا كان اول حرف من اسمه هو حرف ك .

فلنفرض .. مجرد فرض ، انها كانت علبة سجائره هي تلك التي وجدت في القطار ، اذن فلو كانت آداميسون وهما بمعلان معا وتعرفت هي على علبة السجائر عندما عرضناها عليها ، الم تكن لتتصرف تماما كما فعلت ؟ في بادىء الامر وقد بوغتت بسرعة مقبولة توحي بان مسترز كترنج له علاقة بالجريمة ، وان لم تكن هذه فكرتنا الاصلية ، اذ كانت الشبهات تتجه الى الكونت دي لاروش الا ان آداميسون ، لم ترد ان تؤكد تعرفها عليه ، اذ ربما يستطيع ان يثبت وجوده بعيدا عن مكان الجريمة . واذا عدت بذاكرتك الآن الى ما حدث حينئذ ، لتذكرت شيئا ذا مغزى قد حدث ، فقد قلت لاداميسون انه ربما لم يكن الشخص الذي رأته هو الكونت دي لاروش ، بل ديرك كترنج فبدت غير واثقة من هذا عندئذ ، ولكن عندما عدت الى الفندق الذي انزل به ، اتصلت انت بي تليفونيا ، واخبرتني انها حضرت اليك وقالت انها بعد ان فكرت في الامر ، اقتنعت تماما بأن الرجل كان مسترز كترنج ، وقد توقعت انا حدوث شيء من هذا القبيل ، ولا تفسير هناك لهذا اليقين المفاجيء من جانبها الا شيء واحد ، فبعد ان تركت فندقك ، كان لديها من الوقت ما يسمح لها باستشارة شخص ما ، وثقت تعليمات بما تفعل ، فمن هو ذا الذي القى بهذه التعليمات ؟.. ماجور نايتون ، وكانت هناك مسألة صغيرة اخرى ، وهي قد لا تعني اي شيء ، وقد تعني الكثير ، ففي حديث عارض ذكر نايتون شيئا عن حادث سرقة مجوهرات وقع في بوركشير في منزل كان يقيم فيه ، ربما كانت مجرد مصادفة ، وربما كانت حلقة صغيرة في السلسلة.

ـ ولكن هناك شيئا اغلق على فهمه يا مسيو براورو ، اظن اني غبي والا لاستطعت ان افهمه من تلقاء نفسي ، من هو الرجل الذي كان بالقطار في باريس ؟ ديرك كترنج ، او الكونت دي لاروش .

ـ هذه كانت ابسط نقطة في الامر كله ، لم يكن هناك اي رجل ، مفاجأة مذهلة طبعا ، الا ترى براعة الخطة ؟ من الذي قال بوجود رجل هناك ؟ آداميسون ، ونحن نصدق ما تقول آداميسون لان نايتون شهد بانها تخلفت في باريس .

ـ ولكن روث نفسها اخبرت المحصل بانها تركت وصيفتها في باريس ؟

ـ آه .. ساصل الى هذه النقطة ، فلدينا شهادة مسز كترنج بخصوص هذا الموضوع ، ولكن من ناحية اخرى . ليس لدينا فعلا شهادتها ، لان الموتى لا يتكلمون يا مسيو فان اولدين ، اذن فهي ليست شهادتها ، ولكن شهادة محصل القطار ، وهذه تختلف تمام الاختلاف .

ـ اذن فانت تعتقد ان الرجل كان يكذب ؟

ـ كلا ، كلا ، اطلاقا ، فقد قال ما اعتقد انه الحقيقة ، ولكن المرأة التي قالت له انها تركت خادمتها في باريس لم تكن مسز كترنج .

وحدق فيه فان اولدين دهشا .

وتابع براورو حديثه :

ـ مسيو فان اولدين ، ان روث كترنج كانت قد ماتت قبل ان يصل القطار الى محطة ليون ، لقد كانت آدا ميسون مرتدية ملابس سيدتها المميزة ، وهي التي طلبت سلة العشاء ، وهي التي القت بهذه الشهادة البالغة الاهمية الى المحصل .

ـ مستحيل !

ـ كلا ، كلا ، يا مسيو فان اولدين ، ليس مستحيلا ، فالنساء متشابهات هذه الايام حتى انك تتعرف عليهن بملابسهن اكثر من وجوههن ، وكانت آداميسون في نفس طول ابنتك ، ولا عجب ان المحصل خدع حين رآها ترتدي المعطف الفراء الفاخر والقبعة الحمراء تغطي عينيها ، وخصلات من الشعر الاحمر تبدو تحت القبعة وتغطي اذنيها ، ولم يكن قد تحدث مع مسز كترنج من قبل كما تذكر ، صحيح انه راى الوصيفة برهة عندما قدمت له التذاكر ولكن انطباعه عنها كان انها انثى ترتدي ملابس سوداء ، ولو كان شخصا حاد الذكاء ، لربما كان في استطاعته ان يدرك ان السيدة والوصيفة كانتا متشابهتين ، ولكن هذه الفكرة لم تخطر بباله ، ولتذكر ايضا ان آداميسون او كيتي كيد كانت ممثلة ، وكان في استطاعتها ان تغير مظهرها ونبرة صوتها وقتما تشاء ، كلا ، كلا ، لم يكن هناك اي خطر من تعرفه على الوصيفة وهي في ملابس سيدتها ، ولكن الخطر كان يكمن في دخوله المقصورة ، ربما سيكتشف ان الجثة لم تكن جثة السيدة التي تحدثت اليه في الليلة السابقة وهذا هو السبب في تشويه الوجه ، كانت المخاطرة الوحيدة التي خاضتها آداميسون هي احتمال دخول كاترين جراي للمقصورة بعد ان يغادر القطار باريس . فاحتاطت لذلك بأن طلبت العشاء ، واغلقت على نفسها المقصورة .

ـ ولكن من الذي قتل روث ؟.. ومتى ؟

ـ اولا . يجب ان تذكر ان الجريمة قد خطط لها ونفذت من الاثنين معا . نايتون وآداميسون ، كان نايتون في باريس ذلك اليوم يؤدي مهمة لك ، وسعد الى القطار في مكان ما ، وكانت مسز كترنج ستدهش حتما لرؤيته . ولكنها لن تشك اطلاقا ، وربما يكون قد لفت نظرها الى شيء خارج النافذة ، وعندما استدارت لتنظر لف الحبل حول عنقها ... وانتهى كل شيء في ثانية او اثنتين . واغلق باب المقصورة ، وبدا هو وآداميسون العمل . فنزعا ملابس القتيلة . ولفاها في بطانية ووضعاها في المقصورة الملحقة على احد المقاعد . ونزل نايتون من القطار ومعه علبة المجوهرات . وفيها الباقوت . ولما كان من المقدر الا تكتشف الجريمة قبل مضي ١٢ ساعة بعد حدوثها ، فقد كان في امان تماما ، وستعتبر شهادته وحدث مسز كترنج المزعومة مع المحصل دليلا على بعدهما عن الجريمة

تماما .

وفي محطة ليون تناولت آدامبسون سلة العشاء ، وأغلقت على نفسها باب التواليت وبسرعة ارتدت ملابس سيدتها ، وثبتت خصلات الشعر الاحمر المستعار ، فبدت قريبة الشبه منها ، وعندما دخل المحصل ليعد السرير ، اخبرته بقصة تركها لوصيفتها في باريس ، وبينما كان منهمكا في عمله ، وقفت تنظر من النافذة ، وظهرها الى الممر ، والى الناس الذين يسيرون عبره ، وكان هذا الاحتياط حكيما لان من جراي كما نعرف كانت واحدة من الذين عبروا الممر في ذلك الوقت ، وكانت مستعدة لتقسم على ان مسز كترنج كانت لا تزال حية حتى تلك الساعة.

وقال فان اولدين :

ـ استمر ..

وقبل ان تصل آدامبسون الى ليون ، وضعت سيدتها على السرير ، وسوت ملابسها بعناية ، وارتدت هي نفسها ملابس الرجال ، واستعدت لمغادرة القطار ، وعندما دخل ديرك كترنج مقصورة زوجته ورآها نائمة ، او كما ظن هو ذلك ، كان كل شيء قد تم ، وكانت آدامبسون مختفية في المقصورة المجاورة في انتظار اللحظة المناسبة لتغادر القطار دون ان يراها احد ، وبمجرد ان غادر المحصل القطار الى الرصيف في ليون تبعته كما لو كانت تتمشى قليلا على الرصيف ، وفي لحظة عبرت الى الرصيف الاخر دون ان يلحظ احد ، وعادت بأول قطار الى باريس ، والى فندق الريتز ، وكان اسمها مسجلا هناك كنزيلة احدى الغرف منذ الليلة السابقة ، فما كان عليها الا ان تنتظر عودتك هناك ، وما كانت المجوهرات في حوزتها اطلاقا ، اما عن نايتون فلا شبهة عليه ، ولذلك اتى بها الى نيس دون ادنى خوف ، وكان قد رتب تسليمها الى مسيو بابوبولوس ، وعهد الى ميسون بتسليمها في اللحظة الاخيرة الى الرجل اليوناني ، وهكذا كانت الخطة محكمة كما هو منتظر من شخص قدير مثل المارکيز .

ـ هل تعني حقا ان ريتشارد نايتون مجرم معروف مارس اجرامه لسنين طويلة ؟..

فأومأ براسه وقال :

ـ من اهم الصفات التي يتميز بها المارکيز سلوكه الجذاب ، وقد وقعت انت ضحية لذلك حين عينته سكرتيرا لك بمجرد معرفتك الواهية به .

وصاح المليونير :

ـ انني كنت مستعدا لان اقسم على انه ليس من هذا الطراز .

ـ لقد وضعت الخطة كلها ببراعة متناهية ، بدرجة انها خدعت رجلا له خبرة كبيرة بالناس مثلك .

ـ لقد كشفت عن ماضيه . فوجدت ان سجله لا غبار عليه .

ـ نعم ، نعم ، كان هذا ايضا جزءا من الخطة ، فان حياته تحت اسم ريتشارد نايتون كانت بعيدة عن كل شبهة ، انه من اصل طيب ، وله صلات حسنة بالناس ، كما انه ادى خدمات جليلة في الحرب ، ويبدو بعيدا تماما عن اية شبهة ، ولكن عندما اخذت في جمع المعلومات عن المارکيز الغامض وجدت كثيرا من اوجه الشبه . فنايتون يجيد الفرنسية ، وقد سافر الى اميركا وفرنسا وانكلترا ، في نفس الوقت الذي كان المارکيز يمارس نشاطه ، وكان آخر ما ورد عن المارکيز هو عمليات سرقة مجوهرات في سويسرا ، وقد التقيت انت بماجور نايتون في سويسرا ، وفي هذا الوقت سرت الاشاعات لاول مرة عن مفاوضاتك بشأن شراء الياقوت .

وهمس فان اولدين بصوت خطمه الحزن :

ـ ولكن .. لماذا قتلها ؟! لا شك ان اي لص ماهر كان يستطيع سرقة المجوهرات دون ان يعرض نفسه لحبل المشنقة .

فهز بوارو راسه وقال :

ـ ليست هذه اول جريمة قتل يرتكبها المارکيز ، فهو قاتل بالفطرة وهو يؤمن ايمانا راسخا بوجوب عدم ترك اي دليل ضده ، والموتى لا يتكلمون .

وقد كان المارکيز يحب المجوهرات ذات الشهرة التاريخية حبا لا حد له ، وقد بدأ يوضع خطته قبل تنفيذها بوقت طويل بأن عمل سكرتيرا لك ، وسعى لكي تحصل شركته على وظيفة وصيفة لابنتك التي ضمن انك ستهديها المجوهرات ، ورغم ان هذه الخطة كانت كاملة ووضعت بعناية ، الا انه لم يتردد في اختصار الطريق ، بأن استأجر اثنين من قطاع الطرق ، ليهاجماك ليلة ان اشتريت المجوهرات ، وفشل الهجوم ولكنه لم يدهش لذلك ، على ما اعتقد ، اما خطته الاخيرة ، فقد كانت مأمونة تماما في اعتقاده ، فلن تعلق اي شبهة بريتشارد نايتون ، ولكن مثله مثل كل العظماء ، كانت له ناحية ضعف ، فقد وقع في حب مس جراي فعلا ، ولما شك في ميلها الى ديرك كترنج ، لم يستطع ان يقاوم اغراء القاء الجريمة به ، حين واتته الفرصة .. والان ، يا مسيو فان اولدين ، سأخبرك بشيء في غاية الغرابة ، ان مس جراي ليست بالمرأة التي تؤمن بالاوهام بأي حال من الاحوال ، ورغم ذلك فهي تعتقد اعتقادا راسخا انها احست بوجود ابنتك الى جوارها يوما في حديقة الكازينو في مونت كارلو بعد ان انتهت من حديث طويل مع نايتون ، وكما قالت لي ، كانت مقتنعة تماما بأن الفتيلة كانت تريد ان تخبرها بشيء ما ، وفجأة تراءى لها ان ما تريد ان تقوله هو ان نايتون هو القاتل ، وبدت الفكرة غريبة وخيالية في ذلك الوقت ، حتى ان مس جراي لم تتحدث بشأنها مع اي مخلوق ، ولكنها كانت مقتنعة بها الى حد انها اخذت تصرف وفقا لها ، رغم غرابة الفكرة ،

فلم تصد نايتون ، وتظاهرت امامه باقتناعها بان ديرك كترنج هو القاتل .

وقال فان اولدين :

— انه امر في غاية الغرابة ..!

— فعلا ، وان كان المرء لا يجد تفسيرا لهذه الاشياء ، وبهذه المناسبة، هناك مسالة حيرتني الى حد كبير ، فان سكرتيرك يعرج نتيجة لجرح اصابه في الحرب ، اما الماركيز فمن المؤكد انه لم يكن يعرج ، كانت هذه المسالة حجر عثرة ، ولكن مس لينوكس تامبلين ذكرت امامي يوما ان عرج نايتون قد ادهش الجراح الذي كان يعالجه في مستشفى امها ، وقد اوحى هذا بانه ربما كانت حيلة للتعمية ، وعندما كنت في لندن ذهبت الى ذلك الجراح ، وحصلت منه على كثير من التفاصيل الغنية التي ايدت اعتقادي ، وقد ذكرت اسم هذا الطبيب امام نايتون اول امس ، والتصرف الطبيعي هو ان ينكر نايتون معرفته بالطبيب اثناء الحرب ، ولكنه لم يقل شيئا ، وكانت هذه المسالة الصغيرة هي التي اكدت لي بصفة نهائية ان نظريتي في هذه الجريمة كانت صحيحة ، كما ان مس جراي اعطتني قصاصة من جريدة ذكر فيها ان حادث سطو قد وقع على مستشفى لبدي تامبلين في نفس الوقت الذي كان نايتون موجودا به لقد ادركت انني اسير معها على نفس الطريق عندما كتبت لها من فندق الريتز في باريس .

وقد لقيت بعض المتاعب في تحرياتي هناك ، ولكني توصلت الى ما اريد ... شهادة بان آداميسون قد وصلت الى هناك صباح يوم الحادث، وليس مساء اليوم الذي قبله .

وقال فان اولدين :

— انك ثروة يا مسيو بوارو .. حقا انك ثروة ..

ونهض بوارو واقفا ، وقد نفخ صدره وقال بتواضع :

— انني فقط هيركيول بوارو ، ولكن كما تقول انا رجل عظيم في مهنتي كما انك انت عظيم في مهنتك ، انني جد سعيد بان استطعت ان اؤدي لك خدمة . والان اذهب لاصلح ما افسده السفر ، للاسف ان تابعي جورج ليس معي .

وفي ردهة الفندق التقى بصديق ... مسيو بابيوبولوس وابنته زيا الى جواره ، وهمس الرجل اليوناني ، وهو يسلم على المخبر :

— كنت اظنك قد تركت نيس يا مسيو بوارو ؟..

— لقد اضطرتني ظروف العمل للعودة يا مسيو بابيوبولوس .

— العمل ؟!..

— نعم ، العمل . وما دمنا نتكلم في العمل فارجو ان تكون صحتك على ما يرام يا صديقي العزيز ..

— انني افضل بكثير ، وسوف تعود الى باريس غدا .

— انني سعيد لسماع هذه الاخبار ، ارجو الا تكون قد دفعت برئيس

وزراء اليونان السابق الى الافلاس .

— انا ؟..

— لقد علمت انك بعته باقونة في غاية من الروعة ، تتزين بها الانسة ميراي الراقصة ..

فقال مسيو بابيوبولوس بصوت خفيض :

— نعم .. هذا صحيح ..

— باقونة لا تختلف عن الجوهرة المشهورة «قلب من نار» .

— انها تشبهها بالتاكيد ..

— ان لك خبرة رائعة بالمجوهرات يا مسيو بابيوبولوس ، تهاني يا آنسة زيا ، انني اشعر بالوحشة لعودتك الى باريس بهذه السرعة . فقد كنت آمل ان اراك بعد ان انتهت مهمتي .

فساله مسيو بابيوبولوس :

— ابعد تطفلا مني لو سألتك عن كنه هذه المهمة ؟..

— كلا .. اطلاقا ، لقد نجحت لتوي في الايقاع بالماركيز .

— الماركيز ! لماذا يبدو هذا الاسم مألوفا لدي ؟ كلا .. لا استطيع ان اتذكر .

فقال بوارو :

— لن تستطيع ، انا واثق من هذا ، انني اشير الى مجرم مشهور ، وواحد من اكبر لصوص المجوهرات ، لقد القي القبض عليه بتهمة قتل السيدة الانكليزية مدام كترنج .

— حقا ! يا له من شيء غريب .

وتلا ذلك تبادل كلمات الوداع ، وعندما ابتعد بوارو ، التفت مسيو بابيوبولوس الى ابنته ، وقال بانفعال :

— زيا ، هذا الرجل هو الشيطان نفسه ..!

***

على شاطىء البحر

اوشك موسم زهور الميموزا على الانتهاء .. وخفت اريجها الذي كان يملأ الجو .. وحلت محلها زهور وردية اللون على طول سور فيللا لبدي تامبلين .. وانتشر عطر زهور الغرنفل في المكان كله .. اما مياه البحر الابيض المتوسط فكانت اشد زرقة من اي وقت مضى . وكان بوارو يجلس في الشرفة مع لينوكس تامبلين وقد فرغ لوا من سرد نفس القصة

التي سردها على سمع فان اولدين منذ يومين ، وكانت ليتوكس تنصت اليه باهتمام واستغراق ، وقد عقدت حاجبيها وبان الاكتئاب في عينيها.

وبعد ان فرغ من قصته سألته ببساطة :

ـ وماذا لمن دبرك أ..

ـ لقد اطلق سراحه امس .

ـ وأين ذهب أ..

ـ لقد غادر نيس امس الى سانت ماري ميد .

تلت ذلك فترة صمت .. ثم قالت ليتوكس :

ـ لقد اخطأت تقدير احاسيس كاترين ، كنت اظن انها لا تهتم به .

ـ انها متحفظة للغاية ، ولا تثق باي مخلوق .

فردت ليتوكس وصوتها يشوبه شيء من المرارة :

ـ كان من الممكن ان تثق بي ..

وقال بوارو :

ـ نعم .. كان من الممكن ان تثق بك .. ولكن الانسة كاترين امضت جزءا كبيرا من حياتها تنصت الى الاخرين .. واولئك الذين يجيدون الانصات يجدون صعوبة في التحدث .. انهم يحتفظون بآلامهم وأفراحهم في صدورهم .. لا يبوحون بها لاحد .

ـ لقد كنت مغفلة اذا اعتقدت انها تميل الى نايتون .. كان يجب ان يكون حكمي اصوب .. اظن ان هذا كان رأيي لاني ... لاني كنت آمل ان تكون الامر كذلك ..

فتناول بوارو يدها .. وضغطها برفق وقال برقة :

ـ تشجعي يا آنسة ..

ونظرت ليتوكس امامها .. وبدا وجهها بجموده القبيح .. وعليه مسحة من الجمال .. ثم قالت :

ـ لن يجدي هذا شيئا .. فانا اصغر كثيرا من دبرك ..

وتلت ذلك فترة صمت طويلة .. ثم التفتت ليتوكس اليه بسرعة وقالت :

ـ ولكني قدمت بعض المساعدة يا مسيو بوارو ... مهما كانت الظروف ، اراني قد فعلت .

ـ نعم يا آنسة ، لقد كنت اول من لفت نظري الى حقيقة غابت عني حين قلت ان الشخص الذي ارتكب الجريمة ربما لا يكون من ركاب القطار اصلا .. قبل ذلك لم اكن استطيع تصور ما حدث .

واخذت ليتوكس نفسا عميقا وقالت :

ـ انني سعيدة لهذا ... لقد قمت بعمل ما .

ومن بعيد تناهى اليها صوت القطار .. فقالت ليتوكس :

ـ انه ذلك القطار الازرق اللعين .. ان القطارات شيء جبار لا يلين..

اليس كذلك يا مسيو بوارو أ.. فالناس يقولون .. ويمضون .. ومع ذلك .. فهي تسير .. لا لعبا بشيء .. يبدو اني اتكلم كلاما لا معنى له.. ولكنك تفهم ما اريد ان اقوله .

ـ نعم .. نعم .. اعرف .. ان الحياة مثل القطار يا آنسة .. فهي مستمرة .. وانه لجميل ان تستمر الحياة في سيرها الطبيعي .

ـ لماذا أ..

ـ لان القطار يواصل سيره حتى نهاية رحلته .. اخيرا .. وهناك مثل انكليزي عن هذا يا آنسة ..

فضحكت ليتوكس وقالت :

ـ «ان الرحلة تنتهي بلقاء المحبين» .. ولكن هذا القول لن ينطبق علي انا .

ـ بل سينطبق عليك يوما ، فانت شابة .. اصغر مما تظنين انت نفسك .. ضعي ثقتك في القطار يا آنسة .. فهو يسير بمشيئة الله .

ومرة اخرى تناهى الى اسماعها صوت القطار .. وقال بوارو بصوت هامس :

ـ ضعي ثقتك في القطار يا آنسة .. وضعيها ايضا في هيركيول بوارو .. فهو يعرف كل شيء .

انتهت

www.liilas.com/vb3
uploaded by :
THE GHOST 92